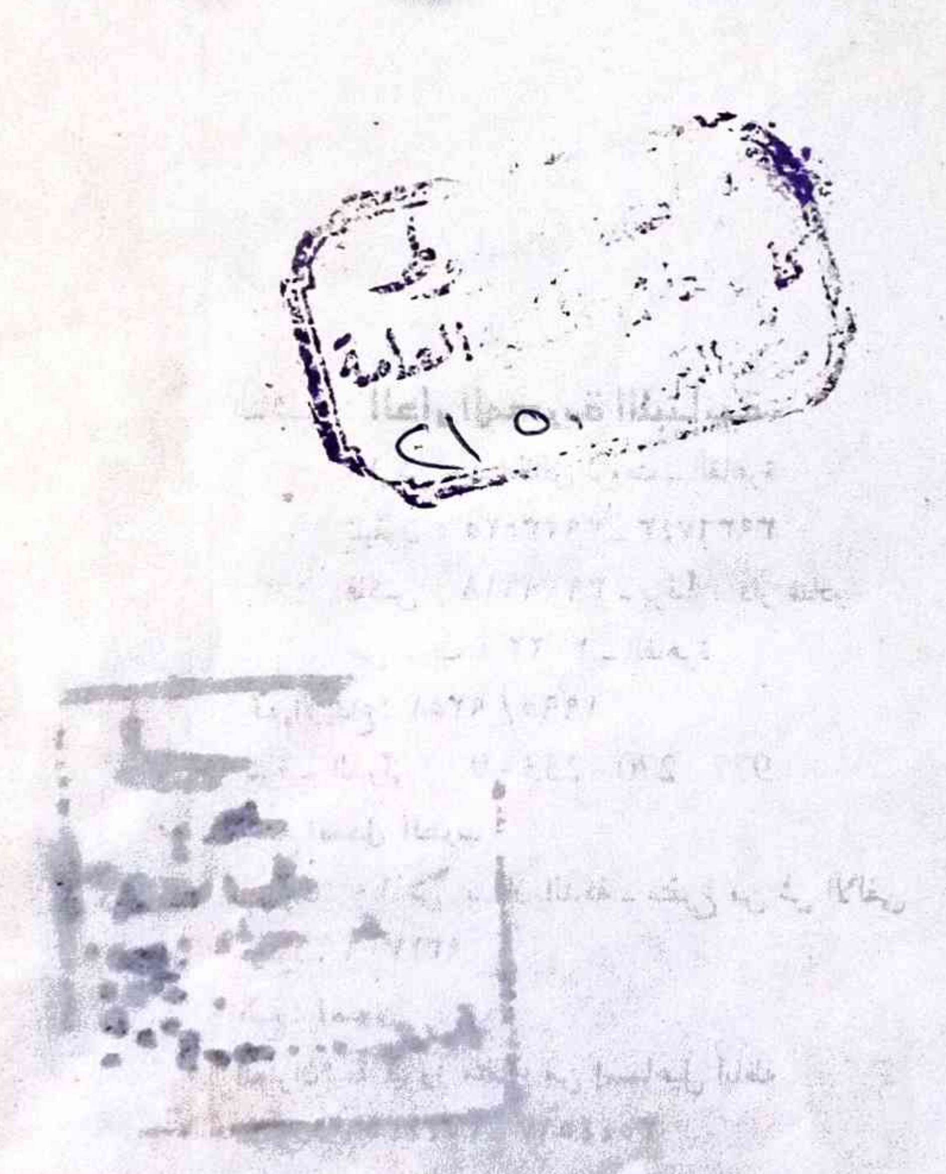
فى المحلاوى

ات فى الشارع السياسى



الدار المصرية اللبنانية





قمامات في الشارع السياسي

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**

١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع: ٩٢٥١ / ١٩٩٥

الترقيم الدولى: 9 - 233 - 270 - 977

جمع: **سجل العرب**

العنوان: ١٠ ش بستان الدكة ـ متفرع من ش الألفى

تليفون: ٩٣٢٧٠٦

طبع: **أمون**

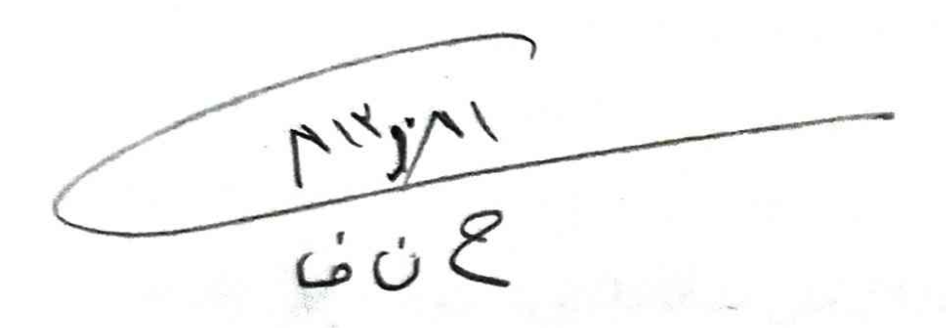
العنوان: ٤ فيروز متفرع من إسماعيل أباظة

تليفون: ٣٥٤٢١٥٩ ـ ٣٥٤٤٥١٧

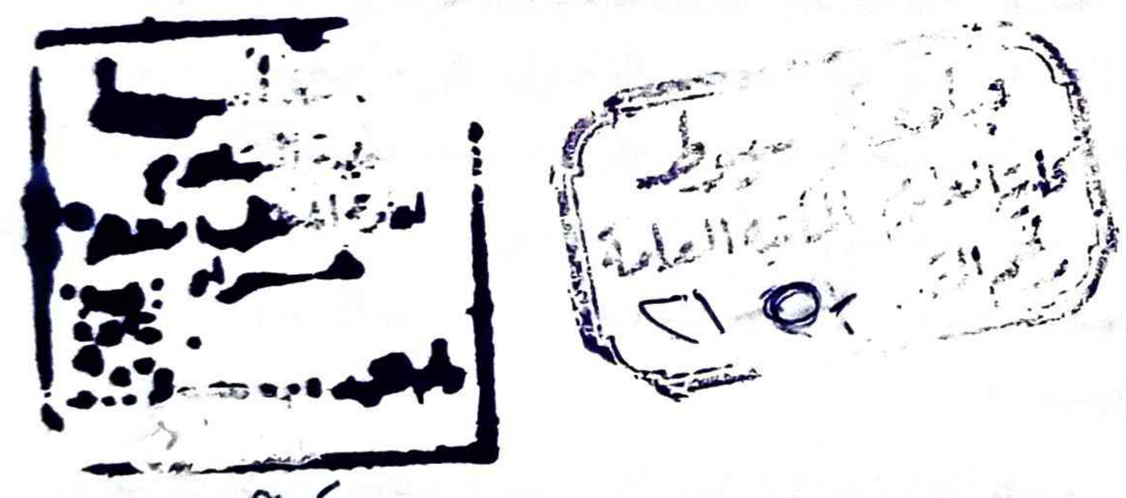
الطبعة الأولى: ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م

تصميم الغلاف: **عمرو فهمى**

فَنَّانَاتٌ فى الشَّارِعِ السِّيَاسِىّ



حنفى المحلاوى



الناشر
الدار المصرية اللبنانية





على ناصية
فى الشارع السياسى

عندما نحاول الاستدلال على عنوان ما . . به اسم شارع وأرقام بعض المبانى التى يقيم بها من نريد مقابلتهم . . ولا نعرف أية تفاصيل عن ذلك العنوان . . نظل نسأل هنا وهناك حتى يدلنا آخرون عليه . . وإذا ما عرفنا تفاصيل العنوان الذى نسأل عنه ، نتحرك فى اتجاهه تملؤنا الفرحة والإحساس بالراحة . . وقبل الوصول إلى ما نبغيه . . نتوقف عند حافة الشارع الذى نبحث عنه . . وعلى ناصيته نبدأ جولة أخرى نستطلع من خلالها أرقام المبنى أو المبانى المطلوب الوصول إليها . . عندئذ تكون مهمة الوصول إلى ما نتمناه من وراء هذا العنوان قد باتت سهلة وميسورة ! .

وهكذا فعلنا من قبل أن ندخل الشارع السياسى الذى كنا نبحث عنه . . لنسأل عن ساكنيه من أهل الفن . . الذين أقام بعضهم فيه منذ أكثر من سبعين عاماً ! .

وعلى بعد خطوات من ناصية هذا الشارع . . علقت لافتة كبيرة وبعرض الشارع . . ومكتوب فوق لوحتها المضيئة بالذهب ، وبحروف تسطع فوقها أشعة الشمس . . أسماء الذين عملوا بالسياسة من أهل الفن . . سواء من الفنانات أو الفنانين .

ولا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة داخل الشارع السياسى دون أن تتوقف أمام هذه اللوحة المضيئة لتقرأ ما بها من كلمات . . سطرها التاريخ عن هؤلاء الذين جمعوا بين صناعة الفن وممارسة السياسة !

وبنظرة خاطفة أيضاً نستطيع الوقوف على أهم الأسماء الذين ضمتهم هذه اللوحة المضيئة وعددهم أربعة عشر فناناً وفنانة ، كما نستطيع وفق ما أشارت إليه تلك اللوحة الوصول بسهولة إلى أماكن إقامة هؤلاء الذين دخلوا الشارع السياسى منذ زمن طويل .

وكما هو معروف ، فإن قائمة التاريخ الفنى تضم بين جنباتها أكثر من فنان وفنانة وقد لعبوا أدواراً هامة فى إثراء حياتنا الفنية على مدى مسيرته الطويلة . ولكن السؤال الذى يبرز فور الوقوف تحت لافتة الشارع السياسى . . لماذا هؤلاء الأربعة عشر دون غيرهم ؟ من الذين دونت أسماؤهم على ناصية هذا الشارع .

والإجابة على السؤال قد تكون بالغة الصعوبة لمن لا يستطيع أن يفرق بين العمل الفنى المرتبط بالوطنية والخدمة العامة وبين العمل الفنى المرتبط بالسياسة والممارسة السياسية . . والتفرقة بين العملين يمكن إدراكها مما سوف نذكره . . لأن الفنان الممارس السياسى . . لابد وأن يكون فناناً قد دخل أحد الأحزاب السياسية أو ارتبط بشخصية سياسية لعبت أدواراً كبيرة فى حياتنا فى الماضى وفى الحاضر . . ولا فرق فى ذلك بين الفنان أو الفنانة . . ذلك

لأن التاريخ قد شهد دخول النوعين إلى الشارع السياسى . . بل كانت المرأة هى صاحبة السبق فى هذا الميدان !

ورغم أن القائمة التى علقت فوق مدخل الشارع السياسى قد ضمت أربعة عشر من أهل الفن من الفنانات والفنانين . . وهم :

●● **فى ميدان التمثيل المسرحى والسينمائى** :

روزاليوسف ، وأمينة رزق ، وكاميليا ، وبرلنتى عبد الحميد ، وحمدى أحمد ، ومحمود المليجى .

●● **فى ميدان الغناء والألحان** :

أم كلثوم ، وعبد الوهاب ، وأسمهان ، وفايدة كامل ، وكمال الطويل .

●● **وفى ميدان الرقص** :

حكمت فهمى ، وتحية كاريوكا ، وسامية جمال .

إلا أننا سوف نخصص الأوراق التى بين أيدينا للحديث فقط عن الفنانات اللائى اشتغلن بالعمل السياسى . . دون الفنانين . وبالتالى سيكون عدد هؤلاء الضيوف عشر فقط من اللاتى أقمن بالشارع السياسى . . وهن وفق ما دونته اللافتة المعلقة على ناصية الشارع . . روزاليوسف - أمينة رزق - كاميليا - برلنتى عبد الحميد - أم كلثوم - أسمهان - فايدة كامل - حكمت فهمى - تحية كاريوكا . . وأخيراً سامية جمال .

وربما يساعدنا الحظ بالإضافة إلى ذلك لإلقاء الأضواء من خلال أوراق قادمة على أهل الفن من الفنانين الذين اشتغلوا بالسياسة ، بعد أن نضيف إليهم أهل الفكر أيضاً ، وذلك حتى تكتمل منظومة الذين عملوا بالسياسة من أهل الفن والفكر ! .

حنفى المحلاوى

حدائق القبة - القاهرة



فاطمة

من الفن إلى الصحافة ..
ثم إلى السياسة

هناك ظاهرتان اجتماعيتان احتلتا مساحة مكانية كبيرة داخل المجتمع المصرى . . بدءاً من عام ١٩٢٠ ومع ذلك لم يأخذا حقهما من البحث أو الدراسة .

* **الظاهرة الأولى** : اشتغال المرأة غير المصرية بفن التمثيل المسرحى بالذات وذلك لفترة طويلة من الزمن . . خاصة بعدما بدأ هذا النوع من الفن يجد إقبالاً ورواجاً سواء من المشتغلين به أو من مشاهديه . وهذه الظاهرة - على سبيل المثال - لم تكن موجودة فى أى فرع آخر من فروع الفن التعبيرية المتعارف عليها ، والتى كانت مزدهرة فى نفس التوقيت . إذ لم تكن موجودة فى فن الرقص أو فن الغناء أو الموسيقى .

وتاريخ الفن المصرى الحديث حافل بالعديد من تلك المواقف التى ظهر فيها اشتغال المرأة المصرية بالفنون البعيدة عن فن التمثيل ، كالتطريب والرقص . . كما أن التاريخ يقول لنا : إن أصحاب المسارح آنذاك كانوا

يستعينون لسد ذلك النقص بالممثلين من الرجال الذين كانوا يقومون بالأدوار النسـائية .

وكان العكس فى ذلك بالنسبة للفنانة غير المصرية الوافدة أو المقيمة وهى من أصل غير مصرى . . إذا فُتح أمامها المجال على مصراعيه للعمل فى فن التمثيل المسرحى . . مثال ذلك دولت أبيض وبديعة مصابنى .

* **والظاهرة الثانية** : كانت تتمثل بصدق فى إقبال المرأة غير المصرية من هؤلاء الفنانات للاشتغال بالعمل السياسى . . وكان منهن من أفصح لنا التاريخ عن أسمائهن وعن أدوارهن ومنهن من لم يفصح لنا التاريخ عن ذلك الدور . . وعلى أية حال سوف يصادفنا عبر هذه الأوراق عدة أمثلة لهؤلاء الفنانات . . اللائى جمعن بين الفن ولعبة السياسة .

* * *

ولو ألقينا نظرة سريعة على الحياة الاجتماعية فى مصر فى مطلع هذا القرن . . لتوصلنا إلى تأصيل لتلك الظاهرتين ، ولعرفنا كذلك كم عاشت المرأة المصرية أو غير المصرية العديد من الصعاب التى وقفت حائلاً حتى فى مشاركتها فى الحياة العامة . . فالمرأة المصرية وحتى مطلع عام ١٩٢٠ لم تكن تستطيع على اختلاف مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية أن ترى الشارع إلا من خلف حجابين . . الحجاب الاجتماعى . . والحجاب الدينى . . ذلك باستثناء القلة من الرواد الأوائل من النسـاء اللاتى برزن فى بعض مجالات العمل الاجتماعى من خلال تكوين الجمعيات النسائية الأهلية . . والتى تم إشهارها على استحياء تحت تأثير تلك النداءات الإنسانية المتكررة التى كان يصدرها قاسم أمين ورفاقه من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم .

وحتى لو تركنا أوضاع المرأة المتدنية فى ذلك الوقت . . وأردنا أن نتعرف على موقف وموقع الرجل المصرى من العملية السياسية والاجتماعية . . لصدمنا كذلك . . حيث كانت السمة الغالبة على مجتمعنا هى تصدى الرجل الإقطاعى أو البرجوازى للعمل السياسى دون غيره . . ليس من أجل تحقيق المصلحة العامة . . وحل مشاكل مواطنيه . . بل لتحقيق مصالحه الشخصية فقط . . ومصالح عائلته ورجاله .

من هنا يتضح لنا مدى الصعوبة ومدى القسوة التى واجهت عمل امرأة مثل روزاليوسف . . ليس فى الحقل السياسى فقط . . بل والحقل الفنى أيضاً ، وذلك عندما غامرت تلك المرأة وقررت دخول الملعب السياسى من باب الصحافة الفنية ، مما أدى بها فى النهاية إلى دخول السجن . . معتقلة سياسية .

ولعل إلقاء بعض الأضواء المبهرة على حياتنا السياسية والصحفية فى مصر آنذاك يوضح لنا مدى هذه الصعوبات والعقبات التى كانت تواجه المرأة فى عالم الفن بشكل عام وعالم السياسة بشكل خاص .

وقد أشار إلى ملامح تلك الحياة السياسية فى مصر وأهم أحداثها . . العديد من كبار مؤرخينا وكتابنا الصحفيين . . من أمثال شيخ المؤرخين عبد الرحمن الرافعى والدكتور محمد حسين هيكل . . وكل من صبرى أبو المجد ومصطفى أمين وحافظ محمود . . فقد سجل كل منهم تفاصيل تلك الأحداث فى العديد من المؤلفات ذات الأهمية التاريخية الكبيرة .

كما أن السيدة روزاليوسف صاحبة هذه الحكاية قد سجلت هى الأخرى بعض ملامح تلك الأحداث فى أوراقها الخاصة .

وبشكل عام . . لقد كانت حياتنا السياسية فى مصر فى الفترة المذكورة تدور فى فلك تحقيق مطلبين ظلا الشغل الشاغل لكل رجال السياسة وجماهير الشعب فى آن واحد . . هذان المطلبان قد ارتبطا أولاً بتحقيق الحياة الديقراطية ممثلة فى إعلان دستور وطنى للبلاد . وثانياً بتحقيق الاستقلال عن دولة بريطانيا العظمى .

وكان على السياسيين من أجل تحقيق هذين المطلبين الشعبيين والقوميين ضرورة الاصطدام بكل من الملك والانجليز . . سواء مع كل منهما على حدة أو معهما معاً وفى وقت واحد . . ولقد أثمر الصدام الأول بين رجال الأحزاب وبين الملك فؤاد عن الفوز بالدستور . . الذى وُقع فى ١٣ أبريل عام ١٩٢٣ . . ولما كان الملك قد قبل إصدار الدستور تحت وطأة الضغط الشعبى . . لذلك كان كثيراً ما يلجأ هو وحكومته إلى تعطيله من آن لآخر . . ومع ذلك ضمن هذا الدستور إقامة حياة برلمانية متكاملة . . أتاحت للأحزاب الدخول فى اللعبة السياسية . . وبالتالى مهدت الطريق لمشاركة شعبية كبيرة فى العمل السياسى .

ولقد أدى الرواج السياسى الذى ضمنه دستور ١٩٢٣ إلى رواج من نوع آخر . . تمثل فى رواج الصحف . . والمجلات التى باتت تدعو لهذا الحزب أو ذاك .

وفى هذا الجو الملىء بالحركة السياسية . . كانت روزاليوسف فنانة مسرحية متألقة . . وقد ساعدها هذا التألق على النزول بقوة إلى عالمى الصحافة ثم السياسة . . رغم عدم ارتباطها بأى حزب من الأحزاب . . وقد كانت تميل عاطفياً إلى حزب الوفد حزب الأغلبية آنذاك .

والغريب أن معظم الأدوار التى لعبتها هذه الفنانة . . قد ارتبطت بحزب الوفد . . وبزعمائه سواء سعد زغلول أو مصطفى النحاس . . فى الوقت الذى كان فيه هذا الحزب السبب الرئيسى وراء هجرها العمل الفنى والتحاقها بقطار السياسة .

والأغـرب من ذلك وكـمـا سـوف يمر علينا . . أن ارتبـاط الفنانة روزاليوسف بحزب الوفد . . كان بسبب تألقها الصحفى والسياسى . . كما كان ابتعادها عنه ووقوفها فى خندق المعارضة ضده السبب فى دخولها السجن كأول معتقلة سياسية فى العصر الحديث .

* * *

ومـا نود أن ننوه عنه بعـد مـا عـرفنا بعـضاً من الظروف السـيـاسـيـة والاجـتمـاعـيـة المصرية فى الفترة التى ارتبطت بحياة روزاليوسف الفنية والسياسية . . أننا حين نتحدث عنها . . سوف نمزج فى حديثنا بين الفن والسياسة . . ذلك لاكتشافنا أن الفن كان سبيلها للعمل السياسى . . كما أن طريق الفن كـان ذاته الأفق الواسع الذى مكنهـا من الصـمـود داخل الملعب السياسى بكافة مشاكله وصعوباته .

بل أكثر من ذلك . . كـانت شـهرتـهـا الفنيـة . . السـبب الرئيسى وراء معرفتها بالعديد من الزعماء السياسيين فى تلك الفترة من أمثال مصطفى النحاس ومكرم عبيد وأحمد زيوار باشا وآخرين .

* * *

وبشكل عام . . لقد اقتنعنا . . أن بداية مشوارنا مع روزاليوسف . . كما يجب أن تكون . . لابد وأن تسير وفق ناموس الحياة الطبيعية . . فنتساءل

عن الأصل . . والكينونة . . والمولد والنشأة . . ثم الأدوار الفنية والسياسية . . وكان علينا من أجل الوصول إلى ذلك . . ضرورة الغوص فى أوراق التاريخ التى روته بنفسها أو التى رواها عنها غيرها .

ففى مقدمة طويلة . . كتبها الناقد الصحفى رجاء النقاش ونشرها عن الأديب الراحل إحسان عبد القدوس ذكر فيها عن تاريخ حياة تلك الفنانة « أن فاطمة اليوسف من مواليد مدينة طرابلس فى لبنان عام ١٨٩٧ . . وقد جاءت إلى مصر فى صباها وعاشت أشد ظروف الحياة قسوة ومرارة حتى استطاعت أن تقف على خشبة المسرح فى فترة الحرب العالمية الأولى .

وفى عام ١٩١٨ عندما ولد الطفل إحسان كانت هى الممثلة الأولى فى مصر ، والنجمة المتألقة التى أبكت جماهير عصرها بتمثيلها دور « غادة الكاميليا » .

وفى عام ١٩٢٥ اختلفت هذه الممثلة العظيمة مع يوسف وهبى صاحب فرقة رمسيس التى كانت فاطمة اليوسف بطلتها وممثلتها الأولى . . وقد قررت فاطمة اليوسف أن تعتزل التمثيل وأن تنشىء مجلة أسبوعية وتتفرغ للعمل الصحفى »[١] .

ويضيف رجاء النقاش : « . . ولم يكن قد سبق « فاطمة اليوسف » واحدة من نساء عصرها إلى إنشاء صحيفة سوى السيدة منيرة ثابت التى حصلت على ترخيص بإنشاء مجلة نسائية هى مجلة « الأمل »[٢] .

---

(١) إحسان عبد القدوس أمس واليوم وغداً - درمين القويسنى .

(٢) المصدر السابق .

وقد يكون من المثير حقاً أن نقول : إن فاطمة اليوسف التى اشتهرت باسم روزاليوسف كانت تحسن القراءة وكانت شخصية واعية مثقفة صاحبةرأى ومعرفة واسعة بالحياة الفنية والسياسية ، ولكنها لم تحسن الكتابة ، وكانت تمسك بالقلم لتوقع باسمها فقط !! أما مذكراتها المعروفة فقد أملتها فيما بعد على الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين وكانت تعتبره مع « فتحى غانم » من أبنائها مثل « إحسان » .

وتكمل لنا الفنانة روزاليوسف . . مشوار حياتها . . حين حكت تفاصيل ذلك المشوار فى أوراقها الخاصة . . فتلقى المزيد من الأضواء على بدايتها الفنية وعلاقتها المبكرة بالمسرح والتمثيل . . وكيف واجهت العديد من الصعاب حتى أقنعت من كانوا حولها بموهبتها الفنية المتأصلة .

ولقد تعمدت فاطمة اليوسف استخدام ضمير الغائب فى حكايتها عن نفسها كنوع من إنكار الذات . . وكرغبة منها فى إظهار مشوار حياتها . . وفقاً لهذا الغائب الذى كان يتحدث عنها . . فقالت على سبيل المثال :

« كانت يتيمة من الأب والأم ، وكانت صبية صغيرة تذهب أحياناً إلى مسرح يقع بالقرب من محلات « صيدناوى » اسمه « دار التمثيل العربى » . . تتفرج على المسرحيات وعلى أبطال هذه الحياة الغريبة التى تجرى أمام عينيها على المسرح . . وكانت فرقة « عبد الله عكاشة » تمثل على هذا المسرح بعد أن اعتزل الشيخ سلامة حجازى التمثيل[٣] .

ولم تكن هذه الفتاة الصغيرة تفهم شيئاً من هذا الذى يمثلونه إنما هى معجبة ، مبهورة بهذه المناظر المزخرفة والأضواء الساطعة . . بهذه الثياب

---

(٣) ذكريات - بقلم فاطمة اليوسف .

التاريخية التى يرتديها الممثلون وأشرطة الذهب والفضة التى تتحلى بها الممثلات ، هذا العالم الزاخر الخرافى من البطولات والمآسى والأحلام كان يبهرها ، وكانت تجلس الساعات تحدق فى المسرح ولا شىء يملأ خيالها إلا أن تلبس - يوماً ما - هذه الثياب العجيبة التى تلبسها الممثلات .

وكانت كثيراً ما تترك الصبية فاطمة اليوسف مكانها فى الصالة أثناء التمثيل لتتسلل إلى الكواليس . . تقف عند هذا الحائط أو ذاك تحدق فى الممثلين والممثلات وهم يروحون ويجيئون . . تحاول أن تتعلم طريقتهم فى النطق وتنغيم الكلمات . . وتتمنى لو أصبحت - مثلهم - تتحدث بالأشعار الرقيقة وتهتف بالكلمات الحماسية » .

وتحكى الفنانة فاطمة اليوسف عن بداية دخولها عالم المسرح وبداية لقائها بالفنان عزيز عيد : « وكانت واقفة ، تائهة ، هكذا يوماً حين رآها الممثل الكبير « عمر وصفى » . . الذى كان فى ذلك الوقت ضخماً جداً ، عريض الصوت ، واسع العينين ومعروفاً بنظراته المخيفة . . رآها عمر وصفى فسدد إليها نظرة فاحصة ، جاحظة ، بعثت الرعب فى أطرافها فانكمشت الفتاة فى الحائط كأنها تريد أن تدخل فيه . . واستمرت نظرة « عمر وصفى » إليها . . فاستبد بها الرعب فانطلقت تجهش بالبكاء فى حرقة شديدة . . ولم يتحرك « عُمر وصفى » . . بل قطب جبينه وصاح فيها بصوته الراعد : تعالى .

ولم تتحرك الفتاة ، ولم تتوقف عن البكاء ، إلا أنها لمحت بين دموعها رجلاً آخر يدخل المكان . . قصيراً ، قميئاً أحدب الظهر ويضع على كتفيه معطفاً عتيقاً ، مازالت تذكر لونه الأصفر إلى اليوم . . وفى عينيه كانت تطل طيبة وإنسانية عميقة . . وقد عرفت فيما بعد أنه « عزيز عيد » ، الذى اقترب

منها وناداها عدة مرات ، وهى معتصمة بصمتها ولا تجيب . . تحبس فى صدرها صوتها النحيف الهزيل وتضم نفسها فى جسدها الصغير . . وضحك « عزيز عيد » ثم أمسكها من يدها وقادها كما يقود الأب ابنته الغاضبة إلى مقهى صغير بجوار المسرح .

وبدأت الفتاة الصغيرة تتحدث و « عزيز عيد » يشجعها حتى أنها استراحت إليه وشعرت كأن كل ما يحيط بها وبحياتها من الوحدة والألم والضعف والشرود يسقط عنها .

ووجدت تلك الفتاة فى هذا الرجل القصير الأحدب أباً جديداً ، ولم تكن قد عرفت حنان الأبوة قط . وافترقا فى ذلك اليوم صديقين ، وأخذت الفتاة تكثر من ترددها على المسرح ومشاهدة رواياته . ولا تنسى أبداً أن ترى هذا الأب الجديد « عزيز عيد » . . وكانت تفرح كلما ذهبت تهنئه برواية جديدة أخرجها . . ثم حدثت قصة طريفة دفعت بالفتاة إلى خشبة المسرح فى دور غريب .

لقد قررت الفرقة أن تخرج رواية اسمها « عواطف البنين » وعهدت بإخراجها إلى « عزيز عيد » . . وكانت الرواية تحتوى على ثلاثة أدوار نسائية البنت والأم والحفيدة ، وكانت الفرقة تضم ست ممثلات كلهن سوريات مسيحيات ، « المظ ستاتى » و « إبريز ستاتى » و « مريم سماط » و « درة ميلان » و « صالحة قاصين » التى كانت فى سن الشباب . . وعهد عزيز عيد بدور البنت إلى أصغرهن « صالحة قاصين » وبدور الأم إلى « إبريز ستاتى » . . وبقى دور الجدة العجوز . . فرفضن جميعاً هذا الدور . . وعبثاً ذهبت محاولات عزيز عيد وصرخاته فيهن . . وأخيراً صاح بأعلى صوته ، أتعرفن الفتاة الصغيرة . .

يقصد « روزاليوسف » . . والتى تزورنى هنا أحياناً . . سوف أعطيها دور الجدة .

وترك « عزيز عيد » المسرح أسبوعاً كاملاً تفرغ فيه لتدريب تلميذته الصغيرة . . وبذل معها جهداً لعله لم يبذله مع الكثيرين .

وجاء اليوم العصيب ، وبين ضحكات الممثلين وتهريج الممثلات وقد انهمك « عزيز عيد » فى تحضير تلميذته الصغيرة للوقوف على المسرح وارتفع الستار ودخلت الصغيرة تمثل دور جدة فى سن السبعين . . وكان « عزيز عيد » نفسه أول من فوجىء بنجاحها الباهر .

ومن تلك اللحظة بدأ ينظر إلى فتاته الصغيرة على أنها فنانة حقاً وقد كان ، ومن كلماته المأثورة : « إننى لا أستطيع أن أجعل من الرصاص ذهباً ولكننى أستطيع أن أكتشف الذهب وأن أجعله لامعاً خلاباً » .

وآمن « عزيز عيد » بنبوغ تلميذته فأخذ يعلمها بكل ما يملك . . فأخذ يشترى لها الكتب لتقرأ وأحضر لها شيخاً يلقنها دروساً فى اللغة العربية . . وكان إذا جلس معها يحدثها بالفرنسية ويحاول أن يعلمها هذه اللغة تدريجياً . . ورأت الفتاة هذا الاهتمام فزاد حماسها وانصرفت إلى الفن تنهل من موارده وتتعمق فى أسراره وتبذل الجهود المضاعفة للبروز فيه . . حتى وصلت إلى الممثلة الأولى فى عالم السينما . . انطلاقاً من مسرح رمسيس .

* * *

وكان من الممكن أن تكتفى مثل هذه الفنانة التى نالت حظاً كثيراً من الشهرة . . بما وصلت إليه . . مثل عشرات الفنانين والفنانات من أبناء جيلها

لولا ما بداخلها من استعداد طبيعى للعطاء . . هذا الاستعداد قد دفعها إلى تغيير مسار حياتها . . من الفن إلى الصحافة ثم إلى السياسة . . على الرغم من وجود العديد من العقبات التى وقفت آنذاك فى طريق استمرارها فى موقعها التى انتزعته بقوة فى عالم المسرح .

ولسوف نعرف بعد لحظات . . كيف استطاعت « روزاليوسف » أن تحول مسار هذه الحياة . . إيماناً منها بعدم الاعتراف بالفشل . . حتى ولو كان فى الفن المسرحى الذى عشقته طويلاً .

وقد حكت فاطمة اليوسف للتاريخ عن مقدمات تلك النهاية التى قربتها من عالم الصحافة ونقلتها أيضاً إلى الملعب السياسى . . فنراها تقول على سبيل المثال :

« ويبدأ الفشل يزحف على فرقة رمسيس مع بداية الموسم الثالث لها ، وتجمع الطفيليون حول « يوسف » - تقصد يوسف وهبى - كما يتراكم الفراش يتملقون صاحب المال . . وكان خلاف الممثلة الأولى - « روزاليوسف » مع « يوسف وهبى » - وهو الخلاف الذى أدى إلى تركها فرقة رمسيس ، كان بسبب رواية من روايات الفواجع وكان اسمها « الذبائح » . . ولست أنوى أن ألخص القصة . . وإنما أريد أن أشير فى إيجاز إلى نفسية المؤلف « أنطون يزبك » بعد أن شهدنا له قصتين . . فأكبر ظنى أنه وهو يكتب لا يسعى إلى إرضاء الفن وحسب ، ولكنه يسعى أيضاً إلى التأثير على الجمهور » . . ومثلت « الذبائح » وكان للمؤلف ما أراد . . لقد أبكت الجمهور وراجت تجارة المناديل وأقلقت راحة جمعية الإسعاف . . لقد كانت تلك الرواية هى التى خرجت من أجلها الممثلة

الأولى من الفرقة . وبالفعل تركت فنانتنا فرقة رمسيس وسافرت فى أجازة إلى باريس عام ١٩٢٤ . . أما الفرقة فمضت تتوالى عليها الضربات . . عندما بدأ النقاد يكتبون عن فرقة رمسيس مقالات أقرب إلى رثاء الموتى وذلك ابتداء من أبريل عام ١٩٢٤ .

والحقيقة أن « فرقة رمسيس » لم تعش كفرقة ناجحة ذات سمعة رفيعة إلا ثلاث سنوات ، أما السنوات التى عاشتها بعد ذلك فهى لا تحتسب فى عمرها . . فقد فقدت الفرقة اسمها القديم .

ولم تتصور روزاليوسف لحظة واحدة أن حياتها الفنية يمكن أن تنتهى بهذه الطريقة الغريبة . . لذلك نراها وقد استجابت بسرعة لدعوة الكاتب الصحفى محمد التابعى . . فتركت باريس على إثر تلك الرسالة التى بعثها إليها صديقها التابعى . . وكان مرفقاً بالرسالة عقد عمل كبطلة لمسرحية فرقة الريحانى .

ومع ذلك ، وكما أكدت « روزاليوسف » فى مذكراتها . . فإنها لم تستمر مع فرقة الريحانى إلا أسبوعين فقط . . وكان القرار بلا رجعة . . لذلك نجدها ابتداء من عام ١٩٢٤ . . حاولت إعداد مكوناتها الشخصية والعامة للجهاد فى العالم الجديد الذى فرض نفسه عليها . . وهو عالم الصحافة الفنية .

ولقد ذكرنا من قبل أن « روزاليوسف » . . كان بداخلها استعداد فطرى للمساهمات الوطنية . . هذا الاستعداد كان أيضاً طريقها نحو عالم السياسة رغم وعورته . . فبعد أن اعتزلت الفن المسرحى عام ١٩٢٤ . . عادت إليه من جديد ولمدة ليلتين فقط . . وذلك حين دعا الزعيم مصطفى النحاس كل

القادرين بضرورة المساهمة فى إعادة بناء إحدى القرى التى دمرتها الحرائق فى عام ١٩٣٤ .

ولقد سارعت الفنانة الصحفية السياسية « فاطمة اليوسف » لتلبية ذلك النداء فقبلت إعادة تمثيل دورها فى مسرحية « غادة الكاميليا » وتخصيص إيرادها لصالح هذه القرية المنكوبة .

ومن يومها اقتربت كثيراً من الملعب السياسى . . ومن زعامات حزب الوفد الذى كان يمثل آنذاك حزب الشعب والأغلبية . . لأنه وبعد أقل من تسع سنوات من اعتزالها الفن المسرحى . . وارتيادها عالم الصحافة الفنية مع الكاتب الصحفى « محمد التابعى » . . عادت لترتمى فى أحضان السياسة والصحافة الحزبية .

ولعلنا نستطيع القول فى هذا السياق . . أنه إذا ما كانت مسرحية « غادة الكاميليا » الطريق الممهد الذى سلكته « روزاليوسف » نحو عالم الشهرة والمجد فوق خشبة المسرح ، فإن تلك المسرحية ذاتها كانت سبيلها كذلك نحو الانطلاقة السياسية القوية . . التى بدأت بالتقرب إلى حزب الوفد وزعمائه .

ففى الحفل الخيرى الذى ساهمت فيه « روزاليوسف » كممثلة مسرحية لا كصحفية أو سياسية . . التقت ولأول مرة مع الزعيم مصطفى النحاس . . الذى كان آنذاك يتولى زعامة المعارضة داخل البرلمان . . وقد أبدى الزعيم اعجابه بتلك المبادرة التى قامت بها الفنانة روزاليوسف على الرغم من اعتزالها الفن المسرحى ، وكان مثار إعجابه مسرحية « غادة الكاميليا » وبطلتها الأولى الفنانة روزاليوسف ، هذا الإعجاب كان بمثابة دعوة مفتوحة لانتقالها إلى الملعب السياسى . . وقد كان .

ويبدو أن الزعيم مصطفى النحاس كان فى الوقت نفسه . . من المعجبين بالصحفية « روزاليوسف » . . التى هجرت الفن من أجل عيون الصحافة . . عندما اشتركت مع صديقها الكاتب الصحفى محمد التابعى فى إصدار مجلتها « روزاليوسف » . . ولحبها الشديد لهذه المجلة . . كانت « فاطمة اليوسف » نفسها كثيراً ما تذكرها بالخير فى أوراقها وفى مذكراتها .

والغريب أن فاطمة اليوسف سرعان ما استجابت لدعوة زعيم الأمة . . فبعد أقل من سنتين على صدور مجلتها الفنية . . جاهدت بقوة لتحويلها إلى مجلة سياسية . . هذه المجلة كانت سبيلها الطبيعى للخوض فى حياة مصر السياسية سواء من خلال علاقتها بحزب الوفد . . أو علاقتها بالزعماء الآخرين . . وبالأحداث السياسية المصرية الساخنة آنذاك .

وقد روت الفنانة القديرة « فاطمة اليوسف » قصة تلك المجلة الفنية . . وكيف نشأت فكرتها . . فقالت :

« نبتت فكرة المجلة فى محل حلوانى اسمه « كساب » . كان فى المكان الذى تشغله الآن سينما ديانا . . وكنت جالسة ساعة العصر مع الأصدقاء « محمود عزمى » و « أحمد حسن إبراهيم خليل » نتحدث عن الفن . . وتطرق الحديث إلى حاجتنا الشديدة لصحافة فنية محترمة ونقد سليم يساهم فى النهوض بالحياة الفنية . . ويقف فى وجه المجلات التى تعيش على حساب الفن كالنباتات الطفيلية . . ولمع فى رأسى خاطر وقفت عنده برهة قصيرة ثم قلت للزملاء بعد هذه البرهة من الصمت : لماذا لا أصدر مجلة فنية ؟ !

ويقول الأستاذ « صبرى أبو المجد » : « إنه فى يوم الاثنين ٢٦ أكتوبر عام ١٩٢٥ صدرت مجلة « روزاليوسف » صحيفة أسبوعية أدبية مصورة ،

صاحبتها ومديرتها السيدة « روزاليوسف » ١٠ شارع جلال ، والاشتراكات ٦٠ قرشاً فى السنة و ٤٠ قرشاً فى نصف السنة و ٢٠٠ قرش فى الخارج[٤] .

وفى المقالة الافتتاحية للمجلة قالت فاطمة اليوسف تحت عنوان « كلمات وعهود » : « يقولون : إن الممثل الذى تعوزه مواهب الأداء ينتهى به الأمر أن يسكن كمبوشة الملقن ، وأقول إن الممثل الحق ، إذا كان مؤمناً بفنه وبأثره فى التهذيب ثم وجد من فنه متسعاً ليلهو ، أو تولاه سأم من تنقله فوق المسرح عمد إلى الكتابة . . يداعبه إذ يبثه شجونه ويستجديه طمأنينة وسلام . . » .

* * *

وبعد صدور تسعة أعداد من المجلة بالصبغة الفنية . . حاولت « فاطمة اليوسف » الاقتراب حثيثاً من الحياة السياسية المصرية . . وكانت البداية صدور العدد العاشر من السنة الأولى بتاريخ ٢٨ ديسمبر عام ١٩٢٥ وعلى الغلاف صورة كبيرة لصاحب الدولة الرئيس الجليل « سعد زغلول » جالساً ووقفت أم المصريين إلى جانبه تربت بيدها على كتفه . . وقد كتبت « روزاليوسف » « مجدد شباب الأمة فى شبابه ومعه السيدة صفية أم المصريين . . » .

وبعد ثلاثة أشهر من صدور هذا العدد . . وفى عدد « روزاليوسف » الصادر فى ٢٤ مارس عام ١٩٢٦ وفى برواز أسفل الصفحة التاسعة من المجلة وتحت عنوان مجلة روزاليوسف : رخصت لنا وزارة الداخلية بإصدار جريدة سياسية أسبوعية تحمل اسم « روزاليوسف » . . وإدارة المجلة توالى الآن إعداد المعدات للقسم السياسى . . وتريد أن تلفت نظر حضرات

---

(٤) محمد التابعى - صبرى أبو المجد .

القراء إلى أن صبغة المجلة الفنيـة الأدبية باقية كما هى . . وأن القسم السياسى لا يؤثر بحال من الأحوال على أبواب المجلة ولونها الحالى .

وهكذا تحولت الفنانة الصحفية إلى كاتبة سياسية . . تملك مجلة تعبر من خلالها عن آرائها وطموحاتها . . وقد أوضحت فى أوراقها الخاصة تلك الدوافع الحقيقية التى حدت بها إلى تغيير مسار طريق هذه المجلة من الفن إلى السياسة . . فقالت : « نعم فكرت أن تصبح « روزاليوسف » مجلة سياسية . . فالمجلات الفنية سوقها محدود . . وقد بدأت أهتم بالسياسة وأسعى إلى حيث يخطب سعد زغلول لأسمعه وأقرأ تطورات الحركة الوطنية وأنفعل وأتحمس لكل مظاهرة تنطلق فى الشوارع هاتفة بالاستقلال التام وخروج الإنجليز » .

* * *

ومن خلال تتبع واعٍ لمسيرة فاطمة اليوسف فى الشارع السياسى . . اكتشفنا أن البداية الحقيقةَ لها فى هذا المضمار كانت متمثلة بشكل واضح فى أول صراعاتها مع الحكومة حين رفضت وزارة الداخلية تحويل مجلتها الفنية إلى مجلة سياسية . . وكان السبب كما روت « فاطمة اليوسف » نفسها . . أن الوزارة ظنت أن حزب الوفد يستتر وراء « روزاليوسف » ، وقد حاولت تكذيب هذه الصلة وهذه العلاقة على أمل الحصول على الترخيص . . مع أن الواقع بالنسبة لعلاقتها بحزب الوفد كان يختلف تماماً عما أشاعته !

ثم جاءت المواجهة الثانية . . مع رئيس الحكومة . . حين ذهبت « فاطمة اليوسف » لمقابلة « أحمد زيوار باشا » . . محتجة ومطالبة بإعطائها الترخيص السياسى . . وكانت هذه المقابلة فى صالحها . . حيث استدعى

رئيس الوزراء وكيل وزارة الداخلية آنذاك « حسن رفعت » وقال له كلمته المشهورة « أعطوها الترخيص . . خلوها تاكل عيش » .

وتؤكد « فاطمة اليوسف » أن مجلتها الفنية « روزاليوسف » أصبحت بعد حصولها على الترخيص الجديد مجلة سياسية . . وقد دخلت إلى ميدان السياسة وحيدة لا يساندها حزب ولا يمولها حاكم ولا يدبج لها المقالات كاتب سياسى قديم .

وعلى المستوى الشخصى . . خاضت « فاطمة اليوسف » المواجهة السياسية الثالثة مع صديقها الكاتب والناقد الفنى « محمد التابعى » . . وذلك حين أجبرته على الخوض معها فى دروب السياسة . . والانتقال من كتابة النقد الفنى إلى كتابة المقال السياسى .

ولقد نجحت فى تلك المواجهة نجاحاً باهراً حيث تحول « التابعى » وبعد فترة وجيزة إلى كاتب سياسى مرموق . . وقد اعتمدت مجلة روزاليوسف كثيراً على خبطاته الصحفية السياسية ، بل واستمر نجاحه فى هذا الميدان طويلاً حتى تمكن من إصدار مجلة « آخر ساعة » وجريدة « المصرى » .

وتقول « فاطمة اليوسف » إن صديقها « التابعى » قد بدأ بالفعل يكتب فى السياسة ابتداء من يونيو عام ١٩٢٦ . وأن أول عمل سياسى ارتبطت به بنفسها كان بمناسبة وقوع حادث من أبرز حوادث التاريخ المصرى الحديث . . وهو محاكمة المرحومين « أحمد ماهر » و « النقراشى » باشا بتهمة تكوين عصابة قامت باغتيال السردار وغيره من الإنجليز !!

ولقد قررت « روزاليوسف » آنذاك حضور جلسات تلك المحاكمة . . وبلغ عدد ما حضرته من تلك الجلسات سبع جلسات متوالية . . كما كتبت

بهذه المناسبة مقالاً سياسياً طويلاً قارنت فيه بين القاضى الانجليزى وبين الممثل بشارة واكيم .

وشيئاً فشيئاً أخذ اتجاه المجلة يميل إلى « سعد زغلول » . . والهجوم على الإنجليز وأصدقائهم من المصريين . . وبالتالى بدأ سعد نفسه يسأل عن « فاطمة اليوسف » ويهتم بها . . والغريب كما تقول « فاطمة اليوسف » : « إننى لم أقابله قط . . وبدأ سائر أعضاء الوفد الكبار يقبلون على المجلة ويترقبون صدورها . . ولكنهم كانوا إذا دخلوا بيوتهم أخفوها فى جيوبهم حتى لا تقع عليها عُيون أهليهم ، فقد كان ولا يزال غريباً أن تحمل مجلة سياسية مرموقة اسم سيدة فنانة ! » .

* * *

وقد وجدت « روزاليوسف » نفسها داخل المعترك السياسى ووسط لهيب العملية السياسية . . سواء من خلال ما كانت تكتبه . . أو من خلال علاقاتها بالزعماء السياسيين ، رغم الضربات التى كانت توجه لروزاليوسف الصحفية وللمجلة . . فكانت قليلاً ما تتوقف عن مواصلة السير نحو دروب الحياة السياسية .

وكان من أبرز ما قامت به « روزاليوسف » على هذا الطريق . . المواجهة الساخنة بينها وبين الأسرة الحاكمة والملك فؤاد . . عندما بدأ الكاتب الصحفى « محمد التابعى » نشر سلسلة مقالاته القوية عن مفاسد الحياة الخاصة لملوك وملكات أوربا . . وكذلك عن سلوكيات الأسرة المالكة . . وعدم أحقية الملك فؤاد فى إقالة الوزارات . . أى حتى عام ١٩٣٤ . . وذلك حين قرر كاتبها الأول « محمد التابعى » الانفصال عن صديقته

« فاطمة اليوسف » . . واصدار مجلته الشهيرة « آخر ساعة المصورة » ، وكذلك حين قرر حزب الوفد فصلها من عضويته بعدما قررت الوقوف ضده فى الشارع السياسى .

ولقد عبرت « فاطمة اليوسف » عن أزمتها مع حزب الوفد فقالت : « ومضت المعركة بين « روزاليوسف » والوفد متصلة العنف . . بالغة المرارة . . لا تنقطع الصحف الوفدية عن مهاجمتها صباح مساء . . ولا يكف العقاد عن شن الحملات على « مصطفى النحاس ومكرم عبيد » .

وكانت نتيجة هذه المعركة أن ألغت وزارة الوفد رخصة « روزاليوسف » اليومية . . ثم تحول هجومها إلى « روزاليوسف » الأسبوعية تريد أن تلحق بها الضرر مثل أختها الصحيفة اليومية . . وفى هذا الصدد تؤكد « فاطمة اليوسف » أن مجلة « روزاليوسف » هى أول مجلة يحاربها الوفد ثم لا تموت ، وقد عللت سبب ذلك بقولها : « ولاشك أن هذه كانت علامة على أن الوفد بعد عقد معاهدة عام ١٩٣٦ قد بدأت قوته تقل » . . ولقد صدق ما توقعت فظلت مجلة « روزاليوسف » الأسبوعية تصدر وحتى الآن .

* * *

وعلى صعيد آخر فقد استطاعت الفنانة القديرة « فاطمة اليوسف » أن تحقق العديد من النجاحات الشخصية فى حياتها السياسية سواء من خلال ما كانت تكتبه من مقالات فى مجلتها اليومية أو الأسبوعية . . أو من خلال علاقاتها المتميزة مع العديد من الزعماء السياسيين البارزين فى ذلك الوقت .

وإذا ما كنا قد تناولنا من قبل بعض القضايا السياسية التى عالجتها من

خلال المساحة التى كانت مخصصة لمقالها الأسبوعى فى مجلتها السياسية اليومية أو الأسبوعية . . فإننا سوف نقصر حديثنا فى الأوراق القادمة والمتبقية من هذا الفصل عن علاقتها بأبرز هؤلاء الزعماء السياسيين . . مع العلم بأنها كانت فى البداية عضواً بارزاً فى حزب الوفد . . ثم انقلبت عليه . . وذلك وفقاً لما ذكرته هى نفسها فى أوراقها ومذكراتها .

لقد عرفت « فاطمة اليوسف » أغلب الزعماء الكبار . . وكان أغلبهم لا يتحدثون فى مجلسهم إلا بالطعن فى الآخرين . . وكانت أغلب المطاعن التى يوجهونها إلى غيرهم مطاعن شخصية . . وبين هؤلاء كان « مصطفى النحاس » وهو الوحيد تقريباً الذى لا يتحدث فى مجالسه عن الآخرين ، وفى ذلك الوقت كان « مكرم عبيد » أقرب الناس إلى مصطفى النحاس والمسيطر عليه إلى حد كبير وحول « النحاس » أيضاً كانت تلتف حاشية من تلك التى تجدها حول كل زعيم . . »

كما قالت بالحرف الواحد عن علاقتها المتميزة بالزعيم « مصطفى النحاس » : « أذكر أننى ذهبت مرة إلى سرادق الاحتفال بذكرى ١٣ نوفمير وكان مكتظاً بالجماهير الملتهبة . . ومصطفى النحاس واقفاً يخطب على منصة فى صدر السرادق . . وكان فيه قسم خاص للسيدات . . لم أشأ أن أذهب وأجلس فيه . . وسمع « النحاس » عند مدخل السرادق هتافاً وضجة : « وسع يا جدع . . وسع أنت وهوه » . . وصاح النحاس : فيه إيه هناك ؟ ! . . ثم رآنى أدخل ، والواقفون يحاولون أن يفسحوا لى مكاناً أجلس فيه . . فصاح فيهم : شيلوها وهاتوها هنا . . ! وقبل أن أفكر فى الأمر . . كانت الجماهير قد حملتنى . . وفى لمح البصر وجدتنى أجلس على المنصة بجوار « النحاس » .

أما عن علاقتها بإسماعيل باشا صدقى . . فقالت عنها : « لم أر صدقى طوال المدة التى قضاها فى الحكم . . ولكننى تعرفت عليه بعد ذلك بسنوات وعرفت فيه حينئذ رجلاً نادراً فى صفاته الشخصية بغير شك ، ذكياً ، مجاملاً ، دائم الابتسامة ، تصدر عنه الآراء الصائبة فى سهولة ويسر دون أن يكدح فى سبيل العثور عليها .

وكانت آخر مرة رأيته فيها حين ألف وزارته الأخيرة عام ١٩٤٦ . . وطفت معه بعض شوارع القاهرة والمظاهرات الصاخبة تحيط بثكنات الإنجليز ، وتريد الهجوم عليها . وكان صدقى قد تغير ولم يعد الجبار القديم فهو يلجأ إلى الحيلة دون سواها ، ويحاول أن يكسب باللين قبل أن يكسب بالشدة . . وسافر صدقى إلى فرنسا ليموت هناك . . » .

وبالاضافة إلى « مصطفى النحاس باشا » رئيس الوفد ورفيقيه « مكرم عبيد » و « إسماعيل صدقى باشا » . . عرفت « فاطمة اليوسف » أيضاً كل من « على ماهر » باشا رئيس الديوان الملكى وذلك قبل توليه رئاسة الوزارة .

وقد ذكرت عن تفاصيل تلك العلاقة الشىء الكثير . . فقالت على سبيل المثال : « . . ولقد أيدت على ماهر كثيراً . . وكنت أعتقد أنه الرجل العفيف فى عداوته للإنجليز من ناحية والذى يستطيع أن يرشد « فاروق » ويوجهه من جهة أخرى . . ثم حدث أن كنت أزوره مرة فى مكتبه وهو رئيس الديوان و « فاروق » لا تزيد سنه على ثمانى عشرة سنة . وكان الشائع أن « على ماهر » - الرجل المجرب الكبير - هو الذى يحكم « فاروق » ويوجهه . . بل ويخيفه أيضاً . . وبينما أنا جالسة فى مكتبه بالقصر إذ دخل موظف يقول له « إن الملك آت » . . وإذا بى أرى « على ماهر » يقفز من مقعده قفزاً ويرتبك

غاية الارتباك وهو يبحث عن طربوشه يلبسه وينسق هندامه ويرتب مكتبه كما يفعل الموظف الصغير إذا سمع صوت رئيسه الرهيب . ووقفت أنا ذاهلة لا أدرى ماذا أصنع حتى سمعت « على ماهر » يقول مرتبكاً : انت مستنية ليه ؟ . . انت هتعملى ايه ؟ . .

وكنت فى دهشة من هذا الارتباك الغريب فقلت له : من أى باب أخرج . . فقال فى عصبية : من الباب اللى دخلت منه . . ! وخرجت . . خرجت وقد عرفت نوع العلاقة بين على ماهر وفاروق . . » .

ويخلاف هؤلاء وهؤلاء . . عرفت فاطمة اليوسف عن قرب « أحمد حسنين » باشا رئيس الديوان الملكى . . الذى قربها إليه هو الآخر . . ومن هذا الموقع المتقدم جداً . . كانت فاطمة اليوسف الشاهد الحى على خلافه مع نظيره السياسى « على ماهر » . . ولعل ما يشهد بذلك قولها : « نعم . . فقد كان على ماهر وأحمد حسنين يتبادلان الكراهية الشديدة . . وقد لمست ذلك بنفسى . . إذ ذهبت إلى أحمد حسنين مرة أحدثه عن خلافه مع على ماهر فأخذ أحمد حسنين يقول عن على ماهر كلاماً شديداً ويكرر : « ده هوه اللى خرب البلد . . ده رجل ألمانى . . ده كان حيودينا فى داهية » .

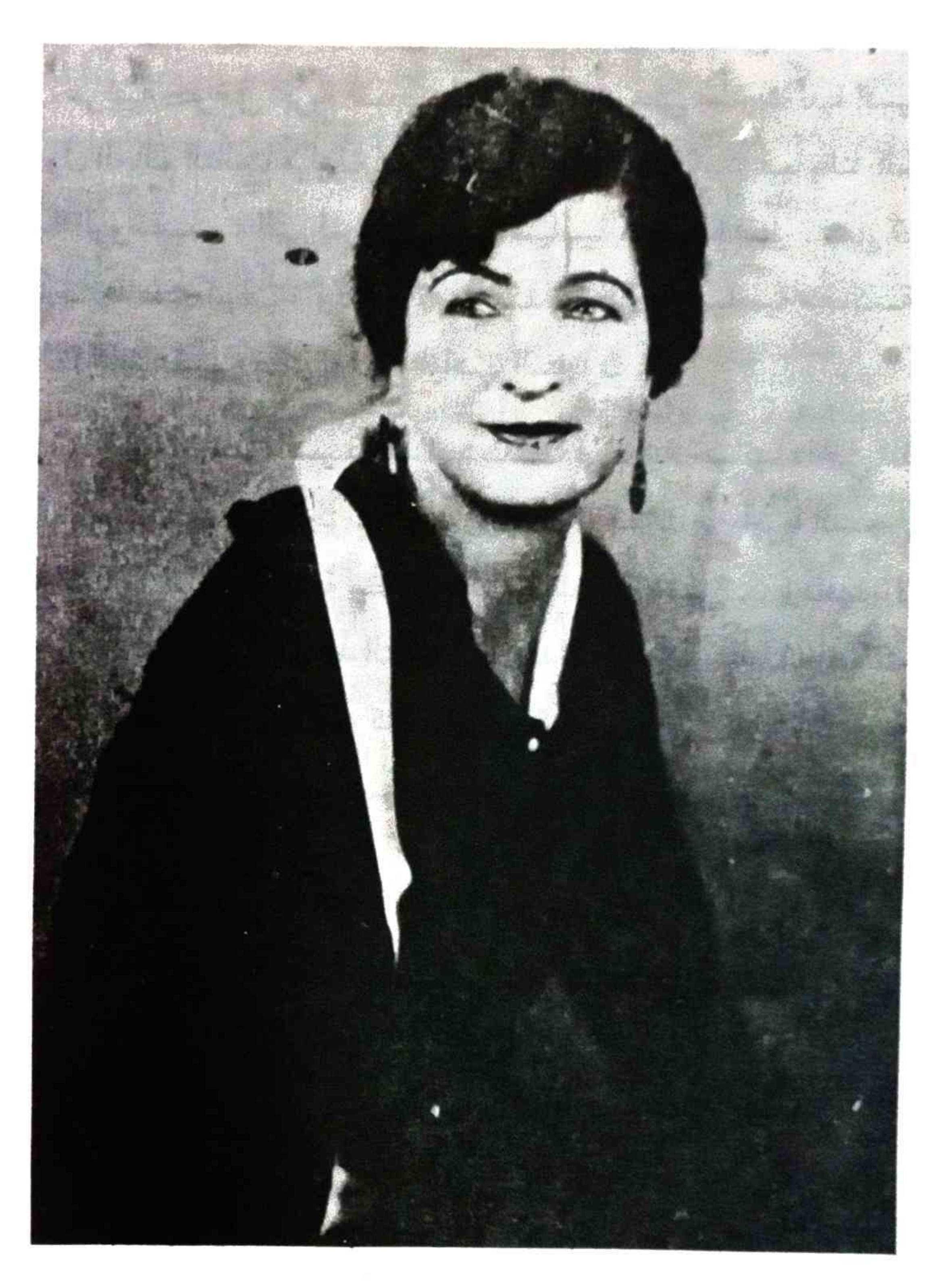
ليس هذا فقط . . بل قالت فاطمة اليوسف عن شخصية أحمد حسنين : « وكان أحمد حسنين شخصية ناعمة مهذبة . . شديد العناية بملابسه وحياته . . يجيد التزام قواعد الإتيكيت والمجاملة ولكننى لم أكن أرتاح إلى هذا الشخص الناعم الخلاب . . فقد كان صعباً لكثرة هذا الطلاء الذى يضعه على نفسه أن تعرف حقيقته أو تسبر غوره . . » .

* * *

وكما هو معروف خاصة فى البلاد المتخلفة ، فإن رجل السياسة دائماً يكون عرضة لخوض تجربة السجن والاعتقال . . حتى صارت لعبة السياسة فى دول العالم الثالث مرادفة لنيل تلك العقوبة السخيفة . . فما بالنا بالسيدة فاطمة اليوسف . . التى لم تكن مجرد سياسية محترفة فقط . . بل كانت أيضاً كاتبة صحفية . . وكانت تعيش كذلك ظروفاً سياسية معاكسة كل أحداثها كانت تنبىء باقترابها من غياهب السجون .

والغريب أن تلك السيدة قد استطاعت فى بداية حياتها داخل الملعب السياسى وباقترابها من حزب الوفد وزعيمه الإفلات من تجربة السجن . . كما أفلتت من تلك العقوبة أيضاً فى أثناء عملها الصحفى . . وذاقها بالإنابة عنها صديقها الكاتب محمد التابعى . . ولذلك نجد أنها عندما انفصلت عن الحزب وابتعدت عن زعمائه كان لابد لها وأن تذوق مرارة تلك التجربة . . فدخلت السجن . . ليس بسبب تهمة الرأى . . بل لموقفها السياسى المعارض لحزب الوفد .

* * *



هكذا كانت الفنانة الكبيرة « فاطمة اليوسف » فى بداية حياتها الفنية . .
ممثلة المسرح الأولى فى مصر عام ١٩٢٤



الفنانة « فاطمة اليوسف » . . ولقطة خاصة فى عالم السياسة والصحافة



أمينـة
فى مجلس الشورى بالتعيين
بعد أكثر من ٦٠ عاماً فى الفن

يظل الفنان . . يعيش فى الواقع قليلاً . . وفى الخيال أكثر . . وذلك بحكم ارتباطه بالكلام المكتوب فوق الورق . . وبإرادة المؤلف أيضاً . . وإذا ما حاول الخروج عن خياله ولو لساعات . . يظل يدور ويلف إلى أن يلتقى بذلك الخيال مرة أخرى . . حتى داخل نفسه .

والمرات القليلة التى ينجح فيها الفنان . . فى الهروب من خياله . . تتبلور بشكل عملى فى إرادته حين يريد تحقيق مصلحة عامة . . بعيداً عن كواليس المسرح أو الشاشة الفضية .

ومن خلال رصدنا للواقع أو الخيال الذى يعيشه الفنان وباستمرار اكتشفنا أن لحظات الهروب المعينة لا تتحقق بالفعل إلا إذا أجبر الفنان نفسه أو تم إجباره على العمل العام . . وأن أهم ميادين العمل العام المقصود . . هو العمل السياسى .

ولاشك أننا حين نتطرق للحديث عن قصة حياة الفنانة الكبيرة أمينة رزق . . سوف نتلمس تلك القاعدة . . وذلك لأنها ظلت لسنوات طويلة

حبيسة الخيال . . المرتبط بالأعمال الفنية . . بصرف النظر عن تعبير ذلك الخيال عن واقع موجود أو غير موجود .

كما سوف نتبين من خلال تتبع واعٍ لتلك الرحلة الفنية الطويلة أن أمينة رزق . . حاولت قدر إمكاناتها أن تترجم بعض هذا الخيال إلى واقع . . وقد تجلى ذلك فى مشاركتها زملاء المهنة بعض همومهم وبعض مشاكلهم . . وكان الميدان الواسع لتلك المشاركة . . نقابات الفنانين .

ورغماً عنها . . فوجئت بأن ذلك الواقع قد كبر واتسع . . وأصبح مفروضاً عليها . . ومن جانبها لم تحاول الفكاك منه . . ذلك لأنها ربما كانت تنتظر تلك اللحظة . . وتحاول تلمس ذلك الواقع بالشكل الذى نزل عليها من السماء فى صورة عضوة فى مجلس الشورى .

والواقع المتسع الذى نقصده هنا هو القرار الذى صدر من مؤسسة الرئاسة مع بدايات عام ١٩٩١ باختيارها عضواً فى ذلك المجلس بالتعيين . . وقد اقتربت كثيراً من واقعنا السياسى . . ليس فى خيالها فحسب بل وفى الواقع أيضاً .

وعلى أية حال . . سوف نعيش طويلاً مع هذا الحدث الجلل الذى هز كيان أمينة رزق . . وجعلها لا تصدق ذلك الواقع إلا حينما حلفت اليمين الدستورية أمام رئيس المجلس . . وكانت تجربة حية فى ذاتها . . استحقت منا بالفعل أن نسجلها ونسجل أهم لقطاتها . . خاصة وأنها قد نجحت بامتياز فى تلك التجربة السياسية الجديدة . . الأمر الذى جعل أولى الأمر من المسئولين ورجال السياسة فى الدولة يعيدون اختيارها مرة أخرى . . بعدما أخرجتها القرعة السنوية .



ولاشك أن حياة الفنانة أمينة رزق مع بداية عام ١٩٩١ . . قد اختلطت بالفن والسياسة فى وقت واحد . . هذا الاختلاط لم يمنعها أبداً من العودة إلى الخيال والعيش فى كل أدوارها الفنية التى عادة ما تتقنها إلى حد الإعجاز .

ونستطيع أن نقول : إن ذلك الخيال قد تمدد بفعل مهارة الصنعة حتى بات قريباً جداً من الواقع . . الذى كثيراً ما نشاهد بعض ملامحه سواء فوق صفحات الصحف السياسية أو فوق شاشة التليفزيون . . هذا الاختلاط قد ساعد أمينة رزق فى كثير من الحالات على اتقان دورها داخل مجلس الشورى . . بالقدر الذى ساعدها على إتقان دورها فوق المسرح الذى عشقته منذ طفولتها . . ومنذ وقوفها لأول مرة عليه فى مسرح فرقة رمسيس .

من أجل ذلك كله . . كانت الفنانة أمينة رزق بيننا الآن . . كضيفة رئيسية من ضيوف هذه الأوراق باعتبارها فنانة عملت بالسياسة . . إلى جانب عملها الفنى بصرف النظر عن التوقيت أو الفعالية فى المشاركة . . هذه الاستضافة فرضت علينا إلقاء الأضواء المبهرة على حياتها فى كل من المجالين الفنى والسياسى . . وذلك لأن وجودها السياسى قد استمدته فى الأصل من وجودها الفنى .

وعلى أية حال . . سيكون لنا معها العديد من الوقفات الطويلة نناقش من خلالها أهم أدوارها الفنية وكذلك السياسية . . على أمل أن نقدم صورة حية لتلك الحياة الطبيعية التى عاشتها وما زالت تعيشها الفنانة القديرة أمينة رزق . . سواء فى الواقع الفنى أو السياسى .

والشىء الملفت للأنظار فيما يخص قصة حياتها . . أننا وأثناء إعدادنا لحديث الفصل الجديد من فصول كتابنا « فنانات فى الشارع السياسى » . . اكتشفنا وجود ارتباط كبير بينها وبين الفنانة القديرة فاطمة اليوسف . . هذا الارتباط تتضح ملامحه بشكل كبير فى مجال الفن والسياسة بصرف النظر عن التوقيت أو نوع المشاركة السياسية .

* * *

ولاشك أن العودة لتتبع بدايات مشوار حياتها الفنية . . يمكن أن يوضح لنا أكثر آفاق التطابق أو ذلك الارتباط . . وقد حرصت أمينة رزق وفاطمة اليوسف على تسجيل تلك البدايات فى أوراقهما الخاصة .

وكما هو معروف . . فقد سجلت الفنانة فاطمة اليوسف مشوار حياتها داخل دروب عالم الفن . . ولم تنس كذلك أن تسجل للتاريخ . . آفاق أعمالها السياسية وكذلك الصحفية . . ولعل من أهم ما ذكرته فاطمة اليوسف فى أوراقها الخاصة كان يتصل اتصالاً مباشراً بتوقيت لقائها بالفنانة أمينة رزق . . هذا التوقيت لاشك يساعد كثيراً فى تتبع تلك البدايات الفنية المشتركة والتى ولدت داخل فرقة مسرح رمسيس والتى كونها الفنان الراحل يوسف وهبى .

ومن أهم ما ذكرته فاطمة اليوسف عن علاقتها الفنية بأمينة رزق قولها :
« وأمينة رزق التى كانت فى أول عهدها برمسيس تلميذة رائعة . . لا تترك الكواليس محدقة فى المسرح . . تكاد تلتهم الممثلين والممثلات التهاماً » .

وفى فقرة أخرى تتحدث فاطمة اليوسف عن تلميذتها فى الفن أمينة رزق

بشيء من التفاصيل . حيث تحدد توقيت أول خلاف وقع بينهما ابتداء من عام ١٩٢٤ . . خاصة بعد عرض مسرحية « الذبائح » ، فقالت :

« كان فى الرواية بطولتان نسائيتان احداهما شخصية سيدة أجنبية والثانية شخصية سيدة مصرية ، وأراد المؤلف أن يعطى الممثلة الأولى - تقصد (نفسها) - دور السيدة الأجنبية ، وأرادت هى أن تمثل دور السيدة المصرية . . ولم يكن ذلك لأنها ترى أن هذا الدور أكبر من سواه . . فقد كان الدوران متعادلين تقريباً . . ولكنها أرادت فقط أن تنجو بنفسها بقدر ما تستطيع من الفواجع والأهوال التى تزدحم بها المسرحية ، فتمسكت بدور السيدة المصرية لكى تقلل نصيب هذه الشخصية من هذه المبالغات التى لا علاقة لها بالفن . . ولكن المؤلف تمسك بأن تترك هذا الدور تمسكاً غريباً ، وتابعه فى ذلك صاحب الفرقة (يوسف وهبى) وأفهموا السيدة أمينة رزق أن الممثلة الأولى لا تتمسك بهذا الدور إلا لأنها تريد لأمينة أن تظهر أو تلعب دوراً رئيسياً فى إحدى الروايات . . وكان هذا غير صحيح . . فلم يكن من دأب الممثلة الأولى أن تحاول الطغيان على أحد . . وهى قد تركت لزينب صدقى مرة فى إحدى الروايات دور البطلة . . حيث لعبت دور الأم . . صارفة همها إلى أن تنجح زينب وهى على أولى درجات المجد .

كما أن الممثلة الأولى (والكلام لا يزال على لسان فاطمة اليوسف) كانت دائماً تحب أمينة رزق ، وتعتقد أن لها مستقبلاً زاهراً على خشبة المسرح . . وهى إذ تسترجع هذا اليوم فى الماضى ، تؤمن بأن بطولة رواية « الذبائح » قد جنت على أمينة أكثر مما أفادتها إذ دفعتها إلى مبالغات الحزن التى يأخذها النقاد عليها أحياناً .

وبالرغم من ذلك كله فقد تمسك صاحب الفرقة برأى المؤلف . . وهو إذا انتهى من فرض إرادته المطلقة على كل شىء فى الفرقة لم يبق إلا أن تخضع الممثلة الأولى أيضاً . . وأصبح عليها أن تتخذ قراراً حاسماً . . فهى إما أن تركن نهائياً إلى إرادة صاحب الفرقة وتقبل زوال مجدها ، وإما أن تترك الفرقة كلها » .

وكان لممثلة المسرح الأولى . ما قررت . . فتركت فرقة رمسيس ولم يكن خروجها قاصراً على فرقة رمسيس فقط . . بل أدى بها ذلك الخلاف إلى اعتزال الفن وبشكل نهائى . . ثم الاقبال على العمل بالصحافة ثم السياسة .

ولعلنا نستطيع أن نقول فى هذا السياق : إن ذلك الخلاف المبكر الذى نشأ بين فاطمة اليوسف وأمينة رزق فوق أرض مسرح رمسيس . . كان السبب الرئيسى لاتجاه فاطمة اليوسف إلى العمل الصحفى .

كما نستطيع القول كذلك . . أن الفنانة أمينة رزق قد ساهمت أيضاً بشكل غيرمباشر فى ارتباط الفنانة فاطمة اليوسف بالعمل السياسى .

* * *

والحديث عن بدايات الخلاف بين كل من أمينة رزق وفاطمة اليوسف . . وأهميته بالنسبة لهما معاً . . حتماً سوف يجرنا للحديث عن تفاصيل مشوار حياة أمينة رزق فى عالم الفن . . مثلما حققنا ذلك من قبل لفاطمة اليوسف وذلك لاقتناعنا أن تفاصيل ذلك المشوار . . ترجع أهميتها إلى اكتشاف مواطن الضعف السياسى أو قوته فى حياة هذه الفنانة التى عشقت المسرح

على مدى أكثر من ستين عاماً . . وكان ذلك الفن سبيلها لدخول عالم السياسة . . حتى من باب التعيين الرسمى .

ولاشك أن ذلك المشوار . . كان لابد وأن يبدأ من البطاقة الشخصية لأنه بعد الاطلاع على بياناتها سوف نعرف الاسم وتاريخ الميلاد . . ومحل الميلاد أيضاً .

* الاسم : أمينة محمد رزق
* المهنة : ممثلة
* تاريخ ومحل الميلاد : ١٩١٠ - فى مدينة دسوق .

وبشكل مجمل نستطيع أن نحدد بدايات العمل الفنى فى حياة هذه الفنانة الكبيرة . . لأنها بدأت ممثلة للأدوار الثانوية فى فرقة رمسيس . . ثم تقدمت خطوات أخرى حتى اطمأن لها الفنان يوسف وهبى . . ووقف على إمكاناتها الفنية العالية فأسند إليها أدوار البطولة . . وقد ساعدها الحظ فى ذلك الحين حين تركت الفنانة فاطمة رشدى فرقة مسرح رمسيس .

أما عن مشوار حياتها فى السينما . . فقد بدأته فى فيلم صامت أنتج فى الاسكندرية عام ١٩٢٨ . . وكان اسمه « سعاد الغجرية » بالاشتراك مع فردوس حسن وعبد العزيز خليل . . ثم ظهرت بعد ذلك فى دور الفتاة الأولى فى فيلم « أولاد الذوات » عام ١٩٣٠ . . ومن بعد ذلك الدور بدأ نجمها الفنى يزداد تألقاً سواء فى السينما أو فى المسرح .

وقد حرصت أمينة رزق على تسجيل مشوار حياتها الفنى فى عالم السينما . . فقالت على سبيل المثال : « فى الحقيقة . . أنا أعطيت الكثير جداً

للسينما . . وأظن أن عدد الأفلام السينمائية التى شاركت فيها سواء فى أدوار البطولة أو فى أدوار ثانوية حوالى ٥٠٠ فيلم . . ومع ذلك فأنا أعتبر أن عطائى للسينما لا يقارن بعطائى للمسرح[١] .

ورغم أننى - والكلام لا يزال لأمينة رزق - قدمت للسينما الكثير جداً ، إلا أن عامل السن قد شارك فى تقييد أدوارى وحصرها فى دور الأم . . أو على أكثر تقدير دور الجدة . . وكلها أدوار ثانوية . . لأن كتّاب السينما عندنا يولون كل اهتماماتهم لدور الحبيب أو الحبيبة . . » .

وحين نلجأ إلى التفاصيل أكثر ونتحدث عن مشوار حياة أمينة رزق الفنى . . بعد تلك البداية الساخنة بينها وبين فاطمة اليوسف . . والتى تطورت إلى حد الخصام . . ثم الانفصال . . كان لابد لنا من الرجوع إلى ما سطره كتاب الزمن من ذكريات ارتبطت بذلك المشوار الفنى الثرى . . ولا هدف لنا من ذلك سوى استشراف آفاق ذلك الخيال الذى عاشت فى قلبه طويلاً . . حتى تحول بعد أكثر من ٥٠ عاماً إلى واقع ، عاشت به داخل مجلس الشورى كبداية لنشاط سياسى مرموق .

ولقد وجدنا تفاصيل مشوارها الفنى مكتوباً بقلم صحفى قدير عاش بجوار أمينة رزق واستمع إلى حكايتها منذ أن وفدت من مدينة طنطا . . وحتى أصبحت نجمة مسرحية وسينمائية كبيرة . . وعن ذلك يقول الكاتب الصحفى مصطفى أمين :

لقد بدأت أمينة رزق حياتها الفنية تمثل أدوار الصبيان ابتداء من عام

---

(١) من مقال « فى مدرسة يوسف وهبى » - مجلة الهدف الصادرة فى ١٦/ ٧/ ١٩٩٤ .

١٩٢٣ . . وكانت من قبل تعيش أحلام الطفولة التى ارتبطت كثيراً بحبها للفن وللعاملين به . . ويبدو أن القدر كان متربصاً بها أمام باب السينما التى دخلتها لأول مرة فى حياتها بصحبة خالها وهى مازالت فى سن السابعة من عمرها . . ولم يمنعها عن مواصلة العيش فى أحلام الفن سوى تلك الضربات المتتالية التى أصابتها من كرباج والدها « الحاج محمد » التاجر بمدينة طنطا .

وظلت أمينة رزق الطفلة البريئة تعيش فى حالة رعب من جراء هذه اللسعات التى أحدثتها ضربات كرباج والدها . . وتصورت أن علاقتها بالفن قد توقفت عند هذه الساعات المرعبة . . ولكن سرعان ما جذبها القدر الذى كان متربصاً بها من باب سينما طنطا مرة أخرى . . عندما توفى والدها بعد ستة أشهر من هذه العلقة الساخنة . . وقررت والدتها وأختها الفنانة أمينة محمد الهروب من المدينة الصغيرة والعيش فى حى روض الفرج .

وكان هذا الحى فى هذا الوقت مليئاً بالمسارح والملاهى . . والفرق الفنية مثل فرقة على الكسار ونجيب الريحانى وفرقة يوسف عز الدين . . وكانت الطفلة الصغيرة أمينة رزق تذهب مع جدتها وأمها وخالتها الصغيرة أمينة محمد إلى هذه المسارح . .

وفى أيام كثيرة كانت أمينة رزق تصحب خالتها أمينة محمد إلى داخل كواليس المسرح لرؤية ما كان يجرى هناك . . ومع تكرار هذه الزيارات أصبحت أمينة رزق وخالتها صديقتين للممثلين والممثلات فى فرقة على الكسار والريحانى .

ويبتسم القدر لأمينة رزق للمرة الثالثة . . حين تغيبت إحدى الممثلات التى كان عليها أن تغنى مقطوعتين فى المسرحية الغنائية . . ولما كانت أمينة

رزق . . وخالتها تتقنان مثل هذه الأغانى التى كانت تباع خارج المسرح فى كتالوجات خاصة . . فقد تقدمت الفنانة أمينة محمد خالة أمينة رزق تعلن للممثلين من أصدقائها أنها وقريبتها تحفظ الأغنية المطلوب أداؤها فوق المسرح فى هذا الموقف الصعب . . وبالفعل أتيحت لهما ولأول مرة أول فرصة فنية للظهور أمام الجمهور الذى طلب إعادة الأغنية مرة أخرى .

ويواصل راوى التاريخ سرد حكاية تلك الفنانة التى ساندها القدر كثيراً فيما أقدمت عليه حتى صارت فنانة مسرحية متميزة ، بعدما ارتبطت بعملاق المسرح الفنان يوسف وهبى . . فيقول ذلك الراوى :

« . . وأقبل الشتاء وسمعت الفتاتان أن ابن باشا اسمه « يوسف وهبى » فتح مسرحاً اسمه مسرح رمسيس . . وأن هذا المسرح يختلف عن جميع مسارح مصر . . له نظام وتقاليد وطقوس . . وكان يوسف وهبى يقيم حفلة فى الساعة الخامسة والنصف فى يوم من أيام الأسبوع وتسمى حفلة « ماتينيه » . . وذهبت الفتاتان إلى كواليس مسرح رمسيس وغافلتا البواب ودخلتا غرفة يوسف وهبى. وقالت له أمينة محمد نحن هواة نحب التمثيل . . ورحب بهما يوسف وهبى وقال : إننا نمثل مسرحية اسمها « الذهب » وفيها فصل عبارة عن مدرسة . . وتعالوا اظهروا فى دور تلاميذ . . ورحبت الفتاتان بهذه الفكرة ، وأسرعتا إلى البيت تبلغان الأسرة بالبشرى السعيدة . . وثارت الجدة والأم : « مستحيل . . لا نقبل أن تكون بناتنا مشخصاتية . . هذا عار وفضيحة للأسرة كلها » .

ومر عام ١٩٢٣ ، وحدث أن كانت الأسرة تركب الترام ووجدت أمامها مدير مسرح رمسيس « أحمد عسكر » ومعه زوجته . . وكانت ممثلة اسمها

« سنية » وإذا بأحمد عسكر يقول للفتاتين : لماذا لم تحضرا إلى مسرح رمسيس كان يوسف وهبى فى انتظاركما . . قالت أمينة رزق إن أهلى عارضوا أن نعمل بالتمثيل فقال « أحمد عسكر » : مسرح يوسف وهبى ليس تياترو . . إنه مدرسة . . جامعة .

وفى اليوم التالى سحبت أمينة محمد إبنة أختها أمينة رزق وقابلتا يوسف وهبى الذى رحب بهما وقال إنه سيمنح كل واحدة منهما مرتباً قدره أربعة جنيهات . وأن لابد أن تكتبا عقوداً يوقعها أولياء الأمور . . وسوف ينص العقد على غرامة مائة جنيه فى حالة الإخلال بالعقد .

وقرأت أمينة رزق العقد فإذا به ينص على أن يعملا لمدة شهرين مجاناً . . فلم تغضب . . لأنها كانت على حد قول مصطفى أمين على استعداد أن تمثل مجاناً . . ولكن المشكلة كانت فى توقيع أولياء الأمور على العقد .

وعادت الفتاتان الصغيرتان إلى بيتهما تبحثان عن كيفية التخلص من هذه الورطة . . وتذكرت أمينة أن جدتها تجهل القراءة والكتابة ، وأنها توقع فقط بختم يحمل اسمها . . فذهبت أمينة محمد وسرقت الختم . . وختمت به العقدين . . وهكذا تم حل الاشكال الخطير .

وفى مسرح رمسيس أعطى يوسف وهبى الفتاتين دوراً واحداً ، وهو دور درامى لولد أعرج . . وقرر أن كلاً من الفتاتين تتولى تمثيل هذا الدور ليلة وتحل الأخرى مكانها فى الليلة التالية . . وظهرت أمينة رزق على المسرح لأول مرة بعد التحاقها بفرقة رمسيس فى ١٣ أكتوبر ١٩٢٤ . . وقد

تخصصت فى أدوار الصبيان حتى منحتها الفنانة روزاليوسف الفرصة الجديدة لكى تمثل بجوارها دور فتاة فى إحدى المسرحيات .

ومن يومها والفنانة أمينة رزق تشق طريقها فوق خشبة المسرح حتى عام ١٩٣٠ وهو العام الذى شهد نقطة تحول فى حياتها عندما حلت محل الفنانة فاطمة رشدى فى فرقة رمسيس المسرحية بعد أن تركتها من قبل الفنانة روزاليوسف حتى أتيح لها فرصة القيام بدور « غادة الكاميليا » أثناء الرحلة الفنية الشهيرة التى قام بها يوسف وهبى إلى البرازيل والأرجنتين والولايات المتحدة الأمريكية .

وفى عام ١٩٣١ . . حين ظهرت السينما كمنافس قوى للمسرح . . مثلت أمينة رزق أولى أدوارها على الشاشة البيضاء فى فيلم « أولاد الذوات » والغريب أن الصدفة وحدها كانت وراء دخول أمينة رزق عالم السينما بعد عالم المسرح ، ولذلك حين اختارها يوسف وهبى لتمثيل دورها فى هذا الفيلم بدلاً من الفنانة بهيجة حافظ . . رغم أن فريق العمل فى هذا الفيلم لم يخترها منذ البداية . . حين قرر السفر إلى باريس لتصوير مشاهد لفيلم هناك .

ويبدو أن القدر الذى كان يقف لها بالمرصاد على أبواب سينما طنطا وهى طفلة مازالت فى سن السابعة . . كان متربصاً بها أيضاً على أعتاب مدينة باريس . . وذلك حين أرسل يوسف وهبى وبقية فريق العمل المتواجد فى فرنسا برقية عاجلة لاستدعاء أمينة رزق لتمثيل دور البطولة النسائية فى فيلم « أولاد الذوات » .

* * *

ولاشك . . أنه بعد تلك الجولة القصيرة . . فى حياة أمينة رزق الفنية . . فقد آن الأوان لكى نعيش لحظات قد تطول وقد تقصر حسبما يتاح لنا من معلومات نناقشها فيما يخص علاقة تلك الفنانة القديرة بالحياة السياسية .

وعلى أية حال لقد رأينا أن خير بداية لذلك الحديث هو ما ذكرته أمينة رزق عن علاقة الفن بالسينما . . وقد صرحت به فى إحدى الصحف عقب اختيارها لأول مرة فى مجلس الشوى منذ ثلاث سنوات . . وذلك رداً على سؤال قالت كلماته :

* وهل تعتقدين أن ثمة علاقة تربط بين الفن والسياسة ؟

قالت الفنانة أمينة رزق : الفن والسياسة يرتبطان بالمجتمع . . وأعتقد أن الفن متغلغل فى السياسة والعكس أيضاً . . ثم أن المجتمع كله رابطة واحدة . . وكل المجالات تخدم الوطن العزيز . . وكلنا فى جميع الحالات نبحث عن المصلحة ككل . . وبذلك لا نستطيع الفصل بين مجال وآخر . . لأننا كما قلت نبحث عن مصلحة المجتمع . . وبذلك يتوحد الهدف لدينا جميعاً[٢] .

والغريب أن الفنانة أمينة رزق فيما ذكرت عن مشوار حياتها الفنية أو السياسية لم تحدثنا عن ميولها المبكرة للعمل السياسى . . ولا حتى عن توقيت ظهور تلك الميول السياسية .

إلا أننا وبمحض الصدفة اكتشفنا أن ذلك التوقيت . . يرتبط وبشكل مباشر بظهور الرئيس السادات فى حياة الفنانة أمينة محمد خالة أمينة

(٢) مجلة الكواكب - العدد الصادر بتاريخ ٤/٦/١٩٩١ .

رزق وذلك ابتداء من عام ١٩٣٦ . . عندما تقدم لمشاركتها بطولة فيلمها الجديد . . الذى أعلنت عنه فى الصحف آنذاك . . وطلبت مشاركة وجوه فنية جديدة .

والغريب أيضاً أن تلك العلاقة المبكرة بين أنور السادات والفنانة أمينة رزق وخالتها الفنانة أمينة محمد لم تستمر . . بل ولم تثمر عن نتائج إيجابية . . حتى بعد أن تولى السادات حكم مصر فى عام ١٩٧١ .

وقد كنا نتصور وفقاً لذلك أن يتيح السادات الفرصة لأمينة رزق لكى تمارس السياسة سواء تحت قبة مجلس الشورى أو مجلس الشعب . . إلا أنه اختار بدلاً منها الفنان محمود المليجى . . وعلى أية حال فقد واتتها الفرصة بعد رحيل السادات بعشر سنوات .

ولاشك أن إلقاء المزيد من الأضواء على العلاقة المبكرة بين السادات وبين الفن السينمائى بعد لقائه بالفنانة أمينة محمد سوف يقودنا إلى التعرف على الجو العام الذى عايشته أمينة رزق فى تلك السنوات المبكرة .

ولدينا ملحوظة كان لابد من الإشارة إليها فى هذا السياق . . وهى أن حكاية اشتغال السادات بالعمل الفنى . . خاصة فى السينما ظلت فى طى الكتمان لسنوات طويلة . . إلى أن تولى منصب رئاسة مصر فى عام ١٩٧١ . . بل وظلت غير معروفة إلا على نطاق الخاصة . . إلى عام ١٩٨١ . . بعد أن أصدر الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه « خريف الغضب » . . وقد تناول فيه القصة بالتفصيل . الأمر الذى دفع بالعديد من الكتاب والصحفيين الآخرين إلى السعى وراء الحصول على بقية القصة سواء مما كتبه هيكل أو ما كتبه السادات فى بعض الصحف التى صدرت بعد عام ١٩٥٢ .

أما تفاصيل الحكاية من واقع ما ذكره السادات فتقول :

« منذ فجر شبابى وأنا أحس بميل شديد للفن والفنانين وخاصة التمثيل . . ولى فى هذا المجال قصص كثيرة . . كان ذلك فى أوائل عام ١٩٣٦ ، وكنت فى مدرسة « رقى المعارف » الثانوية ، وتكونت فى المدرسة فرقة تمثيل كنت أنا ضمن أفرادها . . بعد إن أديت الامتحان أمام المشرف وكان ممثلاً محترفاً جىء به كى يشرف على الفرقة . . ولكى يعد الرواية التى ستقدمها هذه الفرقة فى نهاية العام الدراسى .

وأذكر أنه جاء بروايتين إحداهما درامية والأخرى فكاهية . . وأنه أعطانى دورين . . أحدهما فى الدراما وكان اسمى فيه « جيروم » والآخر فى الرواية الكوميدية .

وكنت أمثل فيه دور مأذون اسمه الشيخ « عزيز » وما زلت أحتفظ بالبروجرام الذى طبع لهذه الحفلة ، وعلق على صورتى كما ترى الآن فى كافة البروجرامات التى تطبعها الفرق التمثيلية .

وبعد أن أديت هذين الدورين فى حفلة المدرسة قرأت إعلاناً تطلب فيه الفنانة « أمينة محمد » خالة الفنانة الكبيرة « أمينة رزق » وجوهاً جديدة لفيلمها الجديد الذى كانت تزمع عمله وهو فيلم « تيتا ونج » .

وأذكر أننى توجهت إلى مقر الشركة فى عمارة بشارع إبراهيم باشا حيث جاءت الفنانة أمينة محمد واستعرضتنا جيئة وذهاباً . . وكنا أكثر من عشرين شاباً . . انتقت منا اثنين وطلبت من الباقين أن يرسلوا لها بصورتين إحداهما

« فارس » والثانية « بروفيل »[٣] .

ولم يكن فشل السادات فى تجربته الفنية الأولى . . مع خالة الفنانة أمينة رزق حائلاً أمام عدم مواصلة جهوده لإشباع ميوله الفنية . . حتى وهو لا يزال ضابطاً بالجيش . . وأثناء وجوده داخل التنظيمات السرية الخاصة بالعمل الوطنى . . ولقد سجل لنا تلك التجارب العديدة فى كتبه وفى مذكراته .

والغريب أنه لم يشر من قريب أو من بعيد إلى استمرارية أو انقطاع علاقته بالفنانة أمينة محمد . . أو ابنة أختها الفنانة أمينة رزق . . مما يوحى لنا بأن رفض هذه الفنانة التعامل معه فى السينما قد ترك أثراً كبيراً فى حياته . . هذا الأثر . . أدى إلى تجاهله للفنانة أمينة رزق بعد ما تم اختياره رئيساً لمصر خلفاً لعبد الناصر فى عام ١٩٧١ .

والدليل لدينا على ذلك . . أنه فى عام ١٩٧٥ أقامت أكاديمية الفنون عيداً للفن كرم فيه رئيس الدولة بعض رواد الفن والأدب . . ولم تكن من بينهم أمينة رزق . . وقد اختار الرئيس السادات تكريم أستاذها يوسف وهبى . . بدلاً منها . . وأكثر من ذلك . . عندما قرر اختيار بعض الفنانين والفنانات لدخول اللعبة السياسية بالتعيين . . جاء بالفنان محمود المليجى فى أحد مقاعد مجلس الشورى .

وبناء على هذه العلاقة التى نشأت فى ظروف تمت رغماً عن الفنانة القديرة أمينة رزق . . ظلت تلك الفنانة تنتظر دورها فى واقع الحياة

---

(٣) جريدة الجمهورية - العدد الصادر فى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٥٥ .

المصرية . . وقد طال ذلك الانتظار قرابة عشر سنوات . . بعد رحيل السادات . . عندما قرر الرئيس مبارك اختيارها بالتعيين عضواً فى مجلس الشورى . . فى المقعد الذى خلا بوفاة الفنان الموسيقار محمد عبد الوهاب . . وحتى عندما أخرجتها القرعة فى التجديد النصفى للأعضاء المعينين مع الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس المجلس . . تم إعادة تعيينها فى نفس المقعد فى عام ١٩٩٢ . . وهى ما زالت إلى الآن تجلس فوق ذات المقعد تحت قبة مجلس الشورى .

ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر من جديد . . أن عالم الحلم أو الخيال والواقع فى حياة هذه الفنانة القديرة . . قد التقيا على أرض السياسة بعد هذا التاريخ الطويل من الكفاح الفنى الذى امتد لأكثر من ستين عاماً . . وأصبحت وهى تحمل فوق أكتافها واحداً وثمانين عاماً من سنين عمرها . . ضيفاً سياسياً خفيف الظل والحركة . . فوق مقعدها فى مجلس الشورى .

ولم تكن أمينة رزق داخل هذا المجلس مجرد عضو شرفى . . فقد طلبت الانضمام لعضوية لجنة الخدمات التى تختص بمناقشة موضوعات لرعاية الصحية والتأمين الصحى وتنظيم الأسرة وحماية الأمومة والطفولة والتعليم والبحث العلمى والأزهر والشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف ورعاية الشباب والإسكان والمرافق العامة والتعمير والثقافة والإعلام والآثار والفنون والآداب والحكم المحلى والتنظيمات الشعبية .

وبمجرد أن أبلغها الرئيس مبارك تليفونياً باختيارها كعضو فى مجلس الشورى . . أقدمت على تغيير بعض سلوكيات حياتها اليومية . . والتى كانت تقتصر حينئذ على الاهتمام بالأدوار الفنية . . فعكفت على قراءة

قوانين ولوائح مجلس الشورى حتى تتمكن من معرفة ما يجرى داخل المجلس وحتى تكون على استعداد للمشاركة فى مناقشته .

* * *

وفى صباح يوم الخامس والعشرين من شهر مايو عام ١٩٩١ . . توجهت بعد معرفتها بخبر هذا الاختيار إلى مجلس الشورى لأداء اليمين . . وقد سجلت بعض انطباعاتها عن هذا الحدث الذى زلزل كيانها على حد قولها . . خاصة فى الدقائق الأولى لدخولها المجلس . . فقالت :

« وعندما ذهبت لمجلس الشورى لملء استمارة البيانات قوبلت بترحاب كبير من الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس المجلس والوكيل ثروت أباظة . . وقد حاولا أن يذهبا عنى الاضطراب والرعشة اللذين انتابانى وأنا معهم . . وهذا الاضطراب وتلك الرعشة من لوازمى مع تمثيل كل دور جديد أتخصص له . . وهذا الجو الجديد بصراحة أكبر فى نفسى . . وقد أبلغونى أنهم سيتحملوننى حتى أتعود على هذا الجو الجديد » .

وكما هو معروف عن الفنان بصفة عامة . . فإن لديه كماً كبيراً من الحساسية حتى فى المشاعر والأحاسيس . . لذلك فهو يختلف إلى حد كبير عن الإنسان العادى فى أشياء كثيرة يكون منها مثلاً اختلافه فى المشاعر حين يصل إلى علمه خبر سار سواء فى مجال عمله الفنى أو فى غيره .

لقد كانت أمينة رزق فى زيارة لمبنى الإذاعة والتليفزيون . . وفوجئت باستدعاء عاجل من ممدوح الليثى رئيس قطاع الإنتاج باتحاد الإذاعة

والتليفزيون وعندما التقت به أخبرها بأن مكتب وزير الثقافة يبحث عنها . . وبالفعل كلمها الوزير وأخبرها بأن الرئيس يبحث عنها . . ومطلوب منها الآن التوجه لمنزلها وتكون فى انتظار المكالمة التليفونية المعنية .

وتوجهت أمينة رزق إلى منزلها . . فوجدت رسالة أخرى من الفنان فاروق حسنى بضرورة الاتصال به . . وفى الساعة الثانية ظهراً ووفقاً لما ترويه أمينة رزق رن التليفون وفوجئت بالمتحدث يقول لها إن سيادة الرئيس سيتحدث معك .

« وعندما علمت بأن سيادة الرئيس سوف يحدثنى فى التليفون . . انتابتنى حالة من القلق . . فلابد وأن هناك شيئاً خطيراً قد صدر منى . . واتجه تفكيرى إلى ما حدث فى الاحتفال يوم المسرح المصرى بخصوص الاحتجاج على عدم تكريم الفنان الكبير يوسف وهبى . . أو ربما يكون قد وصل للسيد الرئيس شىء غير حقيقى فى هذا الموضوع .

كل هذه الأفكار راودتنى فى ثوان . . وبعدها فوجئت بالرئيس على التليفون يقول لى :

« لقد فضلت أن أبلغك الخبر بنفسى إيه رأيك أن تكونى عضواً فى مجلس الشورى ؟ » .

لقد كانت مفاجأة لى . . وقلت له :

- يا سيادة الرئيس هو أنا أستطيع أن أتحدث فى مجلس الشورى .

فرد قائلاً :

- سأوقع القرار حالاً . . مبروك .

* * *

وفى مجلس الشورى . . وخلال عدة جلسات ظلت أمينة رزق تتعلم ما يجب عليها وفقاً للقانون ولوائح المجلس التى تلزم العضو بمناقشة ما هو مطروح أمامه ولا يخرج عن المناقشة إلى أشياء أخرى .

ورغم أنها لم تحضر فى الدورة الأولى عام ١٩٩١ سوى خمس جلسات فقط . . إلا أنها قد شاركت فى العديد من المناقشات الساخنة . . وعرضت العديد من الآراء التى تمت مناقشتها مع بقية الأعضاء . . ليس هذا فقط . . بل تقدمت بالعديد من المشروعات لمناقشتها وإقرارها . . والأخذ بها إلى حيز التنفيذ .

وقد رأينا أن نخصص الجزء المتبقى من أوراق هذا الفصل للحديث عما أثارته الفنانة أمينة رزق تحت قبة مجلس الشورى . . من قضايا وما قدمته لزملائها الفنانين من مشاريع . . باعتبار أن ذلك الأمر يدخل فى صميم عملها السياسى الجديد . . والذى تدور أحداثه فوق هذه الأوراق .

تقول مضبطة مجلس الشورى التى يتم فيها تسجيل كل ما يثيره الأعضاء من مناقشات . . إنه فى يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩١ . . تحدثت الفنانة أمينة رزق لأول مرة منذ تعيينها فى المجلس لتحل مكان الفنان الراحل محمد عبد الوهاب . . وقد أثارت مشكلة البناء فوق الأراضى الزراعية . . على خلاف ما توقع منها الجميع كفنانة . وقالت أمينة رزق فى نفس الجلسة . . إن من أقام مسكنه فوق الأرض الزراعية . . كيف يحرم من توصيل المرافق والكهرباء . . وأضافت متعجبة . . إن هذا البناء لم يتم فى يوم وليلة . .

ولكنه استغرق وقتاً طويلاً . . وأين كانت الأجهزة الرقابية . . ولماذا تركوه يكمل البناء ؟ . . ثم يحاسبونه بعد ذلك . . وطالبت بتوصيل الكهرباء لكل من أقام مسكنه فوق الأراضى الزراعية . . فهى مسئولية أجهزة الرقابة التى لم توقف البناء منذ بدايته .

وقد شكر أحمد العماوى وكيل المجلس الفنانة أمينة رزق على اثارتها لهذا الموضوع . . وقال إن هناك تصالحات وأحكام براءة يحصل عليها المخالف ويجب توصيل الكهرباء لمن يحصل على البراءة والمصالحة .

وقال ثروت أباظة وكيل المجلس : إن عدم توصيل الكهرباء يؤدى إلى جريمة سرقة الكهربا من المساكن المجاورة .

وعقب المهندس ماهر أباظة وزير الكهرباء :

- إننى اختلف مع ابن عمى الكبير . . فشرطة المرافق تتابع ضبط السرقات . . وأن الإحصاءات أكدت أنها أصبحت تمثل ٢٪ فقط .

وبشكل عام نستطيع القول أنه رغم أن الفنانة أمينة رزق لم تحضر فى الدورة الأولى للمجلس سوى خمس جلسات فقط . . إلا أن اشتراكها فى مناقشات لجنة الخدمات بالمجلس . . كان أيضاً اشتراكاً حيوياً . . وكما تقول مضبطة مناقشات هذه اللجنة وكان من أول الموضوعات التى ناقشتها بقوة تلوث البيئة . . وقد أبدت رأياً أساسياً فى ضرورة مساندة ودعم الصناعات الصغيرة لتتخطى عقبات الروتين ، وتقف بجانب صناعة القطاع العام .

وبخلاف ذلك . . فقد لاحظنا أن مناقشة القضايا والمشاريع الفنية قد أخذت قسطاً كبيراً من اهتمامات الفنانة العظيمة داخل مجلس الشورى .

وعندما سئلت عما قدمته لأبناء مهنتها من أهل الفن قالت :

- « لقد طالبت بضرورة تخصيص قاعة للرواد الذين تركوا بصمات فى عالم الفن من أمثال يوسف وهبى وچورچ أبيض وفاطمة رشدى وعزيز عيد . . على أن تضم هذه القاعة نبذة عن تاريخ كل منهم . . وأن يكون لكل رائد ركن توضع فيه الأوسمة والنياشين والجوائز وشهادات التقدير . . وكذلك متعلقاته الشخصية . . كما طالبت أيضاً بإيجاد موسم للفرق المسرحية الدرامية على مسرح الأوبرا كل عام لعرض عمل تاريخى أو عالمى . . كما كان يحدث أيام الأوبرا المحترقة . . وحتى لا يكون الفن الجاد بعيداً عن الأوبرا الآن . . وحتى لا نكون غرباء على الوسط المسرحى[٤] .

وأما عن المشاريع الفنية التى ساهمت فى تحريكها ومناقشتها فكان فى مقدمتها مشروع اتحاد الفنانين يلتقون فيه ويستقبلون فيه ضيوفهم بعدما انتشرت فى القاهرة والمحافظات أندية الهيئات والنقابات . . ومن أجل تحقيق ذلك حصلت على قطعة الأرض المجاورة للمسرح العائم لتكون مقراً مؤقتاً لهذا النادى حتى يتم الحصول على قطعة أرض ذات موقع متميز بالقرب من دار الأوبرا .

---

(٤) جريدة الجمهورية بتاريخ ١٨/٨/ ١٩٩١ .

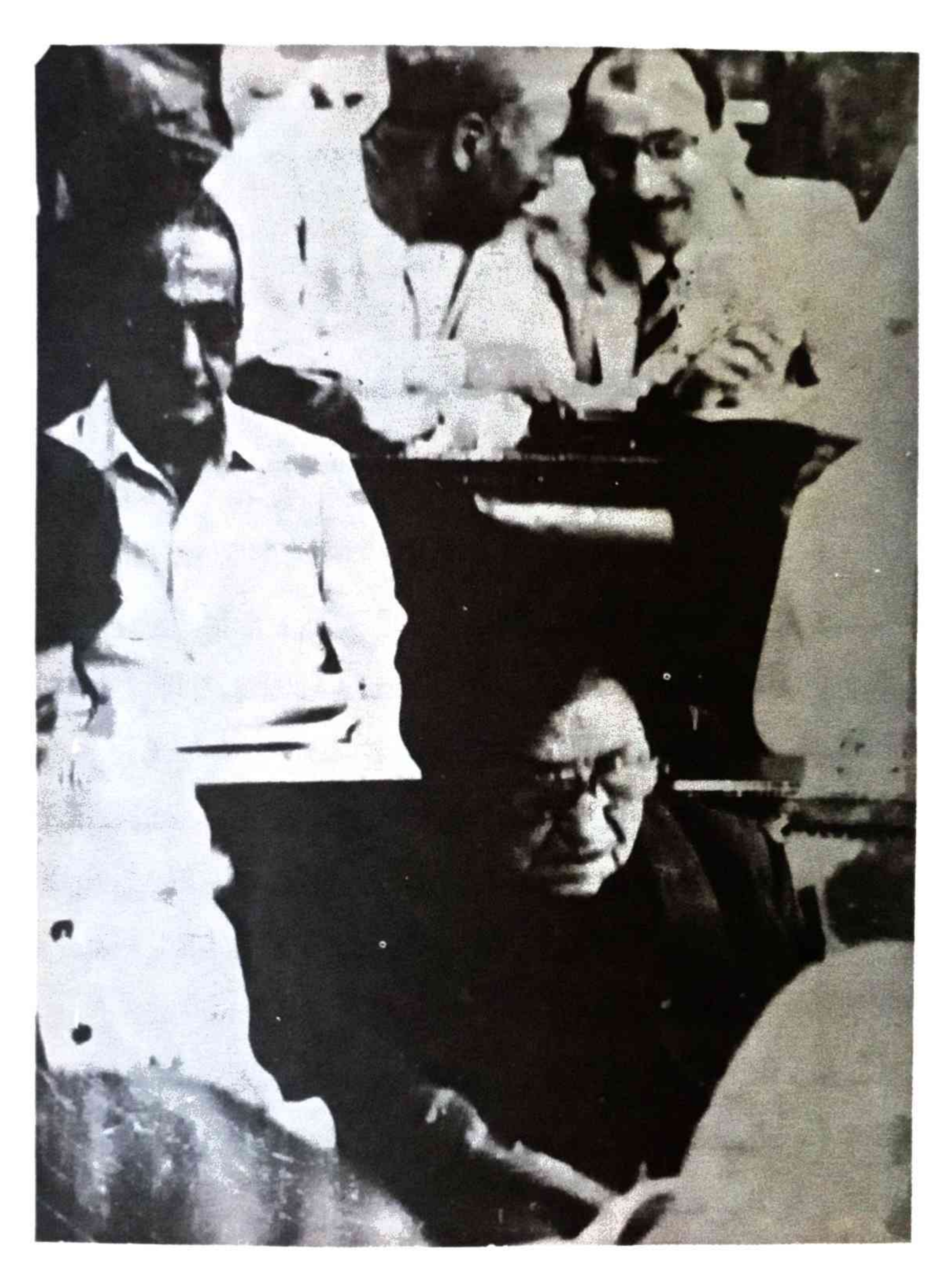


الفنانة أمينة رزق تشارك فى مناقشة إحدى القضايا الهامة
المعروضة على مجلس الشورى



ولم تكتف الفنانة أمينة رزق بدورها السياسى داخل مجلس الشورى . .

بل شاركت فى العديد من جلسات النقابة الفنية



الفنانة القديرة أمينة رزق تراجع بعض الأوراق
قبل اشتراكها فى مناقشات مجلس الشورى . .





كاميليا

الموت فى طائرة محترقة من أجل عيون السياسة

أنا لست مع هؤلاء الذين يميلون إلى تأييد الرأى القائل : بأن « الموساد » . . أو « جهاز المخابرات الإسرائيلية » هو المسئول الأول عن مقتل الفنانة كاميليا أو « ليليان كوهين » . . ولا حتى مع الرأى الذى يرى أن الحرس الحديدى بزعامة الوصيفة الملكية « ناهد رشاد » . . كان منفذ ذلك الاغتيال . . وإنما نؤيد أصحاب الرأى الذين يرون أن الملك فاروق هو الذى نفذ ذلك الاغتيال على الرغم من أنه لم يكن موجوداً فى مصر وقت وقوع ذلك الحادث .

والأسباب التى استندنا إليها فيما وصلنا إليه بخصوص هذا التأييد كثيرة ومتنوعة . . ولسوف نتناولها بالتفصيل فى كل أوراق هذا الفصل . . سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

وكل ما نود أن نشير إليه فى هذا السياق نورده على هيئة سؤال تقول كلماته : وما علاقة قضية مقتل الفنانة كاميليا . . بالحياة السياسية فى مصر خاصة فى الفترة ما بين عام ١٩٤٦ وحتى عام ١٩٥٠ ؟ .

والسبب الرئيسى وراء إثارة ذلك السؤال أنه يعد من صلب موضوع أوراق هذا الكتاب . . فقد سبق وأن ذكرنا أننا قد خصصنا كل هذا الحديث . . لكى يشمل حياة الفنانات وعلاقتهم بالعمل السياسى . . وعلى ذلك فإذا لم تكن كاميليا قد انحرفت بعملها الفنى تجاه الملعب السياسى . . لما كانت من ضيوف هذه الأوراق .

ولقد تجلت قمة اقترابها من واقع الحياة السياسية فى مصر فى تلك الفترة فى دخولها قصر عابدين . . وارتباطها عاطفياً بالملك فاروق إلى الحد الذى سوف ينتهى بها لولا اغتيالها إلى الجلوس فوق عرش مصر بدلاً من الملكة . . « ناريمان » ، مع أنها كانت فى الوقت نفسه عميلة من الدرجة الممتازة للمخابرات الإسرائيلية فى مصر . . فى فترة من أحرج فترات تكوين الدولة اليهودية . . عندما تكاتفت الدول الاستعمارية لتنفيذ وعد بلفور الذى قضى بالاستيلاء على أرض فلسطين كوطن قومى لليهود . . وإقامة دولة إسرائيل .

كما أثبت الواقع أن ارتباط الفنانة كاميليا بالموساد الإسرائيلى فى هذه الفترة . . لم يكن ارتباطاً عاطفياً أو دعائياً فحسب . . بل كان ارتباط أحد أبناء بنى صهيون بالوطن . . هذا الارتباط قد دفعها بقوة لتلعب أدواراً رئيسية فى الصراع بين العرب وإسرائيل بدءاً من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٠ . . وربما لو امتد بها الأجل للعبت نفس هذا الدور أثناء حروب عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ على أقل تقدير .

وربما لو امتد بها العمر أكثر . . لعادت إلى إسرائيل بعد أداء هذه الخدمات . . ولتقلدت أعلى المناصب السياسية . . كما كانوا سوف يشيعون أن الفنانة الكبيرة « ليليان كوهين » كاميليا سابقاً ، كانت من قبل تعيش فى

مصر عميلة لهم . . وتكريماً لدورها فى خدمة بنى إسرائيل كان سيتم اختيارها مثلاً فى منصب رئيس الوزراء على غرار اختيارهم لجولدا مائير . . فقد كانت على وشك الفوز بالتاج المصرى . . لولا أن تخلى عنها الملك فاروق واختار بدلاً منها ناريمان صادق .

وفى إسرائيل نفسها الآن . . يعيش عشرات من المواطنين اليهود المصريين ويعملون فى كل المجالات . . وهم الآن يعتلون العديد من المناصب السياسية وغير السياسية . . ولنضرب مثالاً واحداً بسيطاً على ذلك . . أن ابن الملحن الشهير « داود حسنى » . . يعيش الآن فى إسرائيل فى منصب مرموق . . رغم أنه لم يؤد لتلك الدولة أية خدمات على غرار ما قدمته الفنانة كاميليا قبل مصرعها .

ومثل هذا الحديث لاشك يقودنا لكشف الحقائق عن أشهر الأدوار السياسية التى لعبتها الفنانة كاميليا لخدمة بنى إسرائيل . وقد تمثلت تلك الأدوار فيما عرف وقتها باسم « قضية الأسلحة الفاسدة » عندما تورطت مجموعة من رجال الحاشية وبعض ضباط الجيش الملكى بالتعاون مع الفنانة اليهودية كاميليا فى عام ١٩٤٨ فى التعاقد على شراء مجموعة كبيرة من الذخائر والأسلحة الفاسدة التى لم تكن تعمل لتزويد الجيش المصرى المحارب فى فلسطين . . وكانت النتيجة المعروفة والمحسوبة مسبقاً هزيمة الجيش أمام العصابات اليهودية . . مما مهد إلى قيام دولة إسرائيل .

إذن السؤال الذى يفرض نفسه هنا : ولماذا تقوم المخابرات الإسرائيلية بعد كل هذا الجهد العظيم بالتخلص منها وقتلها بتدبير حادث احتراق الطائرة التى سقطت بها بالقرب من إحدى قرى محافظة البحيرة ؟

وحتى أصحاب الرأى الذين رأوا أن مصرع كاميليا دبرته « ناهد رشاد » بعد ما علمت بعلاقتها بالملك فاروق الذى وعدها بالزواج قبل ناريمان . . يستندون فيما ذهبوا إليه لدافع غير قوى وهو غريزة الغيرة التى تولد الانتقام .

وعلى ذلك يتبقى لنا أن نتحدث عن دوافع الملك فاروق الذى يعتبر فى رأينا الفائز الأول من وراء مصرع الفنانة كاميليا . . إلا أننا وقبل ذلك كان علينا أن نبدأ من حيث بدأت كاميليا . . نعيش معها حياتها لحظة بلحظة . . منذ مولدها . . وحتى بزوغ نجمها الفنى وارتباطها عاطفياً بالملك فاروق .

ولسوف يكون دليلنا إلى مشوار حياتها العديد من المصادر . . من أهمها مذكرات والدتها وبعض ما ذكره المؤرخون والصحفيون المعنيون بقصتها سواء على المستوى الفنى أو السياسى .

ولقد وجدنا أن خير بداية لإثارة شهية القراء ودفعهم لمتابعتنا دون ملل . . هو الإشارة لأول حديث صحفى نشر لكاميليا قبيل مصرعها . . وقد نفت فيه علاقتها بالموساد الإسرائيلى .

ففى مجلة « الصباح » الصادرة عام ١٩٥١ وبالبنط الكبير عنوان يقول :

« اعترافات كاميليا قبل مصرعها » . .

وقد نشرت المجلة تحت هذا العنوان تقول على لسان كاميليا :

« إننى لم أعرف فى حياتى مراسيم اليهود ، ولا ديانتهم ، ولم أدخل يوماً كنائسهم ، ، بل إن أصدقائى كلهم ليس فيهم يهودى ولا يهودية . . ومع ذلك سمعت بأذنى وقرأت بعينى كلاماً يتهمنى بأنى إسرائيلية متعصبة

كل همى أن أجمع المال وأن تنتصر دولة إسرائيل . . لهم الله ينتصف لى منهم فقد اخترت أن أكون مظلومة ومتهمة ، والله لا يرضى الظلم لأحد . . لقد جمعت فعلاً مالاً لا بأس به . . ولكن أين هو ؟ . . كانت نظريتى منذ طفولتى أن النقود تساوى سروراً وسعادة . . فإذا ما حصلت على أى مبلغ من المال اشتريت به حالاً ما يرفه عن نفسى ويسعدنى وإلا فإن هذا المال يصبح فى نظرى كومة من أحجار وأوراق لا قيمة لها .

ولهذا فإن ماجمعته ابتعت به لفورى أشياء رأيت فيها متعة ورآها بعض الناس جهالة وغفلة . . فلم يهمنى ما رآه غيرى ؛ وما يهمنى ما تراه نفسى وكثيراً ما عارضتنى أمى وبعض صديقاتى فى هذا المسلك فكانت إجابتى أن وجهن النصائح إلى أنفسكن ودعننى وشأنى فهل ترانى أخطأت ؟ .

ولقد نشأت من صغرى أشك فى الناس . . وعذرى أن الشك من الذكاء ولهذا فإن أصدقائى قلائل وأعدائى أكثر منهم بكثير . . وعندما كنت صغيرة بالاسكندرية كانت حياتى أسعد وأهنأ مما أنا عليه الآن وأنا كبيرة ومشهورة . . فقد شعرت فى السنتين الأخيرتين بمتاعب ومسئوليات لا طاقة لمثلى باحتمالها . . فأنا غير هانئة بصحتى ؛ لأننى متعبة ومريضة وغير مستقرة فى راحتى ، فباستمرار أشتغل خارج بيتى ولا أذهب إليه لكى أنام وأرتاح إلا لأعاود عملى ومشاقى ، وغير مسرورة بمالى وثمن جهدى لأنه « معفرت » لا يكاد يجيء حتى يذهب .

وكم صارحتنى والدتى بإشفاقها علىّ وحزنها على حالى فقالت : إنها نفس أصابتنى . . فلم أصدق أن هناك « نفساً » أو « حسداً » . . ولكننى الآن أصبحت أصدق ذلك وأعتقد أن ضريبة الشهرة فظيعة وغالية ، وقد دفعتها من دمى وأعصابى وراحتى وصحتى وما زالت النفس تطاردنى .

إننى صادقة وفية لأصدقائى ، وأقدر الجميل وأحب الخير للناس . . وأحـزن لأى ألـم يحل بأى إنسـان ، ولكننى أعـتـرف أننى لم أخل من النقائص . . وأكثر نقص عندى هو عصبيتى التى كثيراً ما تدفعنى إلى الثورة والصراحة بما يغضبنى ، وما أرتاح إليه ، فأنا لا أستطيع أن أصافح أى شخص أعتقد أنه يكرهنى ، ومن عادتى أن أرد العدوان بالعدوان فى الحال مهما كانت النتائج . . مع أن الوسط الذى نعيش فيه يحتاج إلى المداراة والسياسة واللف والدوران .

وقد قالوا عنى إننى جميلة وتعددت أوصافهم فى هذا المجال . . فأحدهم يزعم أنه يراه فى جاذبيتى ، والآخر يدعى أنه فى تقاطيع معينة من وجهى ، والثالث يقول إنه فى اتساق قوامى . . فلم أغتر بهذه الأقوال . . بل كنت أخاف منها ؛ لأننى أعزوها إلى الإغراء أو نظرات الحسد والتمنى .

وبقى أحب شىء إلى نفسى : إنه أمى وأزيائى ولآلئى وسيارتى والاستديو والكاميرا . . »[1] .

* * *

ولا شك أن ما ذكرته الفنانة كاميليا ونفيها القاطع عن وجود أية علاقة بينها وبين الموساد الإسرائيلى أو حتى الشعب اليهودى . . مردود عليه بما توافر لدينا من وثائق وشهادات تاريخية سوف نناقشها فى حينها ، وذلك بهدف أن نفسح المجال للبداية التى قررناها . . والتى ترتبط فى حياة كل إنسان بيوم مولده وظروف حياته الاجتماعية على أمل أن يساعد ذلك فى كشف النقاب عن ملامح حياتها . . وبالتالى يساعد فى حل اللغز الذى

(1) مجلة الصباح فى ١٨/ ٧/ ١٩٥١ .

ارتبط بالشك الذى بات يحوم حول سلوكياتها الخاصة والعامة ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بنشاطها السياسى .

وعلى الرغم من أن الفنانة كاميليا لم تنشر تفاصيل قصة حياتها . . على عكس ما كان ينتظر منها كفنانة مشهورة . . بل وعلى عكس ما كان يقدم عليه غيرها من الفنانين والفنانات . . اللهم إلا بعض لقطات صغيرة هنا وهناك . . إلا أنه وبعد مرور أكثر من خمس سنوات على رحيلها . . أقدمت والدتها « أولجا » . . على تلك الخطوة . . فنشرت مذكراتها .

ولسوف نقتطف من تلك المذكرات العديد من الأحداث والتواريخ التى نتبين منها الظروف الاجتماعية التى عايشتها الفنانة كاميليا . . خاصة فيما يتعلق بوالدها اليهودى الديانة « فيكتور كوهين » اليونانى الأصل ، وأمها المسيحية الإيطالية الأصل .

لقد ذكرت السيدة « أولجا » أولاً عن نفسها : أنها ولدت عام ١٨٩٠ فى أحد بيوت حى المنشية بالاسكندرية . . وأن ديانتها هى المسيحية . . وقد أمضت تسع سنوات فى مدرسة الراهبات بحى المنيرة . . كما تزوجت مرتين من قبل لقائها بالزوج الثالث .

أما بخصوص تفاصيل هذه الزيجات الثلاث فقالت عنها : إن زوجها الأول كان جواهرجياً مسلماً عاش فى حى الصاغة . . وكان يدعى « حسين رضوان » . . وقد أنجبت منه طفلاً كان على حد قولها : « أول أولادى . . مسلم بن مسلم »[٢] .

---

(٢) أم كاميليا تتكلم - الحلقة الثانية صحيفة أخبار اليوم بتاريخ ١١/ ٢/ ١٩٥٦ .

وزوجها الثانى . . كان قاضياً من مدينة مراكش المغربية . . وقد ارتبطت به بعدما ظلت لأكثر من عام ونصف مطلقة . . بعد انفصالها عن زوجها الأول . . ولها منه طفل مسلم آخر .

ثم زوجها الثالث . . اليهودى « فيكتور كوهين » والد الفنانة « كاميليا » وقد حكت فى مذكراتها حكاية طويلة عن ذلك الزواج . . سوف نتوقف عند تفاصيلها كثيراً . . ذلك لأن صاحبها يُعد مشاركاً أساسياً فى أحداث هذه الأوراق .

قالت « أولجا كوهين » عن تلك التفاصيل :

« . . وبينما كنت عائدة إلى الإسكندرية فى آخر مرة عام ١٩١٨ ، وبينما أنا واقفة على الرصيف أنتظر القطار . . لمحنى جماعة من أصدقاء الأسرة كانوا يودعون رجلاً من أقاربهم . . وعرفونى بالرجل . . وركبنا معاً القطار ، وفى القطار تحدثنا فى كل شىء . . ودعانى إلى الغداء . وعرف هو أننى أهوى العزف على البيانو ، وعرفت أنه يهوى مهنة السمسرة فى البورصة . . والحقيقة أنه كان أول شخص يقابلنى منذ حدثت مصيبتى ، وشعرت أنه يعرف المصيبة ويعرف المأساة ،ويعرف قلقى وحيرتى ، ويهدف من وراء كل كلمة أن يواسينى ويعزينى .

ووجدتنى مرتاحة إليه ، وإلى حديثه حتى وصل القطار إلى الاسكندرية . . فقال لى وهو يودعنى : « تسمحى لى آجى يوم أسمعك على البيانو . . فقلت : تفضل » .

ويبدو أنه « مكدبش خبر » كما يقولون فى الأمثال فلم تمر أيام حتى دق التليفون فى بيتى فى الاسكندرية وسمعت صوتاً يقول :

- أنا كوهين .

- كوهين مين ؟ .

- فيكتور كوهين !

- أنا لا أعرف فيكتور كوهين .

- قوام نسيتى اسمى ونسيتى . . أنا الخواجة بتاع القطر .

وعرفته طبعاً . وفى نفس الحديث اتفقنا على أن يجىء عصر اليوم التالى ليشرب الشاى ويسمع البيانو ، واستمع إلىّ وأنا أعزف وأطرانى كما لم يطربنى إنسان من قبل .

هل تدرون فيم كنت أفكر ساعتها ؟ لم أكن أفكر فيه شخصياً كرجل وأكون كاذبة لو قلت إننى أحبه شخصياً . . ولكنى كنت أفكر فى شىء واحد . . فمنذ حرب عام ١٩١٤ . . كانت أمى وزوجها الباشا رئيس الديوان قد سافرا إلى قبرص ولسبب الحرب احتجزتهما السلطات هناك . . فماذا لو طالت الحرب . . هل أموت من الجوع ؟ . . فربما أستطيع ذات يوم أن أقنع هذا الرجل « كوهين » بأن أعطيه درساً فى الموسيقى . . خصوصاً بعدما عرفت أنه يكسب من البورصة مبالغ خيالية .

ولم تمر عدة أيام حتى جاء يدق جرس بيتى ويطلب أن يتزوجنى . ورحنا القنصلية اليونانية لكتابة العقد ؛ لأن كوهين أصله يونانى ، ولكنهم رفضوا بسبب شرط يقضى بأن يتم الزواج أولاً بصفة دينية ، ثم يأتى بعد ذلك دور القنصلية . . ولم يكن هناك سوى حل واحد . . وهو أن نتزوج فى المحكمة الشرعية . . وتزوجنا فعلاً . . وبقى هو على دينه اليهودى وأنا

على دينى المسيحى . . وشهدت الزواج محكمة الاسكندرية الشرعية . . وعشت معه خمس سنوات سعيدة . . ثم حملت منه . . وفى ديسمبر عام ١٩٢٩ أنجبت بنتاً بعد ثلاثة أولاد . . سجلناها فى قنصلية اليونان باسم « ليليان كوهين » . . ابنة فكتور كوهين . وبعد عام ودون أن يدرى كوهين أخذتها إلى كنيسة سانت كاترين ونصرتها[٣] » .

* * *

وبعد أن حكت لنا وللتاريخ والدة كاميليا عن ظروف ولادة ابنتها خصصت خمس حلقات أخرى من تلك المذكرات لتحكى من خلالها بقية قصة حياة ابنتها ليليان أو « كاميليا » وكيف دخلت إلى عالم الفن . . ثم علاقتها بالملك فاروق وبالعديد من رجال الحاشية . . والغريب أنها لم تشر فى هذه المذكرات من قريب أو من بعيد إلى علاقتها باليهود ؛ وذلك حتى تبعد شبهة اتصال ابنتها بالموساد . . فكثيراً ما كانت تتعمد لتحقيق ذلك الغرض - خاصة فى الحلقات التى حكت فيها قصة زواجها من الرجل اليهودى - الإشارة إلى قيامها بتنصير كاميليا من وراء ظهر والدها اليهودى رغم أنه كان قد سبق وقام بتسجيل ابنته الطفلة « ليليان » باسمها وديانتها اليهودية بالقنصلية اليونانية فى مصر .

وعلى أية حال سوف نعود للاستعانة بتلك المذكرات مرة أخرى حين نتحدث عن علاقة الفنانة كاميليا بالملك فاروق ودخولها قصر عابدين . . كشاهد على أبرع أدوارها السياسية ليس فوق الشاشة البيضاء . . بل فى

---

(٣) قلت لابنتى - الحلقة الثانية من مذكرات والدة كاميليا - أخبار اليوم فى ١٨/٢/١٩٥٦ .

واقع الحياة العملية . . ذلك لأن علاقة تلك الفاتنة التى هزت الوسط الفنى منذ ظهورها لأول مرة فى « نادى الكلوب المصرى » بصحبة الفنان أحمد سالم واتجاهها بسرعة الصاروخ إلى اعتلاء عرش الفن السينمائى آنذاك . . كان البداية الحقيقة لذلك الدور السياسى الكبير الذى لعبته لخدمة وطنها أو وطن أبيها فيكتور كوهين « دولة إسرائيل » .

وعلى الرغم من أن علاقاتها بالملك فاروق كانت سباقة على علاقتها بالموساد . . وكانت السبب الرئيسى لاختيارها عميلة نشطة لخدمة الدولة اليهودية . . إلا أننا نفضل مواصلة الحديث السياسى عنها ومتابعة دورها فى دنيا الواقع والحقيقة بعيداً عن دنيا الفن بتوضيح تلك العلاقة التى ترعرعت بين أحضان رجال المخابرات اليهودية آنذاك ، والتى أثمرت عن عقد صفقة الأسلحة الفاسدة وهزيمة العرب عسكرياً أمام إسرائيل فى حرب عام ١٩٤٨ .

وهذا الحديث رغم مخالفته للتسلسل التاريخى المدون فى أوراق الكتب فقد وجدناه ضرورياً . . لسببين : أولاً : لكشف النقاب عن حقيقة علاقة كاميليا باليهود والموساد . . وثانياً : لارتباط آخر أيام حياتها بالملك فاروق الذى أشارت كل الأدلة المرئية وغير المرئية على أنه كان الفائز الوحيد من وراء اختفائها سواء بالقتل أو بالحرق . . ولعل ما يؤيد ذلك العديد من الدوافع التى حدت بالملك لكى يخطط هو ورجاله بدقة للتخلص منها وبأى ثمن . . سواء كانت تلك دوافع شخصية أو دوافع وطنية . . كان مصدرها معرفة فاروق بعلاقة محبوبته وعشيقته الفنانة كاميليا . . بالمخابرات الإسرائيلية .

* * *

وهناك ملحوظة لابد من الإشارة إليها . . فيما يخص الحديث عن كاميليا ونشاطها السياسى المرتبط بالموساد . . أن جميع من تناولوا هذا الموضوع وقت حدوثه لم يوفوه حقه من البحث والدراسة . . إما لقلة ما كان لديهم من المعلومات أو الخطأ فى تقديرهم لذلك الدور . . وفى المقابل وجدنا أن بعض المؤرخين والكتاب والصحفيين فى أيامنا هذه قد توصلوا إلى معلومات جديدة . . فتمكنوا بواسطتها من إلقاء المزيد من الضوء المبهر على تلك العلاقة السرية . . بعد مرور أكثر من أربعين عاماً على رحيلها .

ولسوف نتناول تلك الجهود البحثية بشىء من التفصيل . . واختيار أقربها إلى الحقيقة ، وذلك من خلال ما كتبوه فى أوراقهم هنا أو هناك . . وقد لاحظنا فى هذا السياق وجود شبه إجماع بين هؤلاء فيما يتعلق بالبداية الحقيقية لمعرفة الفنانة كاميليا بالموساد .

ولقد شهدت مدينة قبرص عام ١٩٤٦ . . تلك البداية . . حين اصطحب الملك فاروق عشيقته إلى هناك . . بعد ما عرفها فى القاهرة . . وأقام معها فترة زمنية قصيرة . . ثم تركها كعادته للبحث عن غيرها . . وقد بعثت إليه ببرقية خطيرة وهو فى يخته فى عرض البحر « فخر البحار » . . عندئذ التقطت الوكالة اليهودية رسالتها التى وجهتها بدموعها إلى عشيقها الملك فاروق . . بعد ما تأكد لديهم سيطرتها عليه . . وتغلغلها ونفوذها داخل القصر الملكى .

وبالفعل تمكنت الوكالة اليهودية عن طريق ممثل شبكة التجسس التابع لها فى مصر . . وكان يدعى « جيمس زارب » . . من تجنيد الفنانة كاميليا .

كما توصلنا بالإضافة إلى ذلك . . ووفقاً للاستنتاج الشخصى . . أنه كانت هناك محاولات أخرى لتجنيد كاميليا للعمل فى المخابرات

اليهودية . . على يد والدها « فيكتور كوهين » الذى كان قد غادر مصر فى تلك الفترة بعد ما أقام بها بجوار زوجته « أولجا » حوالى خمس سنوات . . عائداً إلى بلاده اليونان . . التى شهدت مولد الحيلة القذرة التى استهدفت تجنيد كاميليا للعمل ضد مصر . . وضد الملك فاروق .

ومما يؤكد صدق تلك الرؤية وهذا الاستنتاج . . القصة التى رواها أحد النقاد الصحفيين على سبيل إظهار شفقة وحنان كاميليا ، والتى تقول تفاصيلها :

« فى عام ١٩٤٨ . . كانت كاميليا تصور دورها فى فيلم « ولدى » وفى فترة الاستراحة بين اللقطة والأخرى تقدم منها رجل عجوز يلبس ملابس السهرة ، وكان واحداً من كثيرين يعملون فى نفس الفيلم . . فصافحها الرجل بحرارة ثم قال لها . . إنه لم يشتغل قبل ذلك « كومبارس » ، ولكنه اشتغل فى هذا الفيلم فقط لكى يراها يوماً كاملاً عن قرب .

ولم يكن مظهره يدل على أنه عاشق جديد ، لكنه كان يتحدث بصوت متهدج فيه كثير من الانفعال . . ودار بينهما حديث طويل . . ثم أخذته من ذراعه رذهبت به إلى غرفة ملابسها . . وفى هذه الغرفة استمعت كاميليا إلى قصة حياتها منذ ولدت إلى ذلك اليوم . . ولم تستطع العمل فى تلك الليلة وقد تعللت بما أصابها من صداع . . وتأجل العمل لليوم التالى .

وخرجت كاميليا مع الرجل العجوز من الاستديو فى سيارتها الكاديلاك الفاخرة . . ودهش الممثلون والممثلات وعمال الاستديو . . وتساءلوا جميعاً : من يكون هذا الرجل العجوز الذى بكت أمامه كاميليا وامتنعت عن العمل من أجله ؟ ! . . وكانوا فى ذلك معذورين لأنهم لم يستمعوا إليها قبل أن تذهب به إلى غرفتها الخاصة وهى تسأله : من أنت ؟ فأجابها الرجل : أنا أبوك .

وفى تلك الليلة . . عرضت كاميليا على أبيها الذى رأته - للمرة الأولى والأخيرة فى حياتها - فشكرها الرجل ، ولم يطلب سوى ثمن التذكرة التى يعود بها إلى أهله فى إيطاليا . . ولم يرها الرجل بعد ذلك . . ولم يفكر فى العودة إلى مصر إلا يوم قرأ نعيها فى الصحف (٤) .

* * *

وعلى أية حال . . بصرف النظر عن الطريقة التى جندت بها كاميليا . . وعمن كان وراء ذلك ، فإنها قد لعبت بالفعل دوراً سياسياً هائلاً فى الصراع العربى الإسرائيلى منذ بدأته عام ١٩٤٨ . . وقد تبلور ذلك الدور وظهرت خطورته حين تطرق الحديث إلى صفقة الأسلحة الفاسدة التى غيرت ميزان القوى العسكرية لصالح إسرائيل فى حربها الأولى مع العرب .

ويقول الكاتب الصحفى « ناصر حسين » إنه قد تبين من سير التحقيقات التى أجرتها وزارة الحربية آنذاك بعد نشر مقالات إحسان عبد القدوس فى مجلة روزاليوسف فى نهاية عام ١٩٤٩ وحتى مطلع عام ١٩٥٠ . . وبناء على تعليمات من السيد « مصطفى نصرت » وزير الحربية فى آخر وزارة لحزب الوفد برئاسة مصطفى النحاس تورط كاميليا ومن ورائها القصر الملكى فى تلك الصفقة . . حيث كانت هذه الفنانة واحدة من الوسطاء فى إبرامها . . ومن هنا نستطيع أن نتبين سر اهتمام « إلياس أندراوس » بها . . خاصة شراء فيلا لأمها « أولجا كوهين » فى قبرص . . لقد كانت صفقة الفيلا التى تمت عام ١٩٤٦ عربوناً للتعارف بينهما (٥) .

---

(٤) راقصات مصر - جليل البندارى - كتاب اليوم .

(٥) من الكلوب المصرى إلى قصر عابدين - ذكريات ناصر حسين - مجلة روزاليوسف بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٩٢ .

ولقد تم اكتشاف علاقة كاميليا بتلك الصفقة بعد أن تم القبض على عدد كبير من كبار الضباط فى سلاحى الطيران والبحرية والذين كانوا ضمن البعثة العسكرية التى قامت بإتمام الصفقة . . وأثناء تفتيش منزل أحد هؤلاء الضباط تم العثور على بعض الأوراق التى تفيد علاقة هذا الضابط بتاجر إسرائيلى يقيم فى القاهرة . . وقد أصدرت النيابة العامة إذناً بتفتيش منزله . . وتبين من خلال هذا التفتيش أن التاجر الإسرائيلى له علاقة ببعض الشخصيات الكبيرة فى مصر ، وأيضاً ببعض رجال القصر الملكى ، ومنهم كريم ثابت وإلياس أندراوس مستشار الملك للشئون الاقتصادية . . ووجد اسم « كاميليا » من بين الأسماء .

ويضيف ناصر حسين : « . . وأثناء الحرب بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨ . . كان ولابد أن تلعب كاميليا دوراً داخل المجتمع المصرى نفسه لتحقيق هدفين . . الأول : تغطية موقفها مع المخابرات الإسرائيلية ودرء الشك عنها وعن الدور الذى تلعبه . . وثانياً : هو معرفة ما يدور داخل عقول المجتمع المصرى نفسه . . » .

وكانت بعض الجمعيات الخيرية فى مصر قد بدأت فى جمع التبرعات من أجل فلسطين . . وقد أصرت « كاميليا » بناء على تعليمات من رئيسها فى وكالة المخابرات اليهودية « جيمس زارب » على إقامة حفلات خيرية لجمع التبرعات من أجل فلسطين ! .

وحصلت من « عبد الحميد بك بدر » وزير الشئون الاجتماعية عام ١٩٤٨ على تصريح لجمع التبرعات من أجل الحرب . . واشتركت مع السيدة أم كلثوم وتحية كاريوكا فى أكثر من حفلة لجمع هذه التبرعات . . وقد

استطاع « جيمس زارب » بهذه الخطوة درء الشبهات عنها وإبعاد علاقتها بالوكالة اليهودية[٦] .

وبعد أن فتحت ملفات قضية الأسلحة الفاسدة مرة أخرى وإلقاء الضوء على ارتباط اسم كاميليا بها . . سارعت المخابرات الإسرائيلية بوضع خطة جديدة لحماية كاميليا من اكتشاف أمرها . . ولم يكن أمامها من سبيل سوى العمل على إقناع الملك فاروق بواسطة بعض حاشيته بالزواج منها لتنجب له ولى العهد . . ولأن الملك فاروق كان فى ذلك الوقت فى حاجة إلى وصول ولى عهد يحكم مصر من بعده ، ولأنه كان يحب كاميليا فقد وافق على الفكرة . . وكانت تلك الموافقة بداية علاقة قوية ومتميزة بين فاروق وكاميليا .

* * *

والذى لم يكن يعرفه أحد . . أن عودة كاميليا لأحضان الملك فاروق بعد كارثة عام ١٩٤٨ . . كانت الخطوة الأولى فى سبيل التخلص منها عقاباً على ما اقترفته فى حق فاروق الشخصى وحق البلد الذى كان يحكمه .

ولعلنا قبل الوقوف على تفاصيل تلك النهاية المفجعة والتى أدت إلى مصرعها محترقة ضمن حطام إحدى الطائرات المدنية بالقرب من مدينة دمنهور . . كان علينا أن نعيش ولو للحظات مع البداية التى مكنت كاميليا من دخول قصر عابدين والارتماء فى أحضان ذلك الملك المجنون .

وحتى قبل الوقوف على تلك البداية . . رأينا من الضرورى أيضاً تحديد

---

(٦) المصدر السابق .

الموقع الفنى لكاميليا فوق خريطة الفن المصرى منذ ظهورها عام ١٩٤٦ وحتى يوم رحيلها عام ١٩٥٠ . . هذا الموقع الذى كان طريقها نحو عبور القصر الملكى لقصر عابدين .

ولتلك البداية عدة روايات . . بعضها يختلف والبعض الآخر يتفق . . ولقد رأينا تحقيقاً لمبدأ الحياد فيما نرويه أن نفسح المجال ولو فى سطور قليلة لكل رواية من تلك الروايات . . والغريب أن أغلب ما فيها من اختلاف كان فيما يتعلق بمن هو صاحب اختيار اسم كاميليا بدلاً من « ليليان كوهين » ، ومن كان له الفضل فى اشتغالها بالعمل الفنى .

ويقول الناقد الصحفى « جليل البندارى » والذى عايش وعاصر ميلاد ونجومية الفنانة كاميليا : « فى أغسطس عام ١٩٤٦ ، دخلت « ليليان كوهين » مع « إلهام حسين » من باب فندق وندسور بالاسكندرية ، وبعد عشر دقائق خرجت وهى معلقة بذراع أحمد سالم . . وفى الطائرة ، قال « أحمد سالم لليليان كوهين » : إنه يفكر فى الاسم الجديد الذى سوف يقدمها به للناس . . فلم ترد عليه الفتاة . . فقد كانت شاردة بسبب غياب أمها فى الاسكندرية . . فقد كانت صاحبة بنسيون . . فى الرمل .

وفى القاهرة ، عرض « أحمد سالم » الفيلم القصير الذى التقطه لليليان كوهين ، وأبرقت الفتاة لإلهام حسين تخبرها بأنها أصبحت نجمة سينمائية ولم توقع البرقية باسمها الحقيقى ، وإنما وقعت باسمها الجديد الذى اختاره لها أحمد سالم « كاميليا » .

أما الناقد الفنى ناصر حسين فيقول : « عندما شاهد بوللى ليليان كوهين » أعجب بها ولكن كانت تنقصها الشهرة . . وفى أول لقاء له معها

على مائدة سيد اللوزى سألها : وهل تحبين العمل فى السينما ؟ فصرخت ليليان : ياريت ، لقد كانت لديها الرغبة الصارخة فى الشهرة وميول أرستقراطية شديدة . . فأمسك « بوللى » بورقة وقلم وكتب خطاباً إلى « يوسف بك وهبى » وكان فى ذلك الوقت من أكثر مخرجى السينما عملاً . . لقد طلب منه « بوللى » أن يسند دور البطولة فى أى فيلم قادم إلى حاملة الخطاب . وطلب منه أن يتولى أمر الدعاية لها بأى وسيلة . . وأنه أى « بوللى » شخصياً مستعد لدفع مصاريف هذه الدعاية ، خاصة فى الصحف والمجلات .

وذهبت حاملة الخطاب « ليليان كوهين » إلى يوسف وهبى مع مندوب بوللى ، وعندما قابلته وفض الخطاب عرف ما يعنيه ، عرف بحسه أن بوللى يريد أن يقدم ذلك الصيد إلى الملك فاروق . . وسألها يوسف وهبى عن اسمها وحياتها واختار لها اسم « كاميليا » لأن حياتها الأولى تشبه تماماً حياة بطلة روايته « غادة الكاميليا » .

وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٤٦ وبداية عام ١٩٤٧ . . وتنفيذاً للرغبة الملكية السامية أسند إليها بطولة فيلم « القناع الأحمر » . . أمام سراج منير[(٧)] .

أما آخر الروايات التى حدثتنا عن البداية الفنية للفنانة كاميليا وعمن اختار اسمها الفنى ، فكانت على لسان السيدة « أولجا » التى قالت : « وعدنا ذات مرة من قبرص فى عام ١٩٤٦ . . وكان الصيف قد زحم الاسكندرية

---

(٧) وزراء فى جيوب الفنانات - ناصر حسين

بالناس . . وقلت لابنتى يومها : تعالى نتفرج على سباق الخيل . . وذهبنا فعلاً إلى السباق . . وجلست أنا مشغولة بمتابعة الجياد ، وعندما لمحت رجلاً يختلى بابنتى فى ركن من الأركان . . قمت كالمجنونة . . فقد كنت أخشى عليها من الذئاب . . وصرخت فيها : مين ده ؟ . . فقالت : مخرج كبير . . بيقول لى تيجى تشتغلى فى السينما ؟ . . ووجدتنى أقول لها صارخة : سينما أموتك . . أدبحك . . وإذا بابنتى ولأول مرة فى حياتها ترد على بصوت مرتفع : وفيها إيه السينما . . كل حاجة مش عاوزة . . خروج مش عاوزة . . شغل مش عاوزة . . سينما مش عاوزة . . أنا مش ممكن أتحبس فى البيت ! . . وفى هدوء . . قلت لها : ومين هُوَّ ده . . ومدت ليليان يدها إلىّ . . وكان فيها كارت ، وقرأت على ظهر الكارت العاشرة صباحاً فى فندق وندسور . . وعلى الوجه الثانى قرأت اسم صاحب الكارت « أحمد سالم » .

وفى فقرة أخرى من هذه الرواية قالت والدة كاميليا :

« . . وبعد يومين كنا فى القاهرة ، ونزلت أنا وابنتى فى فندق شبرد . . ولم نكد نفتح الشنط حتى استدعانى أحمد سالم بالتليفون إلى مكتبه وقد طلب منى أن أنتظر ساعة حتى يذهب مع ليليان إلى الاستديو لإجراء التجربة . . ولكنى ذهبت أنهى بعض الأعمال . . وعندما عدت إلى المكتب لم تكن ابنتى قد عادت فجلست أنتظر ساعة وساعتين . . ثم دخلت ووراءها أحمد سالم يصيح فرحاً « مبروك . . دى حاجة عظيمة » . ثم قال : اسمعى يامدام . . أنا عايز أسميها « كاميليا » « الكاميليا دى زهرة حلوة وغالية . . وبنتك حلوة وغالية » . . ووافقت أنا على الاسم . . » .

ويدون الدخول فى مناقشة غير مجدية عن تلك البداية . . وعن صاحب تسميتها « كاميليا » لأنها ليست من موضوع هذه الأوراق . . نقول : إن طريق الفن فى حياة الفنانة كاميليا والذى خطت أولى خطواتها فوق أشواكه عام ١٩٤٦ . . كان موازياً لطريق آخر ملىء بالورود . . وقد أدى بها فى نفس التوقيت تقريباً إلى قصر عابدين . . ثم الارتماء فى أحضان الملك فاروق الذى كانت له حاشيته الخاصة . . والتى كانت كل مهامها السرية والعلنية البحث عن الوجوه الجديدة من الفتيات لتقديمهن على أطباق من بللور فاضح للوجبات الملكية السامية .

ولقد لاحظنا أيضاً أنه رغم وجود ذلك الخلاف . . فقد كانت هناك فى المقابل آراء متفقة على نتيجة هذه العلاقة والتى تبلورت فى الواقع فى ممارسة سياسة حقيقية داخل قصر عابدين ومن موقع متقدم داخل جدران ذلك القصر .

وحتى هذه اللحظة . . لم نعرف بالضبط . . هل كان هناك نوع من التلازم فى توقيت بداية علاقة كاميليا بالملك فاروق وبداية علاقتها بالوكالة اليهودية وتجديدها كعميلة من الدرجة الأولى أم لا ؟ . .

وعلى أية حال . . فقد اقتربنا كثيراً من النهاية والوقوف على تفاصيل الحادث المروع . . ودوافعه الخاصة والعامة . . وبقى لنا فى هذا السياق أن نسوق بعض اللمحات المتفرقة عن الكيفية التى تعرف بها فاروق على كاميليا . . هذا التعارف الذى تم عام ١٩٤٦ . . واستمر على مدى أربع سنوات . . حتى يوم مصرعها عام ١٩٥٠ ! .

وهذه المرة سوف نختار تلك اللمحات السريعة أيضاً مما ذكرته والدة كاميليا فى مقدمة مذكراتها الخاصة . . « لقد عرفت كاميليا فاروق لينقذها من هوى أحمد سالم . . فقد كانت تشعر أن أحمد سالم هو أقوى رجل فى مصر . . حيث فقدت إرادتها أمامه . . كانت تحس أنه الحاكم بأمره يفعل بها ما يشاء . . ثم رأت أن فاروق هو الذى يستطيع أن يخلصها من هذا الهوى الجارف . . لقد أرادت أن تصادق قوة الحب بقوة السلطان . . ظناً منها أنها تستطيع أن تضارب ملك الهوى بملك مصر . . إنها هربت من مصر كلها خوفاً من بطش أحمد سالم ، ولكنها عادت إلى مصر معتمدة على عرش فاروق . . »[٨] .

وبشكل عام نقول : فإنه بالإضافة إلى ما ذكرته « أولجا » عن بداية علاقة ابنتها بملك مصر . . فإن العديد من المصادر تؤكد أن تلك العلاقة قد بدأت فوق أرض جزيرة قبرص وفى الوقت الذى كانت علاقتها بالفنان أحمد سالم قد بدأت قبل ذلك بقليل فوق أرض مدينة الاسكندرية . . وكأنما كان القدر متربصاً بها وبحياتها فى السياسة وفى الفن بالقرب من البحار . . رغم أنها ماتت محترقة فى الجو .

* * *

والآن حين نتحدث عن الدوافع الحقيقية التى أدت بالملك فاروق إلى التخلص من الفنانة كاميليا . . كان لابد من تقسيمها إلى نوعين من

---

(٨) مقدمة الحلقة الخامسة من مذكرات « أم كاميليا تتكلم » . . أخبار اليوم فى ١٩٥٦/٣/٣ .

الدوافع . . النوع الأول : دوافع شخصية خالصة . . والنوع الثانى : الدوافع الوطنية .

فعلى المستوى الشخصى كانت علاقته بكاميليا من بين الأسباب القوية للتعجيل بطلاق زوجته الأولى الملكة فريدة . . ذلك لأن الملك فاروق قد اعتاد ولفترة طويلة وبناء على اعترافات والدة كاميليا فى مذكراتها أن يستضيفها فى مخدع زوجته فريدة داخل قصر عابدين . . وقد ضبطته فى العديد من تلك المرات مع كاميليا . . وفى أوضاع غريبة وشاذة .

وثانى تلك الدوافع الشخصية . . أيضاً كانت رغبة كاميليا وبتوجيه من الموساد أن تتزوج من الملك بعدما طلق زوجته « فريدة » بحثاً عن ولى العهد الذى سوف يعتلى العرش من بعده . هذه الرغبة التى التقت فى طريق الأمانى مع رغبة وصيفته وعشيقته الأولى « ناهد رشاد » وزعيمة الحرس الحديدى . . التى كانت تحلم وتخطط هى الأخرى للفوز بهذا الشرف العظيم مما عرض الملك فى ذلك الوقت لصراع نسائى فاضح . . كان كثيراً ما يشكك فى رجولته وفحولته وسلطانه حتى أمام رجال حاشيته .

وآخر الدوافع الشخصية . . كانت تلك الضغوط الشديدة التى واجهت فاروق فى علاقته مع كاميليا عندما كان يعد نفسه للزواج من الملكة الجديدة « ناريمان » . . خاصة وأن كاميليا فى الفترة نفسها كانت قد ارتبطت فى أذهان الرأى العام المصرى بقضية الأسلحة الفاسدة وفى تورطها مع المخابرات الإسرائيلية فى تنفيذ تلك الصفقة .

ولم نكتشف بعد لحظات وجود ارتباط قوى بين الدافع الشخصى والدافع الوطنى الوحيد فى حياة الملك فاروق . . عندما شعر بتلك الجريمة البشعة التى شاركت فى صنعها الفنانة كاميليا . . فأراد أن يكفر عن ذنوبه تجاه أهل وطنه وشعبه .

فقد أقدم الملك فاروق على اغتيال الفنانة كاميليا بعد شعوره بالذنب تجاه هؤلاء الجنود الذين اغتالتهم يد الغدر وهم فى ساحة الشرف بعدما أثبتت التحقيقات صدق علاقة تلك الفنانة بجهاز المخابرات الإسرائيلية .

وقد يكون ذلك الدافع مثار سخرية وتندر الآخرين . . ولكن هؤلاء الذين سوف يسخرون . . سرعان ما يتقبلون ما توصلنا إليه على الأقل بدافع صحوة الضمير التى لا تفرق بين أمير أو غفير . . وعلى أية حال فإننا لم نقل إن ذلك كان الدافع الرئيسى وراء تخطيط الملك للتخلص من كاميليا . . بل قلنا : إنه كان أحد تلك الدوافع .

* * *

وبالرجوع إلى دقائق تفاصيل حادث مصرع كاميليا . . ووجود الملك فاروق وقتذاك خارج مصر . . نكتشف دقة التخطيط وإحكامه . . وقد أشرف على تنفيذه خادم الملك المطيع « بوللى » ذلك الرجل الذى قدم للملك « كاميليا » فى بداية حياتها وقبل مصرعها بست سنوات .

ففى الوقت الذى اتفق فيه الملك فاروق مع بعض أخص حاشيته على القيام بعملية خداع . . تعتمد فى المقام الأول على تنفيذ تمثيلية الزواج من كاميليا خارج مصر . . كانت هناك وعلى الجانب الآخر تحركات سرية لتنفيذ اغتيالها .

ويقول الكاتب الصحفى « محمد حسنين هيكل » فى وصفه لذلك الحادث المروع : « بدأت قصة الرحيل فى الساعة الثانية عشرة والنصف من صباح يوم الخميس الموافق ١٩٥٠/٨/٣١ بهبوط الطائرة TWA التابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية . . وقد ركبت كاميليا مع ستة ركاب من مطار القاهرة ، وأقلعت الطائرة من المطار . . وكان آخر اتصال لها عن طريق اللاسلكى فى الساعة الواحدة والنصف صباحاً وانقطعت الأخبار بعد ذلك وسقطت الطائرة وسط الحقول وتفحمت الجثث . . وقد قرر الطبيب الشرعى الذى عاين الجثة أن سبب الوفاة الجروح النارية وما صاحبها من صدمة عصبية وكسور فى عظام الساق » .

ورغم قسوة الحادث ونتيجته المفزعة . . إلا أن سلاح الطيران الملكى لم يقم بالبحث عن الطائرة المفقودة . . حتى عثر الأهالى على حطام الطائرة محترقة وسط الحقول .

وبعد مرور عدة أيام على وقوع الحادث نشرت كل الصحف المصرية نص تقرير الطبيب الشرعى عن مصرع كاميليا . . وقد جاء فيه « غرفة الدفن - صاحبة الجثة : « ليليان كوهين » المشهورة بكاميليا . . السن : حوالى ٣٠ سنة . والجنسية : يونانية إسرائيلية ومتجنسة بالجنسية المصرية . الملابس : كان على الجثة بقايا كومبيزون حرير أبيض بدانتيلا أعلاه . . وكيلوت حرير بمبى بأستك وجزء من تايير رمادى .

الكشف الظاهرى : الجثة لأنثى شعرها كستنائى سليمة العينين ظاهرتان وهما بارزتان ، واللسان خارج من فتحة الفم ، وبها حروق نارية من الدرجات الثلاث ، وأجزاء من الجسم فى حالة تقدد . . ولاحظنا وجود

مانيكير بأظافر اليدين وبديكير بأظافر القدمين وشاهدنا بها إصابات رضية مصحوبة بما يلى :

(١) كسر رضى لعظمتى الساعد الأيمن .

(٢) كسر بعظمة الفخذ اليسرى .

(٣) كسر بأسفل كل من عظمتى الساق .

(٤) تشقق بعضلات الذراعين

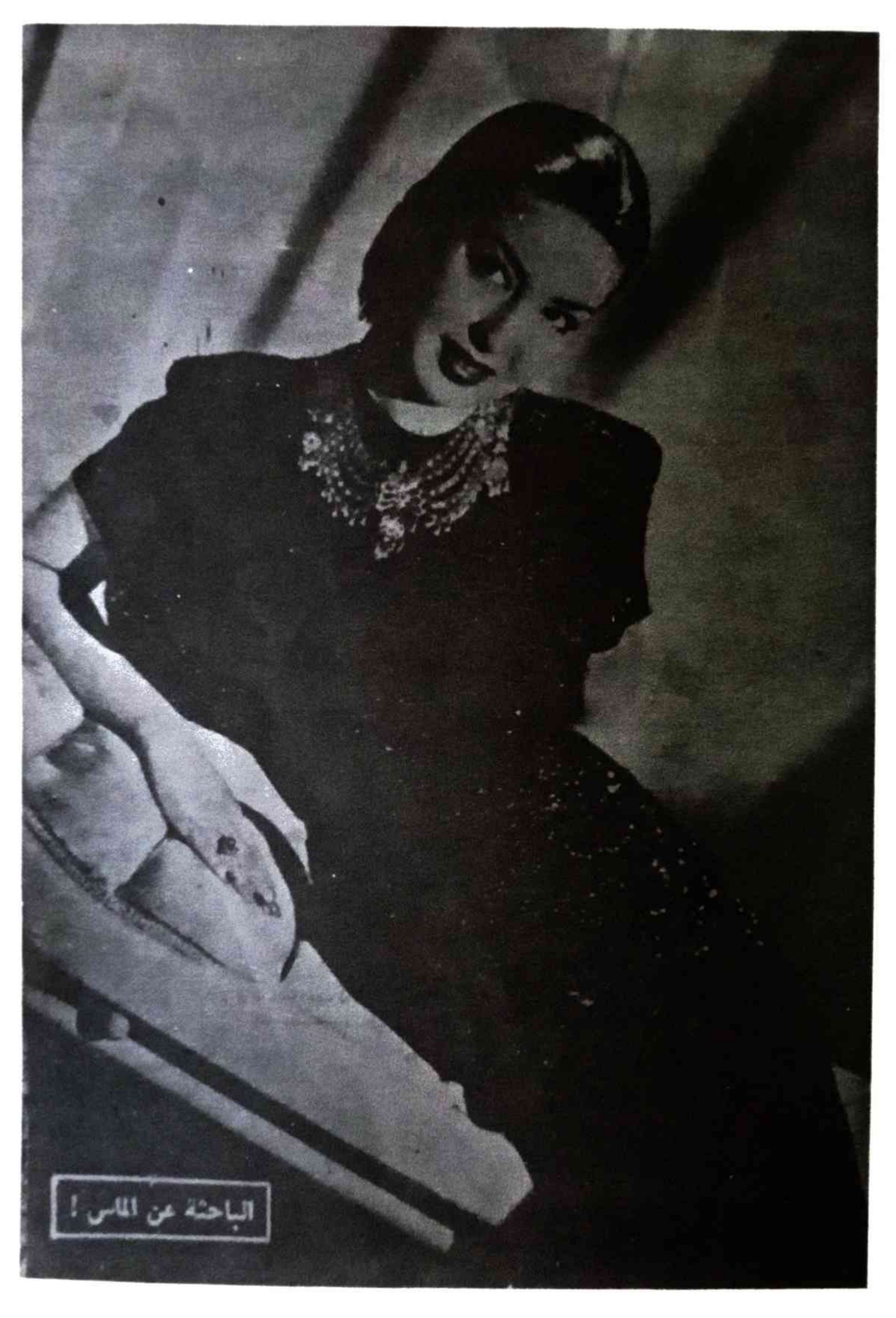
سبب الوفاة : الحروق النارية وما صاحبها من صدمة عصبية وكسور عظام الساقين والفخذ الأيسر والساعد الأيمن .

مكان الدفن : مصر - القاهرة .

(إمضاء الطبيب الشرعى)



الفنانة اليهودية الأصل « كاميليا » توقع على الأوتوجرافات
لبعض معجبيها

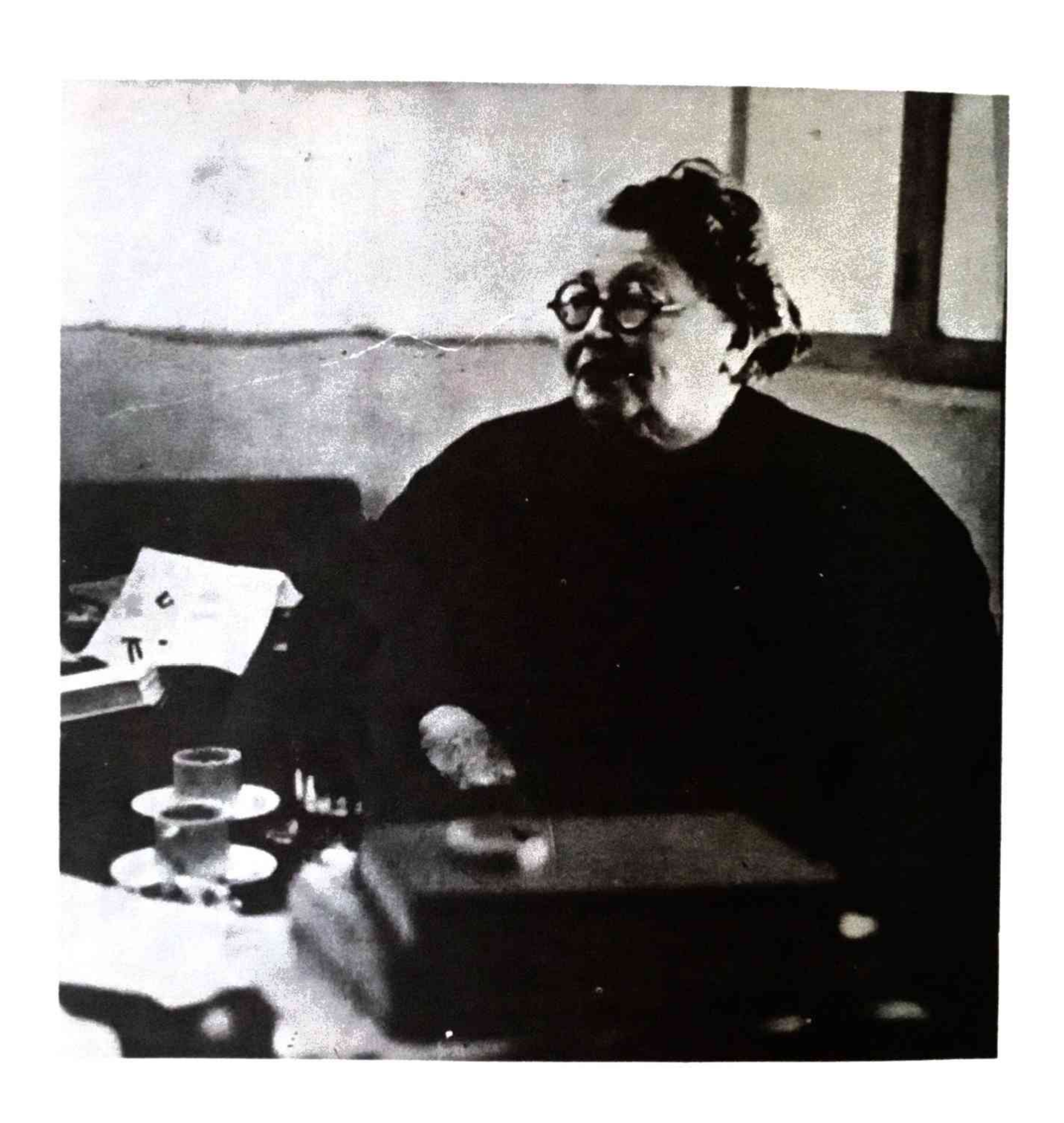


كاميليا فى لقطة فنية حيث تبدو متألقة فى كل من شارع الفن

وشارع السياسة



جنازة الفنانة كاميليا . . بعد احتراقها فى حادث الطائرة
الذى دبره الملك فاروق



« أولجا كوهين » والدة الفنانة كاميليا
تحكى ذكرياتها عن مشوار حياة ابنتها



برلنتى

وركبت قطار السياسة من كابينة المشير

نستطيع أن نؤكد من واقع ما قرأناه مما توافر لدينا من معلومات شخصية وغير شخصية . أن « نفيسة عبد الحميد » (برلنتى) ابنة حى « باب الشعرية والسيدة زينب » كانت قريبة إلى حد كبير من السياسة ولعبتها ودروبها . . سواء من قبل أن تدخل عالم الفن أو من بعده .

فقد أوقعها قدرها فى طريق أحد الشبان المصريين الذين اعتنقوا الماركسية . . فعاشت معه قصة حب كادت تنتهى بالزواج السعيد . . وقد حاول ذلك الحبيب أن يجر محبوبته إلى طريق العمل السياسى الذى كان دائماً يبدأ فى تصوره بتوزيع المنشورات وترويج الأفكار التى كان يؤمن بها . . إلا أن اختفاء ذلك الحبيب بسبب الهجرة إلى خارج مصر خوفاً من بطش السلطات أجل إلى حين استكمال مشوارها السياسى . . فى الوقت الذى كان قد ذاع فيه صيتها كممثلة إغراء وبدأت تشق طريقها كالصاروخ فى عالم السينما .

ولقد توقف القطار السياسى الذى ركبته الفنانة برلنتى عبد الحميد عند

أول محطة ، وظل متوقفاً لفترة طويلة فوق أحد الأرصفة المهجورة وحتى قبل أن يتحرك فوق قضبانه لمسافة نصف محطة فقط .

ولمدة عام أو أكثر ظل ذلك القطار السياسى على حالته فوق قضبانه المهجورة . . إلى أن لاحت فى الأفق علامات تنبىء بتحركه من جديد وانطلاقه وبداخله الفنانة برلنتى . . وذلك عندما أمر المشير عبد الحكيم عامر القائد الأعلى للقوات المسلحة آنذاك ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة التى كان رئيسها جمال عبد الناصر ورجاله بضرورة تحرك ذلك القطار على أن تلحق به . . بل وتجلس بجواره الفنانة برلنتى عبد الحميد .

وقد نظن أن ابتعاد الفنانة برلنتى عبد الحميد عن الحياة السياسية بعدما انقطعت علاقتها بالسياسى اليسارى مصطفى هيكل . . قد لاقى ارتياحاً بداخلها . . وبالتالى عقدت العزم على ألا تعود إلى دروبها من جديد . . وكان العكس هو الصحيح . . فقد ظلت الفنانة برلنتى عبد الحميد مرتبطة ارتباطاً قوياً بالعمل السياسى بعد هروب معلمها الأول . . وقبيل لقائها بالمشير عامر . . بدليل أنها ظلت طويلاً على علاقة بزملاء المُعلم واتباع مذهبه السياسى . . حتى وهى فى قمة تألقها الفنى .

بل ونستطيع القول كذلك أن فهمها واستيعابها للأيديولوجيات العامة والخاصة والتى كانت تنادى بها المذاهب السياسية التى كان يعتنقها ذلك المُعلم كان هو الطريق الملكى نحو قلب وعقل المشير عبد الحكيم عامر . . وكان بذلك أيضاً طريق الزواج والاقتران بنائب رئيس الجمهورية .

وبصرف النظر عن ذلك التأثر المبكر بالمفاهيم السياسية لدى الفنانة برلنتى

عبد الحميد والذى جعلها تحفظ عن ظهر قلب معظم التعبيرات السياسية المشهورة ، فإن تلك الفنانة كان بداخلها استعداد قوى لممارسة اللعبة السياسية . . وذلك عندما اختارت العمل بالصحافة السياسية رغم وجودها فى معهد كان سوف يؤهلها لدخول عالم الفن والسينما . . فهى من خريجات قسم النقد بالمعهد العالى للفنون المسرحية .

أضف إلى ذلك حرصها الكامل على المشاركة الحيوية فى الندوات السياسية الساخنة وارتباطها فى الوقت نفسه بالعديد من أشهر الكتّاب السياسيين آنذاك ، من أمثال أحمد بهاء الدين وآخرين ، وارتباطها بصداقات عديدة مع رجال السفارات الأجنبية والذى نشأ عن حضورها القوى لكل الحفلات أو الدعوات أو المؤتمرات السياسية وغير السياسية التى كانت تعقد تحت رعاية تلك السفارات .

ولا شك أن ذلك الحضور المبكر والاستعداد العام للعمل ثم النزول إلى الشارع السياسى وفقاً لما حفظته من مفاهيم قد شجع عدداً من المسئولين فى جهاز أمن الدولة والمخابرات العامة آنذاك للاتصال بالفنانة برلنتى عبد الحميد لتساهم فى تقديم خدمات أمنية للثورة . . تحت سمع وبصر القيادة العليا . . وكان على رأسهم المشير عبد الحكيم عامر . . الذى قربها من عالمه الخاص . . وأخذ بيدها لكى تشهد أعنف الأحداث السياسية والشخصية فى حياته من خلال موقعها كزوجة عاشت بجواره . . تحت مظلة الزواج العرفى .

ولسوف نلاحظ كثيراً ذلك الحضور السياسى الفطرى فى حياة تلك الفنانة . . خاصة فى الفترة التى تلت رحيل المشير . . وكانت كثيراً ما ترفض

التصريح بذلك الحضور . . أو حتى الاعتراف برغبتها فى العودة إلى الملعب السياسى . . ولقد بدا ذلك بوضوح فى عشرات التصريحات الصحفية التى أدلت بها ، فعلى سبيل المثال قالت فى جريدة المساء عام ١٩٨٨ رداً على سؤال :

- « بعد المشوار الطويل بين الفن والسياسة . . هل أفادتك السياسة فنياً ؟ » .

● « لماذا تفصل بين السياسة والفن ؟ إنهم أولاد عم ، فإذا كان السياسى يحاول حل مشاكل الناس وقضاء حاجتهم ومصالحهم فهذه مهمة الفنان أيضاً » .

وفى جريدة « الوفد » عام ١٩٨٧ قالت رداً على ذلك السؤال :

- هل أفادتك علاقتك بالسياسة أم أخرتك ؟

● « السياسة أضرتنى كثيراً من الناحية الخاصة . . لقد أبعدتنى عن الشهرة الفنية والمجد والمال ، فأنا كنت باكسب ١٥٠٠ جنيه شهرياً فى الوقت الذى كان فيه هذا المبلغ يساوى ثمن عمارة . . أما بعد الزواج فكنت أقبض ١٥٠ جنيهاً . . كما حرمتنى حريتى ، أما على المستوى العام فقد أفادتنى جداً . . فأنا لا أندم أبداً على زواجى من المشير عامر . . ولو رجعت بنا الأيام لاخترت حياتى كما هى » .

وفى مجلة « آخر ساعة » وفى عام ١٩٨٨ أيضاً . . ورداً على سؤال :

- يقولون : إن برلنتى كتبت قصة سياسية للسينما تحمل اسم

« الصديقان » وقيل إن الصديقين اللذين تعنيهما هما الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر . . فما الذى تقوله هذه القصة ؟ . .

● « إن القصة تدور حول المعنى المعروف سياسياً باسم اللعبة القذرة التى استطاعت أن تجعل من أصدق صديقين ألد عدوين ، وأنا أتمنى أن يتم إنتاج هذه القصة فى بلدى وليس كما حدث لفيلم « أنور السادات » .

وقالت نفس المجلة فى سؤال آخر : وهل تنوين التخصص فى تمثيل وكتابة الأفلام السينمائية ؟ .

فأجابت :

● وما الذى يمنع أن أمثل وأحارب فى مجال السياسة والقومية ؟

وعلى أية حال حين نتطرق إلى الحديث بالتفصيل عن مراحل حياة الفنانة برلنتى عبد الحميد فى الملعب السياسى . . نجد أنها مرت بمرحلتين أساسيتين : الأولى : بدأت منذ نعومة أظفارها حين كانت طالبة بالمرحلة الثانوية . . وفيها تعرفت بالصدفة على مصطفى هيكل الشاب الذى كان يعتنق المذهب اليسارى والذى كان على خلاف مع نظام الحكم آنذاك . . ولقد لعبت قصة الحب بينهما الدور الرئيسى فى الزحف قدماً نحو دروب العمل السياسى خلال تلك المرحلة . . وكادت أن تصل إلى نهايتها بالزواج المنتظر لولا اختفاء مصطفى هيكل فجأة . . بعدما رحل إلى باريس هرباً من بطش السلطات .

وقد تميزت تلك المرحلة وكما سوف نعرف فيما بعد بالطاعة العمياء التى أبدتها التلميذة « نفيسة عبد الحميد » فى حضور معلمها السياسى

الأول . . هذه الطاعة تجلت ملامحها فى اشتراكها فى توزيع بعض المنشورات لحساب ذلك المعلم . . وأيضاً فى قبولها مبدأ دخول المعهد العالى للفنون المسرحية . . قسم النقد وليس قسم التمثيل الذى كان سيؤهلها للعمل بالصحافة مما سهل عليها حفظ المئات من المصطلحات السياسية المرتبطة بالشيوعية والاشتراكية التى كانت سبيلها الوحيد نحو قلب وعقل المشير عامر فيما بعد .

أما المرحلة الثانية . . فقد بدأت أحداثها بعد انتهاء أحداث المرحلة الأولى ربما بسنة أو بأكثر . . عندما سعى إليها بعض رجال الأمن السياسى لحماية الثورة من أعدائها فى الخارج . . خاصة وأن الفنانة برلنتى عبد الحميد كانت فى تلك الفترة مشهورة ولها اتصالات وصداقات عديدة بالسفارات الأجنبية .

وكانت بداية تلك الاتصالات الطريق الوحيد نحو إقامة علاقة مشروعة مع المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والرجل الثانى فى مصر فى ذلك الوقت . . وكان من أهم ملامح تلك المرحلة . . الصمت اللعين والعيش بعيداً عن عيون أهل الفن . . والاكتفاء بالحياة السياسية الصامتة . . فى ظل المشير عامر . . كما تميزت تلك المرحلة أيضاً بطول سنواتها حيث وصلت إلى ست سنوات . . لأنها بدأت عام ١٩٦٢ وانتهت عام ١٩٦٨ . . عندما رحل المشير عامر مقتولاً أو منتحراً .

كما شهدت تلك المرحلة رغم ارتباطها بشخصية سياسية كبيرة مثل المشير عامر العديد من المصاعب والمشاكل التى أدت بالفنانة برلنتى عبد الحميد فى

نهاية الأمر إلى دخول السجن بعد التحقيق معها من جانب السلطات السياسية فى الدولة .

ولعشر سنوات ظلت الفنانة برلنتى تعيش فى حالة من الصمت الرهيب بعد رحيل زوجها المشير عامر . . إلا من فترات قليلة تمكنت خلالها من العودة إلى حياتها الفنية على استحياء . . وبعد أن تغيرت الأوضاع السياسية برحيل عبد الناصر نفسه تمكنت من أن تبوح وبصوت مرتفع . . بما كانت تعانى منه وتزيح الستار عن أسرار كثيرة فى حياة زوجها وحياتها السياسية بجوار المشير .

ولسوف نعيش لحظات طويلة قد تصل إلى أيام وربما إلى سنوات مع حكاية هذه الفنانة . . كما سوف نصحبها إلى داخل الملعب السياسي فى المرحلتين السابقتين . . وسيكون دليلنا فى تلك الرحلة العديد من الكتابات الصحفية المتفرقة التى عبرت بصدق عن أحداث تلك الفترة إلى جانب مذكرات الفنانة برلنتى التى نجحت فى إصدارها بعد معركة صحفية شرسة .

ولعلنا جميعاً فى شوق لكى نسمع تفاصيل حياة برلنتى داخل الملعب السياسى وتأثير تلك التفاصيل على مسار حياتها فى عالم الفن .

ولقد رأينا تخفيفاً علينا وعليكم - وقبل الخوض سوياً فى دروب ذلك الملعب - أن نسوق الكثير من المعلومات عن حياة الفنانة برلنتى سواء من قبل دخولها عالم الفن ثم الشهرة أو من بعدها . . ورغم أنها تناولت هذا الجانب الهام من حياتها فى بعض صفحات أوراقها الخاصة . . ومع ذلك وجدنا موضوعاً صحفياً شيقاً على لسانها فى إحدى المجلات اللبنانية . . لخصت

فيه قصة حياتها من البداية . . ولسوف نستكمل ما نراه ناقصاً في تلك القصة مما سطرته في أوراقها ومذكراتها التي صدرت تحت عنوان : « المشير وأنا » .

تقول مقدمة هذا الموضوع :

« قصص السينما ، أغلبها إن لم نقل كلها ، هي قصص الناس . . وكتاب السينما يأخذون عادة من أنفسهم ومن الناس مما يرون ويقرأون ويسمعون ويعيشون من تجارب . . ثم يقدمون كل ذلك في قصة تصور فتدعى فيلماً . . وقيل إن أنجح الأفلام ما أخذ من قصة حقيقية ، لم يزدها الخيال إلا في بعض ظلال أسطورية تبرزها لتعطيها الشكل المقبول .

وانطلاقاً من هذا يمكن القول أن قصة النجمة برلنتي عبد الحميد العائدة إلى الأضواء هي قصة سينمائية متكاملة بكل ما تحويه من حقائق . . فما هي حكايتها . . وما هي تفاصيل قصتها بالضبط ، وعلى وجه التقريب . . إنها قصة فتاة بدأت حياتها في « الحارة » . . كأي بنت بلد تعيش في حي السيدة زينب وفتحت عينيها على بيت بسيط عادي يعيش معها ثلاثة صبيان وأربع بنات وأب مثل كل الآباء ، ابن بلد فقير ، لكنه في منتهى الطيبة[1] هذه كانت علامات الفقر فقط لا غير .

وعندما أقبلت الدنيا عليه وابتسم له الحظ وازداد إيراده اليومي من العمل الذي يزاوله راح يسهر ويسكر ويتعرف على النساء الجميلات ، ثم ذابت أبوته وذهب عطفه واستبدت به الأنانية وأصبحت حياته الخاصة هدفاً له وحده ، وأصبحت الأم هي المعين الوحيد لأولادها الثمانية .

---

(١) مجلة كل شيء اللبنانية : برلنتي تكتب قصتها لتمثلها بنفسها على الشاشة .

واستطاعت الأم أن تكافح وتربى أولادها وترعاهم حتى ظفرت برلنتى بالشهادة الابتدائية واستعدت للالتحاق بالمرحلة الثانوية » .

وفى فقرة أخرى من نفس الموضوع قالت الفنانة برلنتى للمجلة : « لكن الأم كانت تتمنى أن تتزوج ابنتها حتى تخفف عنها الأعباء والتكاليف ، ولذلك كلفت « الخاطبة » بالبحث عن عريس لابنتها . . وجاء العريس . . رجل من الصعيد متزمت ، كبير فى السن ، ولكنه غنى جداً ، يمتلك مراكب شراعية تعمل فى نقل البضائع عن طريق النيل . . وصرخت الفتاة الشابة وهددت بالانتحار . . وفسخت الخطوبة .

وعادت حياة برلنتى تسير فى الدراسة سيراً طبيعياً إلى أن جاءها ذات يوم شاب ليعطيها دروساً فى اللغة الفرنسية . . وكان هذا الشاب قد تثقف بنظريات سياسية كثيرة ، وسافر المدرس ذات يوم إلى فرنسا وانقطع بذلك ما بينهما من صلات ثم التحقت هى بمعهد التمثيل » .

وتستطرد المجلة بعد ذلك فى سرد قصة زواجها وأشهر مغامرات الحب فى حياتها حتى التقت بأول رجل ارتبطت به كزوج وهو المنتج السينمائى « محمود سمهان » . وبعد فترة قصيرة تم الطلاق بينهما ، وظلت الفنانة برلنتى عبد الحميد وكما قالت المجلة تبحث عن الحب الدافىء والزوج المناسب . . حتى جاء اليوم الذى اكتشف فيه كل من حولها وبدون إنذار أنها قد فرضت عزلة صارمة حول نفسها . . بل واختفت تماماً من الحياة الفنية ، وقطعت صلاتها بكل الأصدقاء .

ولقد ظلت برلنتى عبد الحميد بعيدة عن الحياة الفنية وعن الناس وعن

أقاربها طوال أربع سنوات حتى جاء يوم ٥ يونيو من عام ١٩٦٧ بما حمله من مفاجآت وأحزان مؤسفة ، وما أنتجه من قضايا كان منها انتحار عريس برلنتى صاحب المقام الكبير فى مصر . . ومن جديد وبعد فترة وجيزة ، ظهرت برلنتى عبد الحميد فى الحياة العامة أولاً ثم الحياة الفنية ثانياً »[٢] .

والملاحظة العامة على هذا الموضوع . . أن كاتبه قد أغفل العديد من التفاصيل الخاصة بالفنانة برلنتى سواء فيما يتعلق بالميلاد أو النشأة . . مما جعلنا نلجأ إلى كتاب حياتها لكى نستكمل منه ما رأيناه نا قصاً حتى تتضح أكثر ملامح المسيرة تجاه حياة هذه السياسية أولاً ثم الفنانة ثانياً .

ومن أهم ما ذكرته برلنتى عبد الحميد عن حياتها الأولى . . قولها :

« . . . ومنذ البداية اختارت لى العناية الإلهية مولداً كان له أكبر الأثر فى تشكيل وجدانى وإعطائى المفاهيم التى كانت بالنسبة لى زاداً فى رحلة الحياة الشاقة . . كان مولدى بحى « باب الشعرية » فى بيت جدى حيث كنا نعيش أنا وأمى وأبى « الابن الوحيد لجدى » . . وقد ظللنا فى هذا البيت حتى بلغت الرابعة تقريباً ، ثم انتقلنا فى حى السيدة زينب تاركين بيت جدى »[٣]

وفى فقرة أخرى عن تلك البداية قالت : « وتفتحت عيناى على الدنيا فى حى السيدة زينب ففيه دخلت المدارس وفيه عرفت الصداقة ، ورأيت أناساً ذوى عقول شامخة ، وعرفت الجوع والشبع والفقر والغنى ، وعرفت

---

(٢) مجلة كل شىء اللبنانية . . برلنتى تكتب قصتها لتمثلها بنفسها على الشاشة (مصدر سابق) .

(٣) المشير وأنا - بقلم برلنتى عبد الحميد (ص ١٥) .

التحدى وعدم التسليم . . وفيه عرفت المسلم بالعمل والمسلم بشهادة الميلاد . . ولكن الأهم من ذلك هو معرفتى بأن كل هذه الأشياء المتناقضة فى النهاية تنصهر كلها فى بوتقة واحدة اسمها الحى الشعبى .

أما عن حياتها الفنية وظروف دخولها إلى عالم السينما . . فقالت عنها :

« وبعد أن أتممت دراستى الثانوية دخلت المعهد العالى للفنون المسرحية قسم النقد . . وذات يوم دخل علينا الأستاذ زكى طليمات عميد المعهد . . وما كادت عيناه تقع على حتى بدأ يتفحصنى ثم قال لى : ماذا تفعلين هنا فى قسم النقد . . نحن نحتاج إليك فى قسم التمثيل وبه تدرسين معظم العلوم التى بقسم النقد . . وأخذنى إلى قسم التمثيل ، والمسافة بين النقد والتمثيل خطوات .

ولقد غيرت هذه الخطوات مصيرى كله . . حيث كانوا يعدون مشروعات التخرج ، وكانت عبارة عن مسرحية يقوم بالتمثيل فيها مجموعة من طلبة المعهد على مسرح قاعة « أيوارت الأمريكية » . . وقبل الامتحان بأيام ، فوجىء الأستاذ زكى طليمات بغياب البطلة « ملك الجمل » الطالبة فى السنة النهائية والتى ستقوم بأدوار البطولة فى المسرحية . . وكانت الرواية التى اختارها الطالب « عبد الغنى قمر » لمشروع تخرجه هى مسرحية « الصعلوك » . . ووقع فى مأزق بغياب البطلة . . وجاءنى الأستاذ زكى طليمات وطلب منى القيام بتمثيل الدور أمام عبد الغنى قمر إنقاذاً للموقف »[٤] .

---

(٤) المشير وأنا (مصدر سابق) .

« وانتهى العرض ولا أدرى كيف ، وتصاعد التصفيق ، وجاء عبد الغنى يهنئنى ويشكرنى على نجاح العرض . . وزاد من سرورى أن الأستاذ زكى طليمات هنأنى وامتدح تمثيلى ، وأحسست بالزهو ، فكانت أول مرة أحظى فيها بهذا التقدير الجماهيرى . . وأن هذه النشوة لا يعرفها أحد سوى من ذاق حلاوتها .

وكان من أثر نجاح المشروع أن فاز عبد الغنى قمر بالدبلوم وفزت أنا بميزات العام الدراسى . . ونجحت . . وبدأ نجمى يضىء بسرعة الصاروخ ، وكنت أحصل على بطولات سينمائية رغم أنى كنت مازلت طالبة بالمعهد » .

ويخلاف ما ذكرته نستطيع أن نلخص بقية حياتها الفنية فى سطور قليلة ، خاصة من بعد ما نجحت فى قسم التمثيل . . وتركت قسم النقد . وكما هو معروف فقد التحقت أولاً بمعهد الفنون المسرحية عام ١٩٥٤ ثم تم اختيارها وهى مازالت فى السنة الثانية بالمعهد منتدبة للعمل فى المسرح الحديث . . وفى المسرح تعرف عليها الفنان المخرج الكبير صلاح أبو سيف وقد اختارها لتعمل معه فى فيلم « ريا وسكينة » مع سميرة أحمد .

ثم التحقت بفرق التليفزيون المسرحية . . وكان آخر أعمالها الفنية قبل تفرغها للحياة العائلية والسياسية بجوار المشير هو فيلم « الشياطين الثلاثة » . . الذى كان من أشهر أفلامها السينمائية . . ثم فيلم « درب المهابيل » مع أنور وجدى قصة عبد الحميد جودة السحار وإخراج توفيق صالح وفيلم « رنة الخلخال » قصة أمين يوسف غراب .

* * *

والآن أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من الحديث عن المشوار السياسى فى حياة برلنتى عبد الحميد . . وهو كما سبق وأوضحنا قسمناه إلى مرحلتين . . الأولى منذ أن كانت طالبة فى المرحلة الثانوية . . وكان بطل هذه المرحلة السياسى اليسارى مصطفى هيكل . . أما المرحلة الثانية والتى شهدت عنفوان تألقها الفنى منذ عام ١٩٦٢ . . فكان بطلها المشير عبد الحكيم عامر .

وهناك ملحوظة هامة لابد من ذكرها فى هذا السياق . . وهى أن حياة هذه الفنانة كانت من الممكن أن تتوقف عند حدود شهرتها فى عالم الفن كممثلة إغراء فى السينما المصرية فى الستينات . . ويكون مثلها فى ذلك مثل عشرات الممثلات المصريات أو غير المصريات . . رغم ارتباطها بالعمل السياسى فى بداية حياتها . . ولكن وجودها بجوار المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت ومعايشتها لظروف سياسية معينة . . انتهت بأسوأ هزيمة عسكرية فى تاريخنا الحديث . . جعل مسار حياتها يخرج عن طريق عالم الفن ويتجه إلى الملعب السياسى بقوة . . كما جعلنا نختارها ضمن صحبة أهل الفن الذين اشتغلوا بالسياسة .

وحين نتحدث بالتفصيل عن مراحل حياة برلنتى عبد الحميد نقول : إنه بالنسبة للمرحلة الأولى فقد بدأت منذ أن تعرفت على الشاب مصطفى هيكل . . ابن الجيران الذى جاء لكى يعطيها دروساً فى اللغة الفرنسية فأعطاها بجانب ذلك دروساً فى أصول السياسة والفكر الشيوعى . ولقد اعترفت فى أوراقها الخاصة بلقائها بذلك الشاب فقالت :

« كنت فى حاجة إلى مدرس يساعدنى على فهم الدروس وشرحها . . وتطوع ابن خالة لى بأن يحضر مدرساً يقوم بهذه المهمة ، كان هذا الرجل صديقاً لابن خالتى . . وقد ذكره بكثير من عبارات المديح والإشادة بعقله الراجح وعلمه الغزير ، وأفهمنى أنه ليس مدرساً بل موظفاً فى مصلحة البريد ، وذكر مآثره ، وأنه حاصل على ماجستير فى العلوم السياسية والمالية ، وأن عمه هو « محمد حسين هيكل باشا » . . أسكرتنى هذه الصفة فيه . . كان عالم الباشوات بالنسبة لى عالماً أسطورياً ، وأن يدخل رجل من هذا العالم إلى بيتنا أمر يهز الوجدان .

وجاء اليوم ، وحددت ساعة مجيئه قرب المساء ، ومنذ الصباح لم يكن لى شغل سوى العناية بهندامى وزينتى ونظافة حجرة الجلوس ومدخل الشقة » .

ليس هذا فقط بل حدثتنا عن تأثير ذلك الشاب اجتماعياً وسياسياً وعاطفياً على فتاة فى مثل سنها ، فقالت عن ذلك التأثير :

« . . وفى خلال ساعة من الدرس الأول كان قد استولى على مشاعرى . . ورغم أن الفارق بينى وبينه كان كبيراً فقد أسرنى فى هذا اللقاء ، وفيما تلاه من لقاءات . . كنت أشعر بأننى لا أقرأ معه كتاباً مدرسياً وإنما كنت أقرأ معه كتاب الحياة .

كان مصطفى هيكل من ذلك النوع من الرجال الذى لا يستولى عليك منظره ، بل تستولى عليك أخلاقه ، كان دمثاً ، واسع الثقافة ، واستطاع بشخصيته المتميزة أن يحرك عقلى للتفكير ويحرك قلبى أيضاً .

وخلال هذه اللقاءات تفتحت عيناى على دنيا غير الدنيا التى كنت أعيش فيها ، فقد كان يتناول فى حديثه كل شىء ، النجوم والسماء ، الأدب والأدباء ، الصراع الاجتماعى وطبقات المجتمع ، وكان هذا الموضوع بالذات محبباً إليه غاية الحب . . فقدكان ماركسياً رغم كونه من عائلة باشوات . . ومنه عرفت لأول مرة ما هى الماركسية وكان طبيعياً مع هذا النشاط الذى أصابنى أن يرد على لسانى سؤال مثل « من هو الله ؟ » .

ولقد ظلت علاقتى بمصطفى هيكل عدة سنوات ، ظل خلالها يغذى عقلى بالثقافة ، بأن يحدثنى مرة عن هذا الشىء أو ذاك بأن يعطينى كتاباً لأقرأه . . وكنت أقرأ ما يعطينى من كتب استجابة لميل غريزى عندى إلى المعرفة والاطلاع . . وتطورت علاقتى بمصطفى فأصبح اللقاء لا يتم فى بيتنا فقط وإنما تعداه إلى لقاءات خارج البيت . . وكان أكثرها يتم فى حديقة الأزبكية » .

وبطبيعة الحال ووفقاً لمجريات مثل هذه الأمور كان لابد لتلك العلاقة أن تثمر فى مجال الفكر السياسى ولو بالتبعية . . خاصة وأن فتاة فى مثل سن برلنتى كانت قد عاشت فى قصة حب كبيرة مع صاحب المبادىء الماركسية . . لذلك كانت على استعداد لمشاركته ميوله واتجاهاته الفكرية بل مشاركته نشاطه السرى لترويج ما كان يؤمن به من أفكار . . ولاشك أن ذلك سوف يبدو واضحاً من تفاصيل القصة التى روتها برلنتى عبد الحميد فى أوراقها .

« . . ذات يوم جاء ومعه كتب قال وهو يشير إليها : سأطلب منك القيام بمهمة . . أترين هذه الحقيبة ؟ . قلت : نعم . وماذا بها ؟ قال : منشورات ! .

وبعد ذلك أخذ يوضح لى المطلوب ، وكان الأمر كما رسمه لى . . أن أحمل هذه الحقيبة إلى محطة الأتوبيس ، فإذا جاء وركبته أنزل فى محطة كذا . . وسوف يكون هو فى انتظارى ليأخذها منى ، وأخذ يوصينى بالتزام الهدوء والثقة والثبات . . وبالقطع تظاهرت أمامه بالثبات ، وإن كانت الحقيقة غير ذلك . .

وقد جاءت ساعة الصفر وحملت الحقيبة وسرت بها إلى محطة الأتوبيس كما طلب منى بالضبط . . وكانت أمام « صيدناوى الخازندار » ، وعند المحطة تسمرت تماماً فى مكانى ، فقد استولى على الذعر وشل حركتى فلم أستطع مبارحة مكانى على الرصيف حيث كنت أرى الأتوبيس يأتى وراء الأتوبيس ، دون أن أجد القدرة على الحركة لركوبه . . ومكثت على تلك الحالة فترة طويلة ، فلا أنا أعود أدراجى إلى البيت . . ولا أنا أتقدم لتنفيذ هذه المهمة . . وكانت من أقسى التجارب التى تعرضت لها فى حياتى .

وفجأة رأيته إلى جوارى ومد يده إلى الحقيبة وأخذها منى وهو يقول : لا أنت ما تنفعيش خالص بالشكل ده حايقبض عليك البوليس حتى لو ما كانش عارف عنك حاجة . . ولم تكد حقيبة المنشورات تخرج من يدى حتى خرج الرعب من قلبى . . وعدت إلى البيت متعبة .

ولم يحاول مصطفى هيكل بعد ذلك أن يطلب منى شيئاً ، وإنما مضت الحياة بنا كالمعتاد يعطينى الدرس فى البيت ، ودروساً فى الحديقة ، وكنت أنمو وأزداد نضجاً ، وعلاقتى بمصطفى تنمو هى الأخرى وتزداد قوة .

وبعد تجربة « حقيبة المنشورات » بدأ سلوكه معى يتسم بالعاطفة . . ولم تعد غايته كلها منصرفة إلى عقلى فقط . . بل بدأ يولى عواطفى اهتماماً خاصاً ، وكأنما هو لم يعد يدخرنى « للنضال » ، وإنما ادخرنى للزواج وصارحنى بذلك واتفقنا عليه » .

والغريب أن تأثير مصطفى هيكل سياسياً لم يتوقف عند حد برلنتى فقط . . بل امتد إلى والدها الذى كان يرفض فى بداية الأمر موضوع الزواج من ابنته . . وكانت مناقشاته وآراؤه السياسية مع والد برلنتى الطريق الممهد لموافقته على ذلك الزواج . . وقد اعترفت بذلك برلنتى عبد الحميد فى مذكراتها « المشير وأنا » . . ولم يتوقف الأمر بالنسبة لذلك الشاب عند هذا الحد . . بل كانت جاذبيته وسحر آرائه . . هما السبيل لاختيار برلنتى لدراسة النقد المسرحى فى المعهد العالى للفنون المسرحية بدلاً من التمثيل .

وهذا التأثير الغريب يبدو واضحاً من قول برلنتى : « . . وبعد أن أتممت دراستى الثانوية أشار على مصطفى هيكل بدخول المعهد العالى للفنون المسرحية ، وحدد لى قسم النقد » . . بل وساعدها على الاشتغال بالصحافة الفنية والسياسية فى أثناء فترة دراستها . . « وكنت قد نشرت مقالات فى مجلات فنية إحداها يديرها المرحوم « عثمان العنتبلى » واقترحت فيها إنشاء مكتبات فى الأحياء تتيح لأبناء البسطاء الاطلاع وتثقيف أنفسهم . . لقد كنت أتمنى أن أكون كاتبة صحفية » .

وكانت برلنتى عبد الحميد من قبل قد تأثرت ثقافياً بأفكار معلمها السياسى الأول مصطفى هيكل . . وكانت كلها ثقافات يسارية . . إذ جعلها

تقرأ أعمال كبار الأدباء والمفكرين من وجهة نظره من أمثال مكسيم جورجى وديستوفيسكى وتولستوى وأعمال ماركس وإنجلز وغيرهم .

ولكن سرعان ما قاربت تلك المرحلة على الانتهاء . . عندما اختفى مصطفى هيكل من حياة برلنتى عبد الحميد . . فى الوقت الذى كانت فيه قد تألقت كنجمة إغراء وممثلة سينمائية مشهورة .

وهى تقول عن تلك النهاية : « لقد صرح لى هيكل فى يوم من الأيام أنه ينوى السفر إلى الخارج للدراسة ، وأدركت أن الدراسة لم تكن هى الدافع ، وإنما الهروب بنفسه من الهلاك بعد أن رأى زملاءه يؤخذون الواحد بعد الآخر إلى المعتقل . . ورغم إدراكى لهذه الحقيقة واستنتاجى لها ، فإننا لم نتحدث عنها فيما بيننا .

وبعد سنوات من سفره إلى باريس وصلنى منه خطاب يدعونى فيه إلى اللحاق به فى باريس للزواج والحياة هناك . فقد قرر الهجرة وما كنت أستطيع ترك والدتى وإخوتى للعيش فى الخارج إلى الأبد . . فقد كنت مسئولة عن رعاية إخوتى » .

وما لم تذكره الفنانة برلنتى عبد الحميد عن مصطفى هيكل وعن موقعه السياسى يكمله بعض الأصدقاء . . فقد قالوا : إنه يعتبر من الرعيل الأول للحزب الشيوعى المصرى . . بدأ نشاطه السياسى مبكراً وتقريباً منذ منتصف الأربعينيات . وعندما قامت الثورة وبعد عدة أشهر من قيامها وقبيل حدوث صدام بين ضباطها وبين الشيوعيين الذى كان منهم بطبيعة الحال مصطفى هيكل . . رحل إلى فرنسا هرباً من بطش الاعتقالات على أمل أن يكمل

دراسته هناك ويحصل على رسالة الدكتوراه . ولكن وأثناء وجوده فى باريس وقع الاعتداء الثلاثى على مصر . . فهرب مصطفى هيكل من جديد إلى خارج فرنسا ولجأ إلى « ألمانيا الشرقية » . . ولا يزال حتى الآن يعيش هناك فى ألمانيا على حد قول الرواة .

وحتى بعد رحيل مصطفى هيكل عن مصر . . واختفاء المعلم السياسى الأول فى حياة برلنتى عبد الحميد . . لم تنقطع عن الندوات السياسية . . أو عن التقرب إلى أصحاب الفكر السياسى من الصحفيين والسياسيين وغير السياسيين من المنظرين والمروجين للأفكار الماركسية . . وقد ساعدها فى ذلك شهرتها الفنية وتألقها كنجمة سينمائية .

ويبدو أن ذلك النشاط كان البداية الحقيقية للمرحلة الثانية داخل الملعب السياسى . . وقد تمثلت قمة أحداثها فى زواجها من المشير عامر وارتباطها بحياته حتى آخر يوم له فى الميدان السياسى وفى الحياة أيضاً .

لقد كانت المرحلة الثانية فى حياة الفنانة برلنتى عبد الحميد داخل الملعب السياسى . . ساخنة ومرعبة فى آن واحد . . وقد صورت لنا تلك بدايتها . . بقولها : « . . واتسعت الدائرة عن طريق عملى واختلطت بالأجانب من الفنانين والفنانات واستمتعت بأن أكون مضيفة لهم فى بلدى وعرف عنى هذا فكانوا يقصدوننى مباشرة وأطلقوا على اسم « برلنتى عبد النيل » . وكانوا يقولون إنى أشعرهم بأننى سفيرة لمصر عندهم » .

وتمضى حياتى على هذه الوتيرة . . الوقوف أمام الكاميرات ، وندوة

الخميس ، وتلبية دعوات السفارات ، ثم الانفراد بنفسى وحيرتى فى نهاية المطاف . . هكذا كانت حياتى فى أواخر عام ١٩٦٠ وكنت أتعرض لنقلات فجائية أبرز ما فيها أنى لا أختارها ولا أسعى إليها .

وفى ذات ليلة كنت مدعوة إلى حفل أقامته سفارة الهند فى منزل السفير بالزمالك تكريماً لقنصل أمريكا فى القاهرة . . . ولم يمض وقت طويل خلال هذا الحفل حتى تألفت حولى حلقة من السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسى . . وفيما نحن نتبادل الأحاديث والفكاهات أحسست برجل يقف خلفى ويزاحم الرجل الواقف بجوارى . . وفى غمرة دهشتى من هذا السلوك مال الرجل على أذنى حتى أصبح فمه فى أذنى مباشرة وقال لى هامساً : أنا فلان الفلانى (مخابرات) . . »[٥] .

ولم تكن تعلم الفنانة برلنتى أن محاولة تكليفها بالأعمال الوطنية للخدمة فى جهاز المخابرات وخدمة الأمن المصرى . . ستكون البداية الساخنة لدخولها عالم المشير عبد الحكيم عامر . . ذلك لأنه بعد هذا اللقاء دعيت برلنتى لاجتماع كان يحضره المشير عامر .

وجاء فى تعليل الصحفية التى وجهت إليها تلك الدعوة : « تعرفين أن أعداء الثورة كثيرون ، وأننا يجب أن نعمل على حمايتها من أى عدو لمصلحة الوطن والجماهير الكادحة لبقاء الدافع الثورى مستمراً لابد من إزالة أى عائق فى طريقه ، ونحن نعمل من أجل ذلك . . وقد رشحتك وهناك اجتماع سوف يعقد غداً ولابد من حضورك » .

---

(٥) المشير وأنا - مصدر سابق .

وبالفعل حضرت برلنتى ودار بينها وبين المشير عامر على حد قولها نقاش حول عدة مسائل . . ثم انفض الاجتماع على خير . . وبعده بيومين اتصل بها صلاح نصر وأخبرها بأن المشير عامر يريد أن يتحدث معها » .

وتقول برلنتى عن تفاصيل هذا اللقاء الذى تعتبره اللقاء الحاسم فى علاقتها بالمشير عامر : « وأخرجت سيجارة ولم أجد معى ثقاباً فإذا بعبد الحكيم عامر يخرج ولاعته رغم تخفيه ويشعل لى السيجارة ، قلت وأنا أنظر إلى وجهه على ضوء الولاعة : أنت تشبه عبد الحكيم عامر . . عاد إلى مقعده وأغرق فى الضحك » . . وهكذا تعددت اللقاءات حتى وصلت إلى نقطة اللاعودة حين أخبرها برغبته فى الزواج منها . . وبالفعل تم له ما أراد وأنجب منها ولده الأخير . . رغم أنه كان فى ذلك الوقت متزوجاً من غيرها وله عدة أولاد من تلك الزوجة .

وقبل الاسترسال فى سرد بقية الحكاية التى انتهت بالزواج بين برلنتى عبد الحميد والمشير عامر . . والتى تمثل بالنسبة لموضوع هذه الأوراق أحداث الحلقة الثانية فى سلسلة الأحداث التى ارتبطت بدخولها إلى الملعب السياسى نشير إلى أننا قد لاحظنا أن بداية التعارف بين برلنتى وعامر . . كان مثار خلاف بين عدد كبير من الكتاب والصحفيين . . هذا الخلاف كان من الموضوعات الصحفية المثيرة خاصة على صفحات مجلة « روزاليوسف » .

ولقد رأينا ضرورة الإشارة إلى هذا الخلاف . . دون مناقشة أيهما الأقرب إلى الواقع أو إلى الصواب . . ذلك لأن صاحبة الحكاية قد حسمت

ذلك الخلاف لصالحها عندما أصدرت مذكراتها « المشير وأنا » .

يقول الكاتب الصحفى عبد الله إمام معلقاً على بداية هذا التعارف :
« تقول السيدة برلنتى عبد الحميد فى التحقيق : إنها تعرفت على المشير عامر فى أواخر عام ١٩٦٠ عن طريق صلاح نصر الذى رتب لها اللقاء الأول والثانى . . ثم اشترك فى إعداد اللقاءات بعد ذلك .

ويقول صلاح نصر : إنها تعرفت على المشير عامر عن طريقه عقب أحداث الانفصال بين مصر وسوريا مباشرة . . كان المشير قد عاد من سوريا مطروداً محطم النفس حزيناً ، مهموماً . . وفى محاولة من رجاله لرفع روحه المعنوية أقامت إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة حفل شاى حضره عدد كبير من ضباط القوات المسلحة . . وكان المشير يعتبر كل الضباط رجاله وأصدقاءه وتلاميذه . . وقد حياه جميع الضباط أثناء حفل الشاى ، مما رفع من معنوياته .

وبعد هذا الحفل الكبير أقام صلاح نصر جلسة خاصة يسهر فيها المشير مع أقرب الرجال إليه ، وجاءت برلنتى عبد الحميد مدعوة فى هذا الحفل الضيق ، لتضفى بهجة على الجلسة بثقافتها الباهرة بالنسبة لهم .

وكان هذا هو اللقاء الأول بين المشير عامر وبين السيدة برلنتى . . وفى هذا اللقاء وقع حادثان كان لهما تأثير كبير على مسيرة علاقة المشير بالسيدة برلنتى . . تلك العلاقة التى انتهت بعقد زواج عرفى وقع عليه حسن عامر ومصطفى عامر شقيقا المشير فى أوائل عام ١٩٦٥ .

الحدث الأول : أن السيدة برلنتى عبد الحميد أسهمت فى التخفيف عن معاناة المشير وأزمته النفسية . بالحديث عن التناقضات الثانوية التى وقعت بين مصر وسوريا . . وقد بهرت كلمات السيدة برلنتى المشير حيث همس فى أذن الجالس إلى جواره أن هذه السيدة مثقفة جداً وازداد إنصاته إليها .

أما الحدث الثانى : فكان سينمائياً عندما أخرجت السيدة برلنتى سيجارة سارع المشير بتصرف الجنتلمان بإشعال السيجارة بعود ثقاب وظل يتفرس فى وجهها . . وكانت بداية القصة الطويلة التى شهدت نهاية المشير[٦] .

أما الكاتب الصحفى ناصر حسين فقد ذكر بداية أخرى لعلاقة المشير مع برلنتى عبد الحميد . . حين قال : لم تكن العلاقة بين المشير عبد الحكيم عامر والفنانة برلنتى عبد الحميد وليدة حالة المشير النفسية السيئة بعد حدوث الانفصال بين مصر وسوريا . . ولم تكن أيضاً بسبب المعاملة السيئة التى عومل بها من قادة الانقلاب السورى وخاصة من مدير مكتبه ، ولا ما أذيع فى بعض وسائل الإعلام فى سوريا منسوباً من المجلس الانفصالى بوجود المطربة وردة الجزائرية مع المشير ساعة الانقلاب . ولكن الرابطة بين المشير وبرلنتى كانت مرتبة ترتيباً منظماً سواء وقع الانفصال أم لم يقع .

ويبدأ ترتيب العلاقة فى سوريا أيضاً . . عندما كان المشير موجوداً فى دمشق للاحتفال بأعياد الوحدة بين مصر وسوريا ، وكانت الإذاعة المصرية قد ذهبت إلى هناك لإحياء حفلات « أضواء المدينة » . . وكان كل من مندوبى الإذاعة جلال معوض وسامية صادق وآمال فهمى . . وكان معهم العديد من الفنانين والفنانات ومن بينهم برلنتى عبد الحميد .

---

(٦) حكاية عامر وبرلنتى - روزاليوسف - عبد الله إمام فى ٢٠/ ٧/ ١٩٨٧ الحلقة الأولى .

وحدث أن كان المشير ومجموعته تجلس فى « هول » الفندق فى دمشق ومن حوله رجال الإعلام والصحافة وبعض الفنانين ، إذ لمحت آمال فهمى السيدة برلنتى عبد الحميد وهى تهبط سلم الفندق ، وهى ترتدى ملابس مثيرة للانتباه من شدة المغالاة فيها .

ونظرت آمال فهمى إلى جلال معوض الذى رأى نفس ما رأت ، وترك مكانه وذهب متجهاً إلى سلالم « هول » الفندق ومعه آمال فهمى وسامية صادق والصحفية مديحة عزت من روزاليوسف . . وعندما وصل إليها جلال معوض طلب من برلنتى أن ترتدى ملابس أكثر وقاراً ، خاصة لوجود المشير فى هول الفندق ، وكذلك حضوره الحفل الذى سوف يقام ، ورفضت برلنتى كلام جلال معوض ، وتدخلت سامية صادق وآمال فهمى ، ولكن برلنتى تركت الجميع وهبطت متجهة حيث يجلس المشير عبد الحكيم عامر . . وكان هذا أول لقاء بين الاثنين ، وتابع الجالسون من شلة المشير نظرات المشير إلى برلنتى حيث رحب بها ، وجلست إلى جواره . . ولكن رجال المشير يعرفون أنه لم يكن سهلاً عليه أن يقتنع بأية امرأة ؛ لأنهم يعلمون أنه قارىء جيد وخاصة فى الاقتصاد .

وعندما حدث الانفصال ، وساءت حالة المشير النفسية أرادوا أن يقيموا له حفلاً ، وراودتهم فكرة دعوة برلنتى عبد الحميد لحضور الحفل ، خاصة وأن المشير أبدى لهم إعجابه بها فى دمشق[٧] .

* * *

---

(٧) وزراء فى جيوب الفنانات – ناصر حسين – مصدر سابق .

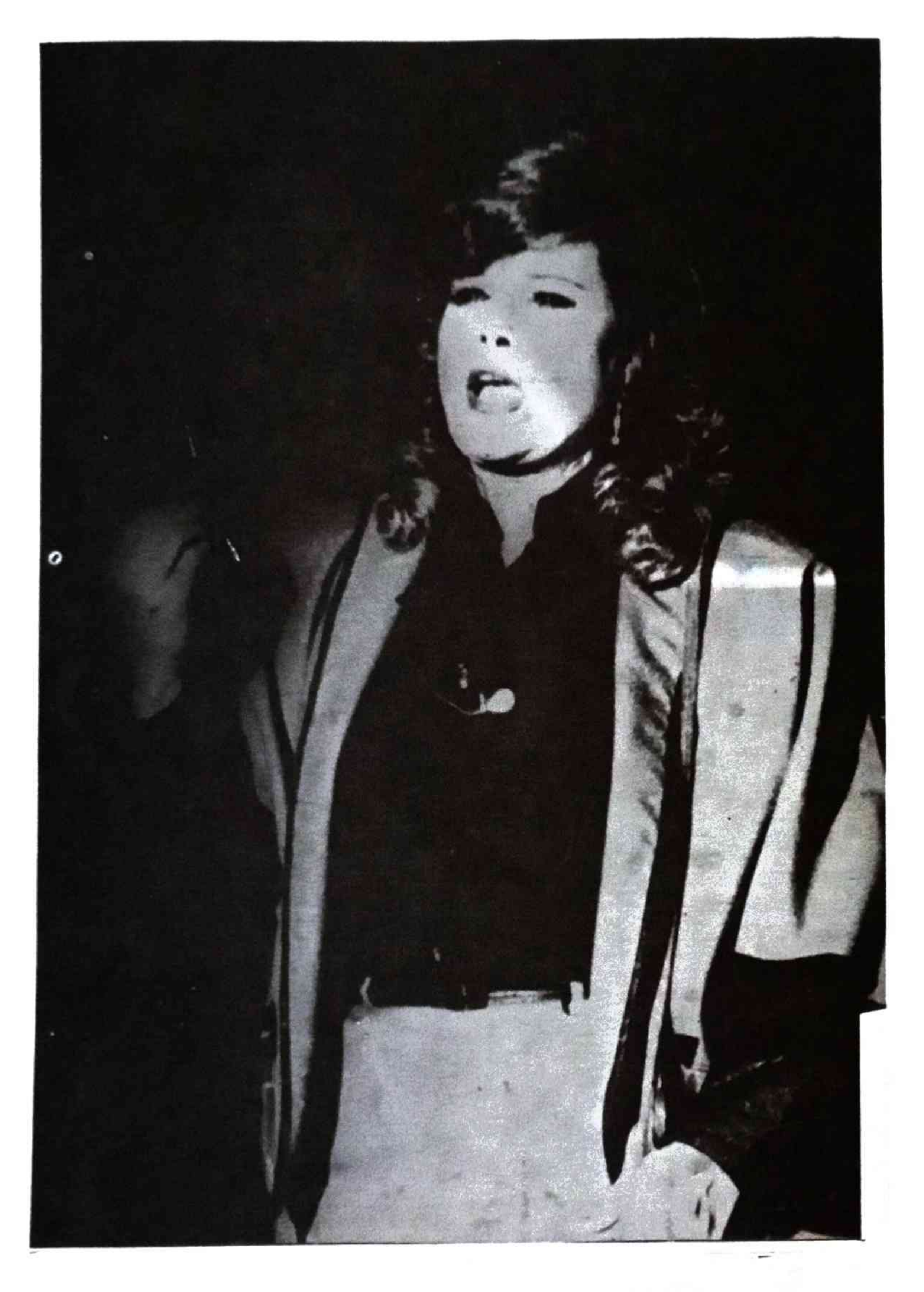
وعلى أية حال . . وأياً كان شكل تلك البداية ، أو توقيتها . . المهم وبعد فترة صارت الفنانة برلنتى عبد الحميد زوجة شرعية لأول نائب رئيس جمهورية لمصر بعد الثورة الذى كان فى الوقت نفسه القائد الأعلى للقوات المسلحة والشريك الثانى فى ثورة ٢٣ يوليو . . وباتت بذلك شاهدة على معظم الأحداث السياسية فى مصر فى الفترة ما بين أعوام ١٩٦٠ وحتى رحيل المشير عام ١٩٦٧ .

ولا شك أن ما يأتى فى مقدمة تلك الأحداث . . حكاية انفصال مصر عن سوريا وفشل الوحدة بين البلدين . . ثم هزيمة عام ١٩٦٧ التى تعتبر أول وأقسى هزيمة عسكرية منيت بها مصر فى التاريخ الحديث . . وأخيراً حادث انتحار المشير أو مقتله .

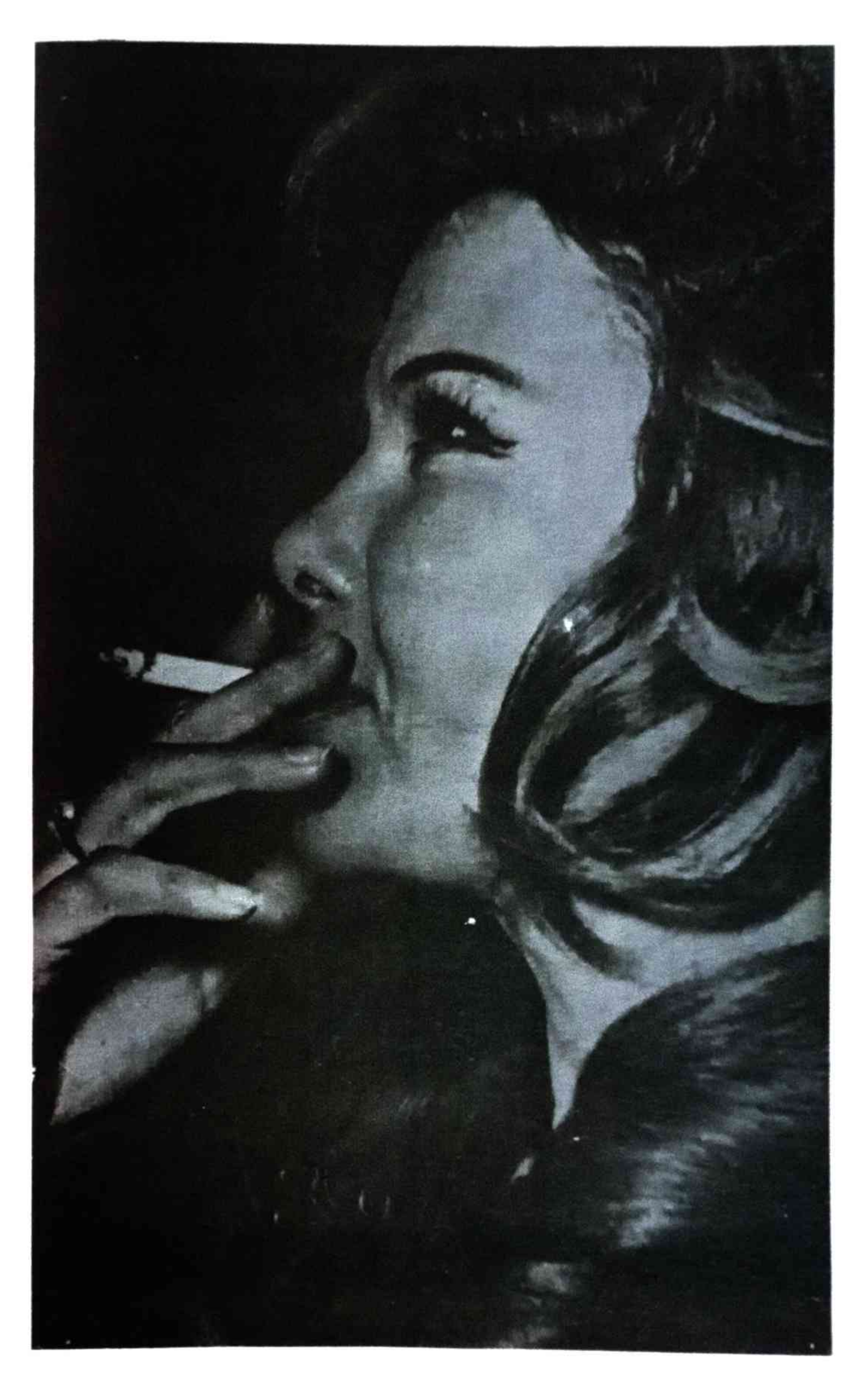
كما شهدت تلك المرحلة أيضاً علاقة الفنانة برلنتى عبد الحميد - بحكم موقعها من قلب المشير - بالعديد من السياسيين المصريين ورجال العسكرية الذين كان على رأسهم بطبيعة الحال جمال عبد الناصر نفسه . . وقد سجلت برلنتى لنا كل التفاصيل فى كتابها الذى سبق وأشرنا إليه ، فقد ذكرت أن العلاقة الخاصة بين عبد الناصر وعامر كانت فوق مستوى الشبهات لولا تدخل الخصوم الذين أفسدوا على الصديقين هذه العلاقة . . وكانت النهاية بقرار من عبد الناصر الذى أمر بالتخلص من صديقه المشير بدس السم له . . رغم ما أشيع وقتها بأنه حادث انتحاركما دافعت برلنتى فى هذا الكتاب عن زوجها وعن وطنيته .

كما أزاحت أيضاً الستار وربما لأول مرة عن تفاصيل مصرع المشير . . قبل نشر شهادة الدكتور « محمد على دياب » أستاذ التحاليل والسموم بالمركز القومى للبحوث والذى انتدبته النيابة العامة آنذاك لكتابة تقرير طبى حول الوفاة . . الذى شهد بأن وفاة المشير كانت جنائية وليست انتحاراً .

وحتى بعد رحيل المشير عامر . . واصلت الفنانة برلنتى عبد الحميد نضالها السياسى ولكنه كان هذه المرة فوق الورق ، وأحياناً فوق الشاشة الفضية أو الشاشة الصغيرة . . وعلى أية حال لم يستمر ذلك طويلاً . . ففى نهاية عام ١٩٩٣ أعلنت فى كل الصحف والمجلات اعتزالها الحياة الفنية والسياسية وتفرغها للعبادة ورعاية ابنها الطبيب الدكتور عمرو عبد الحكيم عامر .



الفنانة « برلنتى عبد الحميد » . . تشارك فى أحد الاجتماعات الجماهيرية
وتهتف بحياة الثورة



سيجارة برلنتى عبد الحميد . . كانت الطريق المفروش بالورود

إلى قلب المشير عبد الحكيم عامر



بعيداً عن الفن والسياسة . . برلنتى فى مطبخ بيتها تعد إحدى وجبات الطعام للمشير عبد الحكيم عامر



أم كلثوم

شاركت فى الحرب العالمية الثانية

لو قلنا إن السيدة « أم كلثوم » كوكب الشرق . . والمغنية العربية الأولى على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان . . كانت من أوائل الفنانين والفنانات المصريات اللائى دخلن بقوة إلى الملعب السياسى وتركن فيه آثاراً ملموسة ما زالت آفاقها واضحة للعين المجردة . . فإننا بذلك لا نجاوز الحقيقة . . بل ونصيب تلك الحقيقة فى مقتل .

وقد تجلى الدور السياسى للفنانة أم كلثوم فى عدة محاور . . بعضها لازم رحلتها الفنية الطويلة وكان صوتها الجميل وحنجرتها القوية السبيل الوحيد إلى ذلك . . والبعض الآخر ارتبط بقوة شخصيتها ومعرفتها للعديد من الزعماء السياسيين وكذلك الحكام والملوك . . سواء فى مصر أو فى العالم العربى .

ولن نغالى حين نقول فى هذا السياق : إن الفنانة أم كلثوم قد لعبت الدور الرئيسى فى تأكيد مفهوم ثورة عبد الناصر ليس فى مصر وحدها . . وإنما فى كل العالم العربى تقريباً . . مما جعل البعض ينظر إليها كمشارك

رئيسى لجمال عبد الناصر فى بعث القومية العربية . . وكان دليلهم إلى ذلك . . حفل ليلة الخميس الذى كان الموعد الحقيقى لاجتماع كل العرب من المحيط إلى الخليج حول جهاز الراديو وصوت أم كلثوم .

بل أكثر من ذلك وفى هذا المحور أيضاً . . كانت أم كلثوم قِبلة لكل زوار مصر من الحكام العرب . . الذين كانوا يحرصون فى الوقت نفسه على الالتقاء بها بل وحضور معظم حفلاتها على الهواء .

وبشكل عام نستطيع أن نقسم الحياة السياسية للسيدة « أم كلثوم » . . إلى عدة أقسام . . القسم الأول منها ارتبط بثلاثة أحداث سياسية على درجة كبيرة من الأهمية . . كان الحادث الأول . . مساهمة أم كلثوم بصوتها فى الحرب العالمية الثانية . أما الحادث الثانى . . فكان تنشيط المد الثورى الناصرى ونقله من داخل مصر إلى خارجها . . وأخيراً . . كان موافقة الولايات المتحدة الأمريكية على إمداد مصر بالمفاعلات النووية ، وذلك عندما اشتركت الذرة فى علاج حنجرة أم كلثوم .

أما القسم الثانى للحياة السياسية التى ارتبطت بأم كلثوم فقد انصبت على العديد من الشخصيات السياسية العربية والتى تعرفت عليها هذه الفنانة . . بل وظلت ملازمة لتلك الشخصيات حتى الرحيل . . سواء من قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو أو من بعدها . . وكان من أبرز تلك الشخصيات الزعيم جمال عبد الناصر والملك فؤاد وابنه الملك فاروق . . هذا بخلاف معرفتها بالعديد من الشخصيات السياسية العربية وحرص أغلب تلك الشخصيات على حضور حفلاتها الغنائية .

* * *

وكما تعودنا من قبل خلال رحلتنا عبر هذه الأوراق . . كان لابد من التوقف ولو للحظات . . للتعرف على بعض ملامح حياة تلك الفنانة العظيمة . . سواء على المستوى الشخصى أو على المستوى الفنى . . ذلك لإيماننا بأن الأعمال العظيمة دائماً ما تقف وراءها شخصية عظيمة وحياة مليئة بالإيمان والقوة والصبر الذى يتم ترجمته دائماً إلى نجاح يتلوه نجاح جديد .

ولاشك أن ملامح شخصية الإنسان العظيم وإلقاء الضوء المبهر على تلك الملامح يساعد كثيراً فى تلمس خطواتها والوقوف على أسباب ذلك النجاح الذى تحرزه فى كافة الميادين . . خاصة بالنسبة لفنانة مثل أم كلثوم ، عاشت حياتها بقوة إرادة . . واستطاعت بإمكانات فتاة ريفية قليلة الخبرة أن تصل إلى مستويات عالية من الأداء فى كل من المجالين الفنى والسياسى .

وحتى لا يشعر القارىء المتابع لنا عبر هذه الرحلة . . أننا قد أغفلنا جانباً من جوانب حياة السيدة أم كلثوم على المستوى السياسى . . نقول : إنه بالإضافة لما سبق وذكرناه عن محاور وأقسام حياتها السياسية المليئة بالأحداث الساخنة وكما سوف يمر علينا . . فإن هذه السيدة العظيمة تم اختيارها لمنصب وزير الثقافة فى أوائل عام ١٩٥٦ . . وهذا الاختيار لم تتم الموافقة عليه . . بسبب تدخل نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت وهو المشير عامر . . الذى حلف بالطلاق على حد قول الكاتب الصحفى «مصطفى أمين» . . بأنه إذا ما دخلت أم كلثوم الوزارة فسوف يقدم استقالته .

ولقد حاول جمال عبد الناصر . . إعادة هذا الاختيار فى أكثر من

مناسبة ، بل وذهب إلى أكثر من ذلك عندما كان يستعين بأم كلثوم كمستشارة فنية وسياسية له .

والدليل القوى على ذلك ما رواه لنا السيد « فتحى رضوان » حين قال : « فى ليلة أقمنا حفلة غنائية لأم كلثوم فى نادى الضباط احتفالاً بالملك حسين . . ولما خرجنا نوصله ، وكنت أنا رئيس الوفد المرافق له ، كان منظر الضباط ساعة الانصراف ، وعدد قليل منهم نائم تماماً على مقعده . . لا يرضى أحداً . . وكانت عيون الملك حسين حمراء . . وكان يتمايل من شدة التعب . . » .

ولقد ظلت السيدة « أم كلثوم » المستشار الفنى لجمال عبد الناصر حتى يوم رحيله . . الأمر الذى سبب لها العديد من المتاعب على المستويين الشخصى والفنى مع خلفه الرئيس السادات الذى تولى حكم مصر من بعد رحيله . ولسوف نتطرق إلى ذلك بالتفصيل حين نتحدث عن علاقة أم كلثوم بأشهر الزعماء السياسيين . . وسيكون على رأس هؤلاء بطبيعة الحال . . جمال عبد الناصر !

وعلى أية حال . . سوف نترك الآن حديث السياسة جانباً . . لنبدأ حديث الميلاد والشهرة والرحلة الفنية فى حياة كوكب الشرق . . ثم سرعان ما ندخل بأقلامنا وأوراقنا إلى الملعب الرئيسى لنصاحب أشهر تحركات أم كلثوم بداخله . . ونسجل أهم وقائع حياتها السياسية .

لقد نشأت « أم كلثوم » فى بيت متواضع ، مكون من طابق واحد . . فى قرية « طماى الزهايرة » . والدها هو الشيخ إبراهيم السيد البلتاجى مؤذن مسجد القرية . . وقد سميت بأم كلثوم تيمناً باسم بنت النبى ﷺ [1] .

---

(١) أم كلثوم معجزة الغناء العربى - رتيبة الحفنى .

وتقـول بيـانـات شـــهـادة مـيـلادهـــا المسـجلة فى سـجل مـدنى مـدينة السنبلاوين أن :

- اسم المولود الأنثى : أم كلثوم إبراهيم البلتاجى

- اسم الأب بالكامل : إبراهيم السيد البلتاجى

- واسم الأم رغم عدم وجوده ضمن بيانات شهادة الميلاد

: فاطمة الطبجى

- تاريـــخ الميــلاد : ٤ مايو عام ١٩٠٤

- جهـــة الميــــلاد : قرية طماى الزهايرة

(تحريراً فى ٤/ ٣/ ١٩٠٥)[٢]

وكبـرت الطفلة واشتـهرت فى الحى بجمال الصـوت . . فكانت تغنى أغانى الأطفال . . والجيران من حولها . . وفى المساء كانت الأسرة تجتمع مع الجيران على سطح المنزل . . يفترشون الأرض هرباً من الحر . . تغنيهم الطفلة « أم كلثوم » ويصاحبها والدها بالإيقاع على آنية من أوانى المطبخ .

وتقول الدكتورة رتيبة الحفنى تعليقاً على ذلك : « إن طفولة « أم كلثوم » تعكس حـيـاة الريف فى بداية القرن العشـرين . . والحب الذى كـان يربط العـائلات بعضـهـا ببعض بما فيـهـا من تماسك أسـرى . . وموقف الفتـاة فى المجتمع الريفى بداية من الطفولة والحياة الريفية الساذجة البسيطة . . فقصة حياة « أم كلثوم » تصور لنا بصدق حياة الأسرة الريفية متوسطة الحال حتى وصولها لعالم الفن والغناء فى مصر » .

---

(٢) عبد الناصر وأم كلثوم - لكاتب هذه السطور .

هذا عن البداية من حيث الميلاد والنشأة . . أما عن البداية الفنية فتقول عنها « أم كلثوم » : « كان والدى يمارس فن الغناء ، وكنت أنا وشقيقى نتردد على كتاب البلدة . . حتى إذا شب أخى ، أراد والدى أن يعلمه هذا الفن ليستعين به . . فأخذ يلقنه الأدوار والموشحات . . وذات يوم كلفه أن يحفظ موشحاً ، فلم يستطع حفظه ، وظل يعيده عليه عدة مرات ، ولكن أخى لم يحفظ الموشح . . مما جعل والدى يصفعه ويضربه ، وكنت أنا فى خلال ذلك قد حفظته ووجدت فى نفسى ميلاً شديداً لإلقائه . . فأسرعت إلى والدى لكى يسمع منى هذا الموشح . . فلم يلتفت إلى . . ومع إلحاحى فى الطلب رفض بشدة . . فدخلت غرفة أخرى وبدأت أغنى الموشح ، فأنصت والدى حتى انتهيت منه وكأنه فى هذه الدقائق فقط قد عرف ما فى نفسى من ميل فطرى للغناء . . فاستدعانى وطلب منى أن أعيد الموشح فأعدته » .

وقد بدأ والدها يصحبها معه فى الحفلات لتشارك بصوتها الجميل . . وبعد الغناء كان يكفيها طبق المهلبية . فلم تكن تفكر فى المال . . بل كان يكفيها قرش أو قرشان تدفعهما قسط الكتّاب[٣] .

وبدأ اسم « أم كلثوم » يلمع . . وبدأت العائلات الكبيرة تطلبها للاشتراك بالغناء فى حفلاتها وأفراحها ، ومن القرية انتقلت إلى قرى ومدن مجاورة واختلفت أساليب الانتقال وتحولت من التنقل بالحمير إلى القطار .

ففى عام ١٩١٥ وصل أجرها إلى ١٥٠ قرشاً ، فاشترى والدها حماراً تركبه « أم كلثوم » . . ومن خلفها والدها وأخوها خالد على الأقدام . . وفى عام ١٩١٦ زاد إيراد الشيخ إبراهيم من حفلات ابنته « أم كلثوم » فاشترى حمارين آخرين وأصبح الثلاثة يركبون الحمير فى تنقلاتهم .

---

(٣) أم كلثوم معجزة الغناء العربى - مصدر سابق .

ومن القرى والأقاليم ذهبت « أم كلثوم » لأول مرة إلى القاهرة لتغنى عند أحد أعيانها الذى سمع من ناظر عزبته عن هذه الطفلة المعجزة . . فبعث فى طلبها لتغنى فى قصره بحلوان احتفالاً بليلة الإسراء والمعراج . . وعندما رآها رفض مشاركتها فى هذا الحفل . . فعادت أم كلثوم ووالدها إلى القرية من جديد فى انتظار فرصة العودة إلى القاهرة . . وكانت بالفعل عودة قوية . . وكان الفضل فى ذلك يرجع إلى الشيخ « أبو العلا محمد » الذى اقترح على الشيخ إبراهيم أن يترك قرية « طماى » وينتقل إلى القاهرة . . ورغم عدم شعور والدها بالطمأنينة إلا أنه وافق على مضض .

وبالفعل جاءت « أم كلثوم » إلى القاهرة وصحبها الملحن الشيخ « أبو العلا محمد » . . الذى يرجع إليه الفضل كذلك فى معرفة « أم كلثوم » بالشاعر « أحمد رامى » . . وفى بداية حياتها فى هذه المدينة الجديدة نزلت بلوكاندة « جوردون هاوس » التى تطل على شارع فؤاد الأول (٢٦ يوليو الآن) .

ويروى الملحن « مدحت عاصم » لنا وللتاريخ الوقت الذى سمع فيه لأول مرة باسم المطربة الجديدة « أم كلثوم » فيقول : « . . دعيت مع والدتى إلى حفل بقصر آل عبد الرازق . . وكانت هذه أول مرة يتردد فيها صوت « أم كلثوم » بالقاهرة . . كان حفلاً خاصاً جداً أقامه « آل عبد الرازق » خصيصاً « لأم كلثوم » كى يفتحوا أمامها أبواب بيوتات القاهرة[٤] .

ويبدو أن هذه القصة قد حدثت فى أوائل عام ١٩١٩ . . حين كانت أم كلثوم لا زالت ترتدى العقال والبالطو الأزرق . . بدليل قول الأستاذ مدحت

---

(٤) أم كلثوم - مصدر سابق .

عاصم . . « ومازلت أذكر استخفاف الحاضرين بهذه الفتاة الصغيرة التى ترتدى ثوباً ريفياً بسيطاً ، يتوارى خجلاً أمام الأزياء التى ارتدتها سيدات هذا الحفل . . وفى البداية انصرف المدعوون عنها إلى أحاديث جانبية لاهية . . وما كاد صوتها الرخيم يخرج من فمها حتى صمتت الأحاديث القريبة منها . . وما كادت تستغرق فى الغناء حتى أقبلوا عليها » .

وفى عام ١٩٢٦ اتجهت « أم كلثوم » اتجاهاً جديداً على حد قول الدكتورة رتيبة الحفنى سواء فى ملبسها أو فى أسلوب غنائها . . فكونت لها أول تخت غنائى موسيقى من بعض الفنانين من أمثال « محمد العقاد » على آلة القانون و « سامى الشوا » على الكمان و « محمد القصبجى » على العود و « محمود رحمى » على الإيقاع .

ويعتبر عام ١٩٢٦ عام التحول الكبير فى حياة « أم كلثوم » الفنية . . خاصة بعدما أقنعت والدها بضرورة العيش إلى الأبد فى القاهرة بدلاً من قرية « طماى » وبعد نجاحها فى اجتياز الأزمة التى سببتها لها مجلة المسرح . . حين نشرت موضوعاً تقول فيه : « إن «أم كلثوم » قدمت وهى بنت صغيرة شكوى لمحكمة السنبلاوين مؤداها أن شاباً من القرية اغتصبها » .

وفى العام ذاته سجلت « أم كلثوم » أول اسطوانة لها وهى قصيدة « أراك عصى الدمع » بعد اتفاقها مع شركة أوديون عام ١٩٢٦ على تسجيل أغنياتها الجديدة .

من ناحية أخرى بدأت ما صار من بعدها تقليداً . . إذ كانت تحرص منذ عام ١٩٢٧ على إقامة حفلاتها الشهرية فى يوم الخميس الأول من كل شهر . . وعند استلامها أول مبلغ بعد تعاقدها مع شركة أوديون . . وكان

وقتها حوالى مائة وخمسين جنيهاً مقابل الاسطوانة الواحدة . . شرعت فى بناء فيلتها بشارع « أبو الفدا » بالزمالك والتى انتقلت إليها عام ١٩٣٦ .

وحتى بعد أن افتتحت « أم كلثوم » بصوتها محطة الإذاعة المصرية فى عام ١٩٣٤ ، تعاقدت معها الإذاعة على إحياء حفلين فى الشهر ، يتم إذاعتهما من ستديوهاتها فى مقابل أجر قدره ٢٥ جنيهاً عن كل حفل . . ثم ارتفع هذا الأجر فى عام ١٩٣٦ فبلغ ٤٠ جنيهاً ثم زاد إلى خمسين جنيهاً . . على أن تستغرق كل وصلة أربعين دقيقة .

ولقد اقترحت أم كلثوم على الإذاعة أن تقيم لها حفلات خارجية ينقلها الميكروفون من أحد مسارح القاهرة . . وقدمت أم كلثوم أول حفل مذاع لها بمسرح الأوبرا فى يوم ٧ يناير عام ١٩٣٧ ، وزادت فى هذا الحفل من عدد العازفين بفرقتها .

والآن وبعد أن استقرت كوكب الشرق « أم كلثوم » فى مدينة القاهرة عاصمة الفن ابتداء من عام ١٩٢٤ . . ثم عام ١٩٢٦ الذى شهد بدايات ميلادها الفنى القوى . . لابد من التنويه عن شيء رأيناه فى غاية الأهمية فى هذا السياق أننا حين نسوق لمحات من حياة هذه الفنانة العظيمة سواء من حيث الميلاد أو النشأة أو من حيث الشهرة الفنية الواسعة . . إنما نسجل فقط بعض الذى أحرزته هذه الفنانة العظيمة فى ميدان الفن . . وليس كل ما أحرزته .

ذلك لأننا نتحدث فى الأصل عن حياتها داخل الملعب السياسى وهذا التنويه لزم القول به . . لأننا أمام قصة حياة فنانة عظيمة لا يسعها عدد أوراق هذا الكتاب . . سواء بالنسبة لحياتها الخاصة أو حياتها الفنية . . ونحن فى

هذا الاتجاه قد جعلنا بين أيدينا عشرات الكتب والمجلات التى تناولت حياة الفنانة كوكب الشرق « أم كلثوم » . . وقد حاولنا أن نقطف من كل بستان زهرة . . نقدمها كباقة ورد نشرها على طريق « أم كلثوم » داخل الملعب السياسى الذى أبدعت فيه مثلما أبدعت كذلك فى عالم الفن الكبير .

* * *

وخلاصة القول أن « أم كلثوم » وبعد استقرارها فى القاهرة عاصمة الفن . . بدأت على الفور أولى خطواتها المحسوبة داخل الملعب السياسى . . ذلك وقد ذكرنا من قبل أن صوتها الجميل وحنجرتها الذهبية كانا سبيلها الأول والأخير لدخول الملعب السياسى بقوة واقتدار وثقة كانت تنم عن استعداد مبكر لممارسة هذا الدور .

كما نستطيع أن نؤكد فى هذا السياق أن رحلة أم كلثوم الفنية الطويلة . . كانت فى أغلب أحداثها بروفة حيوية مهدت لاقترابها من الجمهور والنزول إليه فى الشارع وبعيداً عن أضواء المسرح . . وإن لم تتمكن فى البداية من ترجمة هذا الاقتراب لعمل سياسى ملموس كما هو متفق عليه وفقاً للأصول الديمقراطية .

ونقول لو كانت « أم كلثوم » قد قررت فى ذلك الوقت القيام بأى عمل سياسى لنالت ثقة الجماهير وفازت بأحد مقاعد البرلمان .

وحين نعاود متابعة البحث عن موقع أقدام هذه الفنانة فوق أرض مدينة القاهرة لابد من الإشارة إلى أن « أم كلثوم » وبدءاً من عام ١٩٢٦ قد أصبحت مادة خصبة للموضوعات الصحفية سواء فيما يخص تفاصيل حياتها الخاصة أو العامة . . وقد تساوت فى ذلك مع الكثيرين من الزعماء

السياسيين والكبار . . بل لن نغالى حين نقول : إنها قد تفوقت عليهم فى عدد الأخبار وفى عدد الموضوعات التى ارتبطت بحياتها حتى يوم وفاتها .

وعلى سبيل المثال . . ففى عام ١٩٣١ وكما تقول الدكتورة « نعمات أحمد فؤاد » بدأت الصحف تنتقل معها فى سوريا ولبنان وفلسطين مسجلة صيغة العقود وأخبار الاستقبالات والحفاوة التى لقيتها « أم كلثوم » فى الأقطار الشقيقة وتهافت المتعاهدون على التعاقد معها . . وفى العدد ٢٥٩ من مجلة « الصباح » الصادر فى ١٩٣١/٩/١١ وصف ملوكى لاستقبالها فى بيروت وعلية القوم يصعدون الباخرة « اكس كمبيون » للتهنئة بسلامة الوصول(٥) .

وإذا كانت « أم كلثوم » قد بدأت رحلتها الفنية فى عالم الطرب بملحن واحد هو الشيخ « أبو العلا محمد » والتى حفظت أغانيه وأدتها فى حفلات عديدة فإنها وبعد استقرارها بمدينة القاهرة تعرفت على العديد من هؤلاء الملحنين الذين ارتبطت بأغلبهم على مدى حياتها الفنية . . بدءاً من الفنان الموسيقار « محمد القصبجى » الذى مهد لها طريق النجاح . . والذى لازمها فى فرقتها الموسيقية حتى يوم وفاته . . وداود حسنى والشيخ زكريا أحمد الذى تعرف على « أم كلثوم » فى بداية حياتها الفنية ولازمها هو الآخر فى حفلاتها حتى آخر ألحانه لأغنية « هو صحيح الهوا غلاب » .

ومنذ عام ١٩٤٥ - وكما تقول الدكتورة رتيبة الحفنى - انضم رياض السنباطى إلى ملحنى « أم كلثوم » ، ثم بدأت تتعامل بعد ذلك مع ملحنين شبان من أمثال « محمد الموجى » وكمال الطويل وبليغ حمدى . . وأخيراً الشيخ « سيد مكاوى » .

---

(٥) أم كلثوم وعصر الفن - د. نعمات أحمد فؤاد .

والحديث عن رحلتها الفنية يطول ويطول . . ولا يتسع له المقام هنا . . من أجل ذلك كان تركيزنا على أهم الأحداث الفنية الضخمة فى حياة « أم كلثوم » والتى تخدم رحلتها داخل الملعب السياسى . . ولا يفوتنا فى هذا المقام الإشارة إلى تعاونها مع الموسيقار « محمد عبد الوهاب » الذى لولا تدخل الزعيم جمال عبد الناصر لظل التعاون الفنى بينهما مقطوعاً حتى يوم رحيلها .

ففى عام ١٩٦٤ دخلت « أم كلثوم » تجربة فنية جديدة عندما لحن لها الموسيقار « محمد عبد الوهاب » أغنية « إنت عمرى » . . ومن بعدها لحن لها تسع أغنيات وقصيدة . . كانت آخرهن أغنية « ليلة حب » وهى من كلمات الشاعر « أحمد شفيق كامل » وقد غنتها فى ٧ ديسمبر عام ١٩٧٢ .

* * *

وحين نقترب من حديث السياسة ونترك حديث الفن جانباً لابد لنا من الإشارة إلى أن « أم كلثوم » لم تفرق أبداً فى مشوار حياتها الطويل . . بين الفن والسياسة . . بل كثيراً ما كانت تمزج بينهما خاصة حين يتعلق عملها السياسى بالمواقف الوطنية . . ولعل ذلك قد بدا واضحاً بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو . . وإن كان قد اقتصر على المستوى الرسمى . . خاصة حين كانت تحظى باهتمام الدولة وإنعامات السمو الملكى .

وهناك ملحوظة لابد من تسجيلها فى هذا المقام . . أننا لم نعثر على كاتب غيرنا أشار من قريب أو من بعيد إلى الدور السياسى الذى لعبته أم كلثوم طوال حياتها . . حتى أثناء وجودها بجوار الزعيم جمال عبد الناصر . . اللهم إلا بعض الكتابات الموسمية التى نوهت عن جهودها فى

المجال الوطنى . . والتى قامت به بعد هزيمة عام ١٩٦٧ . . أو بعض الإشارات الغامضة لجهودها الخيرية أثناء حرب عام ١٩٧٣ .

فى حين نجد أن أغلب هؤلاء الكتاب أو الصحفيين قد أشاروا إلى حصول أم كلثوم على العديد من الأوسمة والنياشين الرسمية أو الشعبية سواء من قبل ثورة يوليو أو بعدها . . ومع ذلك لم يفطن أحد من هؤلاء إلى الربط بين مظاهر هذا التكريم وبين جهودها السياسية التى تجلت أعظم صورها فى ربط شعوب العالم العربى وتوحيد كلمته ليلة الخميس الأول من كل شهر .

وعلى أية حال لن نتعجل المسير نحو دروب ومعالم الملعب السياسى الذى دخلته أم كلثوم من أوسع الأبواب . . بل سنتقدم إليه خطوة وراء أخرى . . حتى نتمكن من تحقيق مبدأ التتبع الواعى لمجريات أحداث حياة هذه الفنانة العظيمة سياسياً .

* * *

ولقد سبق لنا الإشارة من قبل إلى أنه أمكننا تقسيم حياة أم كلثوم داخل الملعب السياسى إلى ثلاثة محاور وأقسام . . الأول : ارتبط بالحرب العالمية الثانية . . والثانى : ارتبط بالملوك والزعماء السياسيين . . أما الثالث : فقد تمثل فى ارتباطها بالمنصب السياسى . .

وفيما يتعلق بالمحور أو القسم الأول الذى ارتبط بحياة أم كلثوم – وإن تم رغماً عنها – كانت أحداث الحرب العالمية الثانية .

ففى فترة هذه الحرب كانت أم كلثوم ملء السمع والبصر . . وقد تنافس

الحلفاء ودول المحور أثناء تلك الحرب على الفوز بأم كلثوم . . فحاول كل معسكر على حد قول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد : « تخديم صوتها دون إذن منها فى كسب مستمعين جدد يستمعون إلى دعاياتهم التى يقدمون لها بأغانى أم كلثوم . . وفى أثناء العمليات العسكرية لتلك الحرب أيضاً منعت انجلترا ممثلتها الشهيرة « فيفيان لى » من إحياء حفلة لصالح الجنود على مسرح الأزبكية . . وافق موعدها الخميس الأول من الشهر ، من أجل حفلة أم كلثوم اتقاء لغضب الشعب ولو مكبوتاً . . وتاقت « فيفيان لى » إلى رؤية أم كلثوم هذه وذهبت إليها وخرجت من الحفل تقول : « إنها معجزة من معجزات الدنيا » .

ويخلاف ما روته الدكتورة نعمات أحمد فؤاد عن التنافس على أم كلثوم أثناء الحرب العالمية الثانية . . فهناك بعض المؤرخين الذين ذهبوا إلى أكثر من ذلك . . فقد ذكروا . . أن الحكومة البريطانية فى مصر قد أشارت على رجال مخابراتها بالقبض على أم كلثوم ونقلها إلى لندن خوفاً من أن تستغلها الدعاية الألمانية لحسابها ضد قوات الحلفاء فى الحرب . . ويؤكد هؤلاء أن بريطانيا قد فكرت فى هذا السلوك خاصة بعدما انتزع « روميل » مدينة بنغازى وسقطت بعدها طبرق .

وربما لو لم ينهزم « هتلر » فى أخريات أيام الحرب . . لتحقق ما كانت تنوى القيام به انجلترا من خلال مخابراتها فى مصر ولاعتقلت فعلاً أم كلثوم خوفاً عليها من الدعاية الألمانية المضادة .

ويستند هذا الفريق فيما ذكروه عن علاقة أم كلثوم بالحرب العالمية الثانية ورغبة انجلترا فى اعتقالها إلى ما ذكره الأستاذ « سعيد لطفى » مدير الإذاعة فى ذلك الوقت . . حين أبلغ أم كلثوم أن محطة لندن عرضت عليه أن

تذهب هى إلى بريطانيا لتسجل قطعة غنائية على شريط مقابل ١٠٠ جنيه . . والغـريب وفـقـاً لتلك الرواية أن أم كلثـوم رفـضت هذا الطلب لقلة المبلغ المعروض عليها فطالبت بمضاعفته .

وفى المقـابل . . أنشـأت الحكومـةالإيطاليـة عـام ١٩٣٧ مـحطة اذاعـة لاسلكية هى محطة « بارى » للدعاية ضد انجلترا فى العالم العربى . . وقد عرضت هى الأخرى على أم كلثوم إحياء حفلات لها .

ولقـد ذكـر الأسـتـاذ « مـحـمـد التـابعى » فى كـتـابه « من أسـرار السـاسـة والسيـاسـة » أن رجال المخابرات البـريطانية فى الشـرق الأوسط لاحظوا أن وكـلاء المحور راحـوا يجـمعـون من الأسـواق جـميـع ا لاسطوانات العـربيـة خصـوصاً اسطوانات أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب استعداداً لحرب الدعاية فنشطوا هم كذلك إلى شراء هذه الاسطوانات . . وكان بذلك سباقاً حاراً بين الحلفاء ودول المحور على الفوز بأم كلثوم واستخدامها فى الحرب العالمية الثانية .

ومادمنا بصدد الحديث عن الدول الكبرى واهتماماتها السياسية بأم كلثوم فـسـوف نسـوق هنا وفى هذا الإطار حكاية المفـاعل النووى الذى وافـقت الولايات المتحدة الأمريكية على تزويد مصر به عام ١٩٥٥ من أجل عيون وحنجرة أم كلثوم .

ففى عام ١٩٤٩ ، وأم كلثوم ، على حد قول الدكتورة رتيبة الحفنى تعانى من الغدة الدرقية ، عرضت الولايات المتحدة الأمريكية على مصر أن تعالجها بمستشفى البحرية الأمريكية ، وهو مستشفى تخصصى لا يعالج فيه غير رجال البحرية الأمريكية وعظماء الشخصيات العالمية .

وعندما سافرت « أم كلثوم » إلى هناك لم يجرؤ واحد من الأطباء الأمريكان أو العرب على إجراء عملية جراحية . . تهيباً لما قد يترتب عليها من مشاكل فى صوتها ، وفضلوا استعمال الذرة فى علاج أم كلثوم . . وبالفعل شفيت وعادت إلى مصر .

وفى ١٨ يناير عام ١٩٥٥ نشرت الصحف المصرية تحت عنوان : « أم كلثوم هى السبب فى إنشاء معهد للذرة فى مصر » . . وقد جاء فى التفاصيل : « أن المعونة التى قدمتها الطاقة الذرية لإنقاذ الحياة الفنية لأم كلثوم أشهر مطربات مصر لها الفضل فى وضع الحجر الأول فى مشروع الرئيس « إيزنهاور » لاستغلا ل الذرة فى الأغراض السلمية فى الدول الأجنبية » !!

إلى هذا الحد وصل تأثير صوت أم كلثوم سياسياً ليس على المستوى المحلى . . بل وعلى المستوى الدولى أيضاً . . ولقد رأينا ذلك وسمعناه بوضوح . . فبعد اشتراكها رغماً عنها فى أحداث الحرب العالمية الثانية . . كان لها الفضل الكبير ولو بطريق غير مباشر فى إدخال مصر عصر الذرة وعصر الاستخدامات السلمية للطاقة النووية .

* * *

ويبقى لنا من حديث السياسة وأم كلثوم . . محوران . . الأول : عن علاقتها بالزعماء والملوك والرؤساء قبل وبعد الثورة . . والثانى : عن ارتباطها بالمناصب السياسية .

أما بالنسبة للحديث عن علاقة أم كلثوم بالملوك والرؤساء والزعماء والتى تبلورت أحداثه داخل الملعب السياسى بوضوح . . فقد شمل علاقتها أولاً بالملك فؤاد ثم بابنه فاروق . . هذه العلاقة التى أثمرت وكما سوف يمر

علينا عن حصولها على لقب « صاحبة العصمة » . . مثلها فى ذلك مثل أميرات البيت الملكى ، كما شمل كذلك علاقاتها المتميزة بكل من جمال عبد الناصر والسادات وبعض زعماء العالم العربى .

ومن الاجمال إلى التفاصيل ، نقول : إن صوت أم كلثوم . . كان سبيلها الطبيعى نحو خطف الألباب والقلوب من الرجال السياسيين وعظمائهم . . وكان على رأسهم - بطبيعة الحال - كل من الملك فؤاد ومن بعده ابنه فاروق ناهيك عن الكوكبة العظيمة من رجال السياسة المصرية ورجال الأحزاب . . وكان منهم فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد قبل الثورة وزعيمه الآن .

ففى عام ١٩٤٤ أنعم الملك فاروق بنيشان الكمال على كوكب الشرق أم كلثوم عقب ا لانتهاء من إحدى حفلاتها با لنادى الأهلى .

ويحكى لنا الكاتب الصحفى « مصطفى أمين » قصة ذلك النيشان ولقب « صاحبة العصمة » فيقول :

« كان أسعد يوم فى حياة « أم كلثوم » يوم أن أنعم عليها الملك فاروق بنيشان الكمال . . فقد كان النادى الأهلى بالجزيرة يقيم حفلاً فى حديقة النادى وقد غنت فيه أم كلثوم . . وفوجىء الحاضرون أثناء الحفل بالملك فاروق يدخل النادى ويجلس على المائدة التى كان يجلس عليها أحمد حسنين باشا آنذاك . . وفى هذه الليلة كانت أم كلثوم تغنى أغنية « هلت ليالى القمر » ولما انتهت من تلك الأغنية . . نادى الملك فاروق علىّ - وقد كنت يومئذ من الحاضرين لهذا الحفل - وطلب منى أن أصعد فوق خشبة المسرح لأعلن نبأ إنعام الملك عليها بنيشان الكمال . . » .

ويقدر سعادة « أم كلثوم » بهذا الوسام الذى حصلت بموجبه على لقب « صاحبة العصمة » والذى كان آنذاك مقصوراً فقط على آل البيت الملكى فقد كانت تعاسة هؤلاء الأميرات وكذلك زوجات الوزراء كبيرة للدرجة التى جعلت إحدى الأميرات تعلن فى الصحف أنها سوف ترد وسام الكمال إلى الملك .

وحين علمت أم كلثوم بذلك الموقف تحول فرحها إلى شقاء وبكت لهذه الإهانة . . ولكن سرعان ما استردت فرحها من جديد حين زارتها فى فيلتها السيدة « صفية زغلول » أم المصريين لكى تهنئها على الوسام ولقب « صاحبة العصمة » .

وبخلاف ذلك . . لم تقتصر علاقة أم كلثوم بالأسرة المالكة على حصولها على لقب صاحبة العصمة . . بل كانت هناك علاقات خاصة بينها وبين العديد من أفرادها . . وتحكى لنا أم كلثوم بلسان الغائب عن واحدة من هذه العلاقات فتقول : « طلبت الملكة نازلى من أم كلثوم أن تزف العروس الأميرة فوزية والأمير رضا بهلوى شاه إيران السابق . . وكان من مبادئها - أى أم كلثوم - أنها لا تزف أية عروس تحيى فرحها . . لقد كانت تقوم بالغناء فقط . . وكانت كبريات العائلات تلجأ لفرقة « بديعة مصابنى » أو فرقة « إحسان وثريا سالم » أو غيرهما للقيام بزفة العروسين .

وأرادت الملكة نازلى « الأم » أن تخرج على هذه التقاليد ، فبحثت عن الأقوى والأقيم . . فلم تجد غير صوت أم كلثوم . . ووقعت أم كلثوم فى حرج شديد ما بين مبدئها فى الحياة والخضوع للسلطة وللأسرة الحاكمة . . فقررت أم كلثوم أن تقبل هذا الطلب على أن تكون أول وآخر عروس تزفها ، وقد كان فوضعت أغنية خاصة لهذه المناسبة من كلمات « بيرم

التونسى » . . وكان مطلعها « مبروك على سموك وسموه » . . وأعدت أم كلثوم لهذه المناسبة فستاناً من الدانتيل الأسود ، وكان ذلك قبل أن تعرض عليها زفة العروسين .

وعلمت الملكة نازلى من « الخياطة ريتا » أن أم كلثوم سترتدى فستاناً أسود ، فطلبت الملكة تغيير لون الفستان . . ولم تجد أم كلثوم أمامها إلا تغيير بطانة الفستان . . من اللون الأسود إلى اللون البمبى . . وكانت أول مرة يبطن فستان بلون آخر ، وأصبحت موضة أطلقت عليها مدام ريتا « موضة ثومة »[٦] .

وعلى أثر الحديث عن النياشين والأوسمة التى نالتها كوكب الشرق « أم كلثوم » طوال حياتها الفنية . . فقد لاحظنا ارتباط تلك الأوسمة بأعظم الشخصيات السياسية سواء العربية أو الأجنبية وسواء قبل الثورة أو بعدها . . بل لاحظنا كذلك ارتباط تلك الأوسمة بأسماء رؤساء الدول والحكومات . . وحرص أغلبية هؤلاء الزعماء والرؤساء على منح أم كلثوم تلك الأوسمة والنياشين فى احتفالات شعبية مهيبة كانت تقام لمثل هذه المناسبات .

* * *

وإذا كان الملك فاروق ووالده الملك فؤاد وأمه الملكة نازلى وبعض الزعماء السياسيين فى مصر من أبرز الشخصيات السياسية التى ارتبطت بهم

---

(٦) أم كلثوم – معجزة الغناء العربى – مصدر سابق .

كوكب الشرق أم كلثوم قبل ثورة يوليو . . فإن هناك بجانب ذلك العديد من الشخصيات السياسية الأخرى التى ارتبطت بهم أم كلثوم . . بل وظلت بجوارهم حتى يوم الرحيل .

ويأتى على رأس هؤلاء الزعماء جمال عبد الناصر . . وبقية أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين باتوا يمثلون الطبقة الحاكمة الجديدة فى مصر خلال تلك الفترة وذلك بعد أن تغيرت ملامح الخريطة السياسية على أرض الواقع المصرى بعد عام ١٩٥٢ .

والمقام هنا لا يتسع لإلقاء الضوء بكل ألوانه المبهرة على أسرار علاقاتها بهؤلاء والتى نعتبرها فى صميم الدور السياسى الذى لعبته أم كلثوم . . لذلك سوف نحصر الحديث عن تلك الشخصيات فى رجلين اثنين فقط . . هما جمال عبد الناصر وأنور السادات .

وبالنسبة لجمال عبد الناصر . . فقد سبق لنا تخصيص أوراق كتاب كامل عن أسرار هذه العلاقة . . وصدر منذ فترة تحت عنوان « عبد الناصر وأم كلثوم علاقة خاصة جداً » . . وفيه تحدثنا عن أدق أسرار تلك العلاقة . لذلك نقول أن ما سوف نذكره هنا فى هذا المقام ، إنما هو بعض اللمحات السريعة التى تبين لنا مدى عمق العلاقة السياسية والإنسانية بين كل من أم كلثوم وجمال عبد الناصر .

وقد يظن البعض أن جمال عبد الناصر لم يعرف أم كلثوم إلا بعد الثورة . . أو بعد تدخله لإعادة إذاعة أغنياتها . . عندما قرر بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة منع إذاعة هذه الأغانى لأنها من بقايا العهد الملكى . . بل كان العكس هو الصحيح . . إذ يقول التاريخ أن معرفة عبد الناصر بأم كلثوم

كانت سابقة على قيام ثورة يوليو بأكثر من ثلاث سنوات . . وفى أثناء حصار الفالوجا فى حرب ١٩٤٨ . . عندما استقبلت أم كلثوم ضباط الحصار بعد رجوعهم من المعركة فى فيلتها بالزمالك وكان معهم الضابط جمال عبد الناصر والقائد العظيم السيد طه الذى كان معروفاً آنذاك باسم « الضبع الأسود » (*) .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو . . سارعت أم كلثوم لتأييد الثورة . . ولكن وعلى حد قول الدكتورة رتيبة الحفنى . . همس بعض المغرضين للرئيس عبد الناصر بأن يجعل للثورة مطربة أخرى غير أم كلثوم . . التى غنت للملك « حبيبى يسعد أوقاته » . . ونالت نيشان الكمال ، وأصبحت صاحبة العصمة ، وأنه يجب أن تعامل كما يعامل زعماء أحزاب العهد البائد .

واقتنع جمال عبد الناصر بهذا الرأى ، وطلب أن تنصب المطربة ليلى مراد على عرش الغناء . . وفعلاً كانت ليلى مراد المطربة الأولى لقطار الثورة وغنت فى أول أعيادها وأسفت أم كلثوم لهذا التصرف . . ولكنها كانت تعرف قدر نفسها . . وفعلاً لم يمر على الثورة غير عام أو ربما أقل . . حتى استدعاها عبد الناصر وطلب منها أن تعود .

وكانت عودة قوية لأم كلثوم حين خدمها الحظ وتعرض عبد الناصر لحادث اغتياله فى ميدان المنشية بالاسكندرية ، فقررت أن تغنى أغنية باسمه . . رداً على مواقف جمال عبد الناصر تجاهها . . حين قرر علاجها خارج مصر ، وأعاد أغانيها إلى أسماع الناس عبر موجات الإذاعة . . وقد غنت أم كلثوم بهذه المناسبة أغنية كلفت بكتابتها الشاعر بيرم التونسى . . فخرجت أغنية « يا جمال يا مثال الوطنية » .

(*) نشرنا صورة لهذا اللقاء فى كتابنا عن أم كلثوم وعبد الناصر . . وكانت أول صورة تنشر لأم كلثوم وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

ويبدو أن سرعة استجابة أم كلثوم للأحداث الخاصة فى حياة عبد الناصر كان الطريق الممهد لارتباطها بعبد الناصر وبكل الأحداث القومية والسياسية التى عاصرها داخلياً وخارجياً بدليل أنها ساهمت بدور كبير فى تعبئة كل الجماهير للوقوف خلف رجال الثورة أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .

لقد قبلت أم كلثوم القيام بمغامرة غير محسوبة لتسجيل نشيد الثورة « الله أكبر » تحت أضواء الشموع بعيداً عن دوى المدافع والقنابل التى بدأت تتساقط فوق القاهرة أثناء العدوان الثلاثى . . عندما ذهبت بمصاحبة فرقتها الموسيقية فى سيارة جمال عبد الناصر الخاصة إلى مدينة بنها . . لتسجيل هذا النشيد . . وقد تكرر ذلك الموقف الوطنى من أم كلثوم فى عام ١٩٦٧ .

وعلى المستوى الشخصى ، فقد وصلت العلاقة بين أم كلثوم وعبد الناصر إلى مدى عميق . . كان فى أغلب الأوقات غير مرئى وغير مسموع . . وكان معظمها علاقات تتم بعيداً عن البروتوكولات أو الاستقبالات الرسمية . . وهناك عشرات من المواقف الحيوية التى سجلناها من قبل فى كتابنا السابق الإشارة إليه . . ونوجز بعضها على سبيل المثال :

ففى أثناء العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ . . لم يجد عبد الناصر مكاناً آمناً لأسرته وأولاده إلا فيلا أم كلثوم والتى استضافتهم إلى أن انتهى ذلك العدوان .

وفى كثير من المواقف السياسية الساخنة التى كان يتعرض لها عبد الناصر كان يجد فى أحضان أم كلثوم وفيلتها المكان الهادىء الذى يهرب فيه من حالات اليأس التى كانت تنتابه من حين لآخر . . ونتيجة لذلك أصبحت

أم كلثوم من الأصدقاء المقربين لأسرة الزعيم جمال عبد الناصر . . لذلك كانت كثيراً ما تشارك بصوتها فى إحياء حفلات أعياد ميلاد أولاد الرئيس .

وقد صرحت أم كلثوم عقب وفاة عبد الناصر أنها سوف تعتزل الغناء . . مما يدل على ارتباطها الكبير سياسياً وفنياً بالزعيم الذى خلف لها فراغاً كبيراً بعد رحيله . . ولولا تدخل بعض الأصدقاء المقربين لأم كلثوم خوفاً من السادات لنفذت ما كانت تنوى عمله بالاعتزال .

وفى المقابل كانت علاقة أم كلثوم بالرئيس السادات مختلفة تماماً . . وقد خصصنا صفحات كثيرة من كتابنا « سيدتان من مصر » للحديث عن أدق تفاصيل العلاقة بين أم كلثوم وبين السادات وزوجته السيدة جيهان .

وعلى أية حال . . لقد تجلت آفاق هذه العلاقة منذ عام ١٩٥٤ . . عندما كلف عبد الناصر الضابط أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة آنذاك بمصاحبة أم كلثوم حتى باب الطائرة أثناء رحلة علاجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

* * *

وها نحن وقد قاربنا على نهاية رحلتنا مع أم كلثوم داخل الشارع السياسى . . كان علينا قبل ذلك أن نضع آخر النقاط فوق حروف هذه الحكاية بالحديث عن أهم المناصب السياسية التى تقلدتها أم كلثوم فى حياتها .

ويبدو أن كوكب الشرق كانت بالفعل تدرب نفسها على الممارسة السياسية المبكرة . . وعندما قررت أن تخوض أول انتخابات لها فى نقابة المهن الموسيقية عام ١٩٤٤ . . وقد ظلت نقيبة لكل الموسيقيين على مدى سبع دورات متتالية .

ويقول الموسيقار محمود الشريف عن ظروف هذا المنصب : « ومع تراكم مشاكل الموسيقيين ، أحسوا بأنهم فى حاجة لا إلى مكان يجمعهم لعمل البروفات ولكنهم فى حاجة إلى نقابة تساندهم وتحميهم وتحافظ على حقوقهم .

ومع تكتلهم صدر القانون رقم ١٢٣ لسنة ١٩٤٤ بإنشاء أول نقابة للموسيقيين . . اجتمعت الجمعية العمومية وتم انتخاب أول مجلس إدارة للنقابة ، وفازت أم كلثوم بمنصب النقيب ، وانتخبت وكيلاً للنقابة » .

وحتى عندما حاول بعض رجال الثورة مضايقة أم كلثوم ضمن خطتهم للقضاء عليها . . لأنها كانت على حد قولهم من مخلفات العهد الملكى البائد . . بعد ما أوقفوا إذاعة أغنياتها . . قرروا التدخل فى حياة أم كلثوم النقابية والسياسية . . فساندوا الموسيقار محمد عبد الوهاب فى الانتخابات النقابية ضد أم كلثوم . . وبعد أن فاز عبد الوهاب قررت أم كلثوم اعتزال العمل الفنى . . لولا تدخل جمال عبد الناصر فى هذه المرة أيضاً .

وكانت المكافأة الكبرى لكوكب الشرق عندما استجابت لرجاء الزعيم فقربها إليه ثم اختارها كمستشارة فنية وسياسية .

وكانت المفاجأة الثانية عندما قرر عبد الناصر اختيارها أيضاً فى منصب وزيرة للثقافة كأول امرأة مصرية تشارك سياسياً فى عمل تنفيذى وجماهيرى بعدما خصص لها من قبل إذاعة خاصة لأغنياتها . . وان تغيرت خريطتها الفنية بعد رحيل عبد الناصر . . فبدأت تذيع كل الأغنيات لمختلف الفنانين والفنانات .

وكادت أم كلثوم وفقاً لذلك الاختيار أن تدخل الوزارة . . لولا اعتراض المشير عبد الحكيم عامر الذى رفض دخول المرأة الحياة السياسية فى مصر .

وتقول تفاصيل ذلك الاختيار وفقاً لما رواه مصطفى أمين : « إنه بعد العدوان الثلاثى على مصر . . أراد جمال عبد الناصر أن يثبت للغرب أنه بدأ يعطى للمرأة المصرية بعض حقوقها السياسية . . وأن مصر فى طريقها لاحترام حقوق الإنسان . . فقرر أن تدخل المرأة الوزارة لأول مرة . . ولم يكتف بالموافقة على منحها حق الانتخاب . . وقد حدث ذلك رغم معارضة زميله المشير عبد الحكيم عامر . . الذى هدد وقتها بالانسحاب من منصبه الوزارى إذا ما دخلت المرأة فى الحكومة . . » .

وعلى إثر هذا الموقف اتصل جمال عبد الناصر بالكاتب مصطفى أمين يطلب منه تقديم بعض المعلومات من أرشيف أخبار اليوم عن أشهر السيدات فى مصر فى ذلك الوقت . . وفى اليوم التالى قدم مصطفى أمين لجمال عبد الناصر قائمة بأسماء عشر نساء ، والمعلومات الخاصة بكل واحدة منهن . . وكانت أم كلثوم على رأس تلك القائمة . . لتولى منصب وزير الارشاد القومى (الثقافة الآن) . . إلا أن عبد الناصر اختار الدكتورة حكمت أبو زيد فى منصب أول وزيرة للشئون الاجتماعية رغم أنها فى قائمة مصطفى أمين كانت العاشرة[٧] .

* * *

وإذا ما تركنا علاقة أم كلثوم السياسية والاجتماعية والإنسانية بالزعيم جمال عبد الناصر . . لكى نتعرف على بعض ملامح هذه العلاقة مع خلفه الرئيس أنور السادات . . نجد أن أم كلثوم قد خاضت أعنف معاركها السياسية داخل الملعب السياسى . . ضد النظام الجديد والذى تمثل فى زوجة

---

(٧) سيدتان من مصر - حنفى المحلاوى .

الرئيس السيدة جيهان . . وذلك حتى لا يقال أن الرئيس قد نزل بكل ما يملك من إمكانات إلى الشارع السياسى لمنازلة أم كلثوم التى كانت تمثل آنذاك عميلة عهد الناصرية .

ولقد شهدت الساحة السياسية والاجتماعية صراعاً سياسياً نسائياً عنيفاً بين المرأتين زوجة الرئيس وكوكب الشرق أم كلثوم . . مما أدى إلى محاولة القضاء على دور أم كلثوم حتى على المستوى الاجتماعى . . وقد تحولت أم كلثوم إلى مجرد فنانة . . بعدما سحبت منها لقب مطربة مصر والعرب الأولى . . وكما كانت من قبل عندما سعت الإدارة السياسية الجديدة إلى البحث عن فنانة أولى أخرى بديلة لها .

ونستطيع أن نؤكد فى هذا السياق . . أن أصعب الأيام التى مرت بحياة أم كلثوم سياسياً وفنياً قد بدأت منذ عام ١٩٧١ وإلى يوم رحيلها عام ١٩٧٥ .

ويكفى أن نعرف فى هذا السياق أيضاً . . أن زوجة الرئيس قد سعت بكل قوتها للحصول على لقب « سيدة مصر الأولى » فى مقابل اللقب الذى حصلت عليه أم كلثوم أيام الملكية . . وحتى يكون الصراع بينهما متكافئاً .

وأكثر من ذلك . . فإن سيدة مصر الأولى قد اتجهت بكل سلطاتها إلى الميدان الاجتماعى الذى حاولت أم كلثوم التعويض فيه بدلاً من نشاطها السياسى الذى أصابه الشلل برحيل جمال عبد الناصر .

* * *



كوكب الشرق أم كلثوم فى اجتماع سياسى يضم بعض رجال ثورة يوليو
برئاسة اللواء محمد نجيب عام ١٩٥٣



أم كلثوم فى لقاء جمعت فيه بين رجال الفن والسياسة . .
وذلك فى بداية الثورة



أم كلثوم فى إحدى الندوات السياسية التى كانت تحرص على حضورها
بالرغم من مشاغلها الفنية





أسمهان

كانت مغنية بدرجة أميرة
وظفت صوتها لاستقلال بلادها

مما لا شك فيه ولا خلاف . . أن السيدة « آمال الأطرش » أميرة جبل الدروز والتى عرفت فى مصر والعالم العربى باسم الفنانة « أسمهان » . . كانت من أكثر الموضوعات الفنية إثارة . . سواء فوق أوراق الكتب التى صدرت عنها وعن جمال صوتها . . والتى بلغت العشرات . . أو فوق أوراق الصحف والمجلات . .

ولقد تبارت معظم الأقلام الصحفية عند الحديث عن تلك الفنانة اللبنانية الوافدة فى وصف جمالها وجمال صوتها وعذوبته . . والشىء الملاحظ أن أغلب هذه الكتب وهذه الموضوعات . . دارت فى فلك حياة أسمهان الفنية ودورها على عرش الغناء وفوق الشاشة الفضية . . ولم تتطرق بعمق إلى دورها داخل الملعب السياسى . . وجهودها الوطنية المتميزة من أجل قضية وطنها « جبل الدروز » الذى كان آنذاك يرزح تحت الاحتلال الفرنسى . .

لقد رفضت السيدة « آمال الأطرش الجلوس فوق عرش بلادها . . ونزلت إلى ساحة الجهاد . . حيث اختارت الفن كسبيل لكفاحها السياسى . . من أجل عيون سوريا ولبنان وإمارة جبل الدروز . .

وقد يبدو ذلك غريبًا ومثيرًا للجدل والمناقشة . . ذلك لأن هذه السيدة الفنانة وكما سبق ونوهنا . . كانت الشخصية المحورية للموضوعات الصحفية بالنسبة للقارىء الذى كان يهتم بأخبارها الفنية فى كل مكان . . ولم يكن يهمه أن يعرف من تكون ؟ . . ولماذا تركت بلادها وجاءت إلى مصر مع مطلع عام ١٩٤٠ . . ؟ ومن كان يريد أن يعرف فقد توقف به قطار تلك المعرفة عند حافة عالم الفن دون غيره متصورًا أن دافعها الأساسى وراء دخولها ذلك العالم كان بغرض هروبها من جحيم العيش فى إمارة الدروز بجوار زوجها الأمير حسن الأطرش الذى كانت أسمهان على خلاف دائم معه .

وفى تصورنا الشخصى أن ما قامت به أسمهان لخدمة بلادها المحتلة آنذاك . . قد حقق كثيرًا مما فشل فيه أخوها فريد الأطرش . . الذى لم يوفق قبلها فى توظيف فنه وصوته وألحانه لنفس الأغراض السياسية . .

ولقد لاحظنا على مدى متابعتنا لتفاصيل حياة أسمهان . . أن أخبارها الفنية . . قد غطت بالفعل على دورها السياسى . . إلا من بعض الأخبار أو كتابات متفرقة والتى كانت تتناول علاقاتها بالمخابرات البريطانية . . دون الحديث عن أسباب التورط فى مثل هذه العلاقة . . ولماذا اضطرت للعمل مع مخابرات دولة كانت على خلاف مع الدولة التى كانت تحتل بلادها . ثم لماذا تركت زوجها « الأمير حسن » على الرغم من كونه ابن عمها . . ووالد ابنتها الصغيرة « كاميليا » ؟! .

وما نود الإشارة إليه أن « أسمهان » على الرغم من نزولها إلى الشارع السياسى بقوة بعدما رفضت الجلوس على عرش بلادها المحتلة لم تنجح فى تحقيق ما كانت تأمل الوصول إليه . . وقد يكون السبب فى ذلك هو قصر فترة وجودها داخل الملعب السياسى . . إذ لم تمكث به سوى ست سنوات . . وربما كذلك للكشف عن أغراضها مبكراً والتعجيل بوضع قاتل لحياتها . . حتى لا يستفحل أمرها وتحقق تلك الأغراض . .

ومما زاد الأمر تعقيداً فيما يتعلق بغياب دور « أسمهان » سياسيًا لخدمة بلادها . . هو اختلاف المؤرخين حول أسباب وفاتها . وعما إذا ما كانت تلك الوفاة طبيعية أو كانت بفعل فاعل مجهول . . بالإضافة - وهذا اجتهاد شخصى لكاتب هذه السطور - إلى انشغال غالبية هؤلاء المؤرخين وحتى الأجانب منهم بأدوارها الفنية وما حققته أسمهان فى تاريخ الحياة الفنية فى مصر آنذاك دون النظر إلى ما أرادته هى بأن يكون فنها غطاء مستتراً لعملها السياسى . . وهناك العديد من الأدلة التى أعانتنا على ما توصلنا إليه من استنتاج . . ولسوف نناقشها فى حينها .

ومما يثير الباحث المفكر فى هذا الاتجاه . . هو صمت عائلة الأطرش حتى الآن عن إزاحة الستار عن حياة هذه الفنانة وعن جهادها السياسى . . أو عدم تكذيب ما ذكرته الصحف والكتب آنذاك عن ظروف اغتيالها . . هذا الصمت فى حد ذاته لدليل قوى على علمهم بدورها السياسى الذى لم يصل إلى نهايته . . مما جعلهم يروجون لدورها الكبير فى الحياة الفنية . . حتى لا يتم تشويه لصورتها وبالتالى تضيع معالم دورها فى الفن أيضًا . . بعدما ضاعت أو كادت تضيع تلك المعالم داخل الملعب السياسى . .

ونحن فى هذا السياق نحاول سرد بعض ما لدينا من دلائل هى سندنا فيما توصلنا إليه . . حتى ولو على سبيل الإيجاز . . ثم نناقشها دليلاً وراء آخر . .

والدليل الأول الذى أكد لدينا أن الفنانة « أسمهان » أو السيدة آمال الأطرش كانت قد نزلت إلى الملعب السياسى لخدمة بلادها المحتلة - وقد وظفت صوتها الجميل لخدمة ذلك الغرض النبيل - أنها رفضت العيش بجوار زوجها الأول الأمير حسن الأطرش تحت تاج الإمارة الدرزية . . ثم ردود الفعل الضعيفة التى صدرت من سلطان باشا الأطرش آنذاك تجاه هذا السلوك ، وقد اقتصر فقط على السماح لعائلة أسمهان بالهروب إلى مصر . . رغم أن السيدة آمال الأطرش كانت قد أنجبت من زوجها الأمير طفلة صغيرة . . وقد تركتها خلف ظهرها من أجل خدمة بلادها داخل الملعب السياسى . .

وثانى تلك الأدلة . . اختيار أسمهان مصر فى ذلك الوقت بالذات دون غيرها من بلاد الدنيا ذلك لكى تكون على مقربة من الإنجليز وقواتهم ومخابراتهم وهى الدولة التى كانت على خلاف دائم مع فرنسا بعد أن استأثرت وحدها بدول شمال أفريقيا . .

وإلى جانب ذلك كانت مصر والعديد من رجالها الوطنيين يقاومون الاحتلال البريطانى . . فأرادت الفنانة « أسمهان » الاستفادة من تلك الجهود السياسية . . لذلك نراها وقد ارتمت بكل قوتها وبكل ما كانت تملك من إمكانات فنية وغير فنية فى أحضان رائد من هؤلاء الساسة . . وكان آنذاك هو السياسى الكبير « أحمد حسنين باشا » . .

أما الدليل الثالث فى هذا السياق . . فكان ارتباط أسمهان إلى حد بعيد بأهل الفن من النساء اللائى كن فى ذلك الوقت على علاقة بالعمل فى المخابرات البريطانية . . وكانت من أبرزهن . . الفنانة « أمينة البارودى » .

وعلى أية حال . . سوف نتعرف أكثر وفيما بعد على العديد من تلك الدلائل المتنوعة - وإن كان أغلبها يأتى فى المرتبة الثانوية - عندما نناقش الدور الذى لعبته أسمهان بالتفصيل داخل الملعب السياسى . . ليس فيما يتعلق بجهادها السياسى لخدمة بلادها المحتلة فقط . . وإنما أيضًا فيما يخص علاقتها مع ثعلب السياسة المصرية فى الأربعينات « أحمد حسنين باشا » . . الذى كان ينافس بحبها زوجته الملكة نازلى ، وقد استفادت أسمهان كثيراً من تلك الصداقة لخدمة قضية بلادها المحتلة . .

وقد رأينا وحتى لا يكون حديث السياسة جافا ومملا . . ضرورة أن نسوق بعض ملامح حياتها الفنية وحياتها الخاصة مع محاولة ربط ذلك بحياتها السياسية ، التى انتهت نهاية مأساوية فى قاع النيل عند مدينة رأس البر . .

* * *

ولكى ندلل على أهمية ما سوف نقوله . . سواء عن حياة الأميرة الدرزية آمال الأطرش فى الملعب السياسى أو عن حياة المغنية اللبنانية أسمهان . . فى عالم الفن . . ننقل هذا الرأى الهام الذى نشرته إحدى المجلات الأسبوعية . .

« لسنا فقط أمام سيدة حاولت فى آن واحد أن تتعامل مع رجال المخابرات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والوكالة اليهودية فى فلسطين ظنًا

منها أنها قادرة على خداع كل هؤلاء فدفعت ثمن ذلك غاليًا . . ولسنا أمام مطربة خارقة حباها الله بصوت جمع بين القوة والمرونة والتفرد والمساحة العريضة وحسن التدريب . . ولسنا أيضًا أمام امرأة أغرتها لعبة السياسة فى زمن كان العالم كله فى حالة عداء فساهمت بصورة غير مباشرة فى تغيير طريقة وخريطة الشرق الأوسط عقب الحرب العالمية الثانية .

ولسنا فقط أمام امرأة عرفت كل رجال السياسة فى مصر وكان بإمكانها - لو أرادت - أن تحكم مصر من خلال الرجلين اللذين وقعا فى غرامها وهما : « أحمد حسنين باشا » رئيس الديوان الملكى ، و « مراد محسن » باشا مدير الخاصة الملكية . .

ولسنا فقط أمام سيدة تزوجت ثلاث مرات ، وأوقعت عشرات الرجال مصريين وغير مصريين وعربا وأجانب فى حبها . . أننا أمام كل هؤلاء فى شخص امرأة واحدة هى « أسمهان » . . والشىء المثير للدهشة والعجب أن هذه المرأة استطاعت التنقل عدة مرات بين القاهرة وبيروت ودمشق والقدس وعمان والسويداء فى جبل الدروز وأنقرة ولندن لتفعل ما فعلته فى أقل من سبع سنوات . . وقبل أن تكمل الثلاثين من عمرها . . إنها إذن لم تكن امرأة عادية وإنما كانت بطلة أسطورية[1] . .

وحين نفرد الأوراق الخاصة بها لنبحث بداخلها عن بعض التفاصيل المرتبطة أولاً بحياتها الشخصية ثم حياتها الفنية نكتشف . . أن هناك خلافا كبيرًا حول تاريخ ميلادها . . هذا الخلاف الذى جعل البعض يعتقد أن أسمهان لها ثلاثة أو أربعة تواريخ للميلاد . .

---

(١) مجلة الكواكب فى ١٩/ ٧/ ١٩٩٤ . .

والغريب أن مصدر هذا الخلاف كانت الأوراق الرسمية التى تركتها أسمهان ، وكذلك شهادة بعض الذين كانوا من حولها . . فجواز سفرها كان مدونًا به أنها من مواليد عام ١٩١٥ ، ووثائق المخابرات البريطانية التى أفصح عنها « نيكولاس فات » قالت إنها من مواليد عام ١٩١٦ ، بينما أكد صديقها الكاتب الصحفى الراحل « محمد التابعى » أنها من مواليد عام ١٩١٢ . . أما « فريد الأطرش » شقيق « أسمهان » فذكر فى مذكراته أن شقيقته من مواليد عام ١٩١٧ . .

وبشكل عام نقول : إن أغلب هذه المصادر قد أجمعت أن الأميرة آمال الأطرش ولدت يوم ٢٥ نوفمبر على ظهر سفينة تركية كانت قادمة من ميناء أزمير بتركيا إلى ميناء بيروت . .

كما أشارت مصادر تاريخية أخرى إلى ظروف ميلاد الطفلة آمال الأطرش فوق سطح البحر . . فقالت : « إنه حين حاول الحاكم العثمانى الذى كان يبسط سلطانه على جبل الدروز أن يستأثر بأميرة درزية بهرته بجمالها ، وقفت نساء الجبل ورجاله فى طريق نزوته هذه ، وقامت حرب طاحنة خشى سلطان تركيا مغبتها ، فعزل الحاكم التركى وعين الأمير فهد الأطرش حاكما لمقاطعة « ديمرجى » التركية التى كانت كثيرة التمرد ، وسافرت الأميرة علياء (أم آمال) لتلحق بزوجها هناك بصحبة شقيقها الأمير « خليل المنذر » وأطفالها الثلاثة (أنور وفؤاد وفريد) . . وهناك فقدت شقيقها وابنها أنور . .

ثم قامت الحرب التركية اليونانية ، فرأى الأمير فهد الأطرش أن يعود إلى وطنه فتسلل مع أسرته إلى سفينة عائدة إلى بيروت . . وعلى صفحة الماء

جاء المخاض للأميرة علياء ووضعت ابنتها « آمال » التي عرفت فيما بعد باسم « أسمهان » ، وفي حي السراسقة ببيروت خطت « آمال » أولى خطوات حياتها . . كما ذكرت نفس المصادر أن الأميرة آمال الأطرش من مواليد عام ١٩١٦ . .

ورغم أن تلك الأميرة كانت من مواليد البحر . . إلا أنها في الأصل تنتمي إلى عائلة الأطرش التي حكمت منطقة جبل الدروز لفترة طويلة من الزمن . . وكان مقر تللك العائلة في مدينة السويداء . . التي توجد الآن ضمن الأراضي السورية .

وقد عاشت آمال الأطرش بالفعل ولعدة سنوات في مسقط رأس أسرتها بمدينة السويداء عاصمة الدروز تحت رعاية والدها فهد الأطرش وأمها الأميرة علياء المنذر . . إلا أنها اضطرت لمغادرة جبل الدروز بالسويداء مع أسرتها في إحدى الليالي مع أشقائها فؤاد وفريد وشقيقة أخرى توفيت وهي صغيرة وكان اسمها « وداد » . .

ولسوف نعاود أدراجنا لقصة هذا الهروب حين نتحدث عن حياة آمال الأطرش داخل الملعب السياسي ، وخلاصة القول أن أسمهان قد جاءت إلى القاهرة مع بقية أفراد أسرتها . . وظلت تعيش في طي النسيان لسنوات حتى قررت النزول إلى عالم الفن . . وكان قد سبقها إلى ذلك الطريق كل من أخيها فريد الأطرش وأمها الأميرة علياء المنذر . .

كما وجدنا أن هناك اختلافا كبيرا بين مؤرخي الفن المصري حول بداية أسمهان الفنية . . فقال أحدهم : رغم أن الحياة قد لانت بعض الشيء أمام الأسرة الهاربة من لبنان بعدما عمل ابنها الكبير فؤاد في أحد معامل الأسنان

وفريد فى محل لبيع الأقمشة ، ثم التحاقه بكازينو « بديعة مصابنى » واشتغال الأم الأميرة علياء المنذر بالغناء على مسارح روض الفرج ، فإن أسمهان لم تكن تقنع بهذه الحياة ، وإنما دفعها تمردها إلى البحث عن واقع أفضل . .

وحتى هذا الحين كانت تعرف فى محيط أسرتها باسمها الحقيقى « آمال » أو « أيميلى » كما كانت الراهبات يدللنها فى المدرسة ، لكنها اضطرت إلى التنازل عن اسمها وعن لقب أسرتها حين قررت احتراف الفن . . وكان كل الموسيقيين الذين يزورون أخاها فريد وعلى رأسهم القصبجى والشيخ محمود صبح يثنون على جمال صوتها وتأهلها للغناء أمام الجماهير . . فعهد بها أخوها فريد إلى الموسيقار داود حسنى الذى يقال إنه اختار لها اسم أسمهان .

وقال الآخر وهو الكاتب الصحفى الراحل « محمد التابعى » : إنه فى عام ١٩٢٩ أو عام ١٩٣٠ - وكان عمرى آنذاك ٣٤ عاما وكنت وقتها أعمل رئيسًا لتحرير مجلة « روز اليوسف » - سمعت باسم مطربة ناشئة اسمها « أسمهان » . . وكانت السيدة « مارى منصور » إحدى ممثلات مسرح رمسيس قد اعتزلت التمثيل والمسرح ، وافتتحت صالة باسمها فى شارع عماد الدين . . وأرسلت لى دعوة لحضور حفل الافتتاح ، ولم أذهب وقابلتنى بعدها فى الطريق وعاتبتنى ووعدتها بزيارة صالتها الجديدة » . .

وبصرف النظر عن هذا الخلاف كانت هناك حقيقة واحدة فرضت نفسها على الواقع الفنى المصرى بدءاً من عام ١٩٣٠ . . وهى سطوع نجم المغنية اللبنانية أسمهان . . وتهافت شركات الاسطوانات على صوتها لتسجيله وتوزيعه على نطاق واسع ثم دخولها إلى عالم السينما من أبوابه الواسعة . .

وقد ظلت أسمهان متألقة داخل عالم الفن وفقًا لهذه الحقيقة حتى رحلت تحت الماء عام ١٩٤٠ . . ومما كان يدل على هذا التألق أن رصيدها فى بورصة الفن سجل ٨٢ أغنية وفيلمين هما « انتصار الشباب » و « غرام وانتقام » ، والفيلم الأخير لقيت فيه مصرعها قبل أن تستكمل بعض مشاهده . فقد أحست آنذاك بإرهاق شديد . . لذلك طلبت أجازة من العمل فى هذا الفيلم . . وأحضرت سائقها من المنزل حتى تتمكن من مشاركة ابنتها الوحيدة « كاميليا » عيد ميلادها الذى جاء توقيته فى نفس يوم مصرعها . .

ورغم عمرها القصير إلا أن أسمهان وعلى حد قول الناقد الفنى صلاح درويش قدمت الكثير من الأعمال الفنية فى مجال الأغنية . . فعلى سبيل المثال فى مجال القصيدة غنت « ليت للبراق عينا » ، وفى مجال الأغنية العاطفية غنت « ليالى الأنس فى ڤيينا » . . وفى مجال الأغنية الوطنية غنت « أنا بنت النيل » . . وفى الأوبريت غنت « مجنون ليلى » و « انتصار الشباب » كما غنت لشقيقها فريد وللعديد من العمالقة فى فن الموسيقى من أمثال محمد القصبجى ورياض السنباطى وفريد غصن ومحمد عبد الوهاب ومدحت عاصم . .

* * *

وحين نترك حديث الفن والتألق فيه . . ونسلك الطريق نحو الشارع السياسى لنستكمل بقية رحلتنا عبر جهود الأميرة آمال الأطرش لاستعادة عرش بلادها . . ومقاومتها الاحتلال الفرنسى . . نكتشف حقيقتين هامتين رأينا ضرورة الإشارة إليهما . . وهما أبدًا لا يبعدان عن ميدان العمل السياسى . . بل العكس يرتبطان به ارتباطًا قويا . .

الحقيقة الأولى . . والتى ربما لم يناقشها أو يشير إليها غيرنا . . أنه إذا كانت الفنانة أسمهان تنتسب إلى الدولة العربية الشقيقة لبنان ، فإن الأميرة آمال الأطرش ما هى إلا بطلة من سوريا يحتفل بها على المستوى القومى . . رغم أن كلاً من الاسمين لشخصية واحدة . . ولتفسير ذلك . . نقول : إنه من المعروف أن الأميرة آمال الأطرش هى ابنة زعيم جبل الدروز . . وقد هربت من بطش السلطات الفرنسية . . فجاءت إلى القاهرة واتخذت لها اسما فنياً فأصبحت تدعى « أسمهان » . . وعلى الرغم من ذلك نسبت حتى فى كل الكتابات التى ارتبطت بها . . إلى الدولة اللبنانية . . أو بالأحرى إلى جبل الدروز بلبنان . . لكننا ، وبالرجوع إلى معظم كتابات التاريخ الموثقة . . وجدنا عكس ذلك لأن عائلة الأطرش فى الأصل كانت تنتمى إلى منطقة الدروز الموجودة بمحافظة السويداء التابعة سياسيًا وجغرافيًا ومنذ زمن طويل إلى الجمهورية السورية . .

وبناء على ذلك نقول : إنه وفقًا لما لدينا من دلائل تاريخية وجغرافية فإن الفنانة أسمهان أو الأميرة آمال الأطرش كانت بالفعل امرأة من سوريا وليست من لبنان . . وأولى الدلائل . . ما أشارت إليه بعض كتب الجغرافيا التى وصفت لنا جبل الدروز ، وموقعه ومكانه سياسيًا . . والتى ذكرت : أن محافظة السويداء التى ولدت بها آمال الأطرش وعاشت فيها قبل هروبها مع أسرتها . . تعرف أيضًا باسم محافظة جبل الدروز وهى تقع أقصى جنوب الإقليم السورى وحدودها الجنوبية الحدود السورية الأردنية ، وتبلغ مساحتها حوالى ٥ ,٥٥ مليون متر . . وتعتبر أقل المحافظات السورية سكانًا وهى تضم بلدتى شهبا وصلخدا . . وتبعد عن مدينة دمشق بـ١٢٥ كيلو مترا ، فوق سطح البحر . . وكانت هذه المنطقة فى الأصل

كتلة جبلية بركانية وتأخذ شكلاً بيضاويا طوله ١٣٥ كيلو مترا وعرضه ١٢٠ كيلو مترا . .

أما ثانى هذه الدلائل وأهمها . . فكان الدليل التاريخى الذى ارتبط بواقع سوريا القومى . . والذى جاء فى بعض سطوره « . . وكان السوريون الذين يقاومون الانتداب الفرنسي قد اختاروا سلطان باشا الأطرش قائدًا عامًا للثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ . . وقد أصدرت المحاكم الفرنسية حكما غيابيا بإعدامه ، إلا أنه هرب إلى الأردن واختفى فيها ١٢ عامًا قبل أن يعود إلى سوريا عام ١٩٤٣ بعد استقلالها » . . وقد ذكرت الصحف السورية هذه المعلومات بمناسبة وفاة سلطان باشا الأطرش زعيم الدروز فى سوريا . .

ليس هذا فقط بل إن كتاب المقاومة الشعبية فى الشرق أكدوا على نفس المعنى التاريخى . . وارتباط آل الأطرش بدروز سوريا أكثر من ارتباطهم بدروز لبنان . . وقد جاء فى بعض ما كتبوه « . . لقد واجه الفرنسيون ثورة سورية الكبرى وجها لوجه . . فجهزوا حملة كبيرة بقيادة الجنرال « ميشو » على جبل الدروز للقضاء على تلك الثورة فى مركز قيادتها ، فزحفت الحملة من حوران إلى السويداء تعززها المدفعية الثقيلة والدبابات والطائرات فكمن لها المجاهدون فى الطريق وانقضوا عليها . . وصارت معركة ميشو مضرب الأمثال فى بطولة السوريين وعنوان الخزى والعار فى تاريخ فرنسا العسكرى فى سوريا » . .

وقبل أن نغادر هذا الحيز المرتبط بجذور عائلة أسمهان نشير إلى أن سلطان باشا الأطرش قائد دروز الجبل فى سوريا . . هو الأخ الأكبر للزعيم الدرزى فهد الأطرش والد الأميرة آمال . . كما أن الأمير حسن الأطرش زوج أسمهان الأول هو ابن عمها سلطان باشا الأطرش . .

والحقيقة الثانية التى ارتبطت بقوة بحياة الأميرة آمال الأطرش داخل الشارع السياسى هى انتماؤها لقبائل الدروز العربية . . وتمتعها بلقب أميرة درزية . . سواء من قبل زواجها من الأمير حسن الأطرش أو من بعد ارتباطها به . . وقد آلت على نفسها وفقا لما تربت عليه فى عائلتها على الشجاعة وحب الجهاد . . فعملت على مقاومة هؤلاء الأعداء الذين احتلوا بلادها . . على الرغم من أنها كانت آنذاك أصغر سنًا من أخيها فريد وفؤاد . .

وقد يثور فى هذا السياق سؤال . . يتعلق بالسبب الذى جعل من آمال الأطرش تتحمل وحدها هذا العمل السياسى الضخم دون أخويها فؤاد وفريد أو على الأقل دون أخيها الفنان فريد الأطرش بالذات .. ؟!

وبطبيعة الحال . . من الممكن أن تستغرق الإجابة على ذلك السؤال عدد هذه الأوراق وأكثر . . وهو ما لا يجب أن نقدم عليه حتى لا يطغى على موضوعنا الرئيسى الذى وهبنا من أجله هذه الأوراق . . لكننا نؤكد فى ذات الوقت أن معظم الذين تابعونا بدقة ويقرأون كلماتنا التى بين السطور أو ما تحتها سوف يصلون بدون مجهود إلى الإجابة المرجوة ، والعبرة كما نتصور تكون بإمكانيات الشخصية السياسية التى تتقدم الصفوف لتحقيق المطالب الوطنية . . ويكفى فى هذا السياق أن نذكر هذه العبارة « أن كل القوميين العرب يعتبرون الأميرة آمال الأطرش بطلة قومية . . كانت على مستوى عال من الذكاء » . .

* * *

والآن . . باتت أقدامنا على مسافة مرمى البصر من الملعب السياسى الذى وقفت فوق أرضه الأميرة آمال الأطرش من أجل القيام بدورها التاريخى لخدمة أبناء قومها . . هذا الدور السياسى الكبير الذى مارسه قبل مولدها زعماء الطائفة الكبار من أمثال سلطان باشا قائد الثورة السورية الحديثة وفهد الأطرش الذى حمل لواء الكفاح السورى ضد الاحتلال الفرنسى فى عام ١٩١٨ على إثر الاتفاق الفرنسى الإنجليزى الذى قضى بتقسيم بلاد الشام وبلاد العرب بشكل عام فيما بينهما . .

وهناك حقيقة لابد من الإشارة إليها فى هذا السياق وهى أن الأميرة آمال الأطرش رغم ارتباطها بعالم الفن منذ هروبها إلى القاهرة مع عائلتها فى عام ١٩٢٤ . . كانت قد عاصرت من قبل عدة أحداث سياسية ساخنة . . ظلت ماثلة فى مخيلتها حتى يوم رحيلها . . بل وكانت تلك الأحداث السياسية الساخنة . . الوقود الذرى الذى كان يدفعها بقوة إلى الأمام فى اتجاه الجهاد السياسى من أجل استعادة عرش بلادها . .

لقد عاصرت الفنانة أسمهان . . أحداث ثورتين كبيرتين . . الأولى كانت الثورة التى اشتعلت على أرض تركيا بعد اندلاع الحرب بينها وبين اليونان فى عام ١٩١٦ . . وعلى إثر هذه الثورة هربت أسرتها من جحيم نيرانها عائدة إلى موطنها فى الجبل . . وقد ولدت الاميرة أمال فوق السفينة الهاربة من هول وجحيم تلك الحرب متجهة إلى الأراضى السورية مع أمها ووالدها فهد الأطرش . . فأقامت معهما حتى نهاية عام ١٩٢٤ فى جبل الدروز بالسويداء . . وهى تحمل لقب أميرة مثل أمها الأميرة علياء المنذر . .

ثم جاءت أحداث الثورة الكبرى الثانية التى عاصرتها أسمهان والتى

تفجرت على إثر القصف المدفعى والصاروخى للقوات الفرنسية ضد الأراضى الدرزية . . وكان ذلك الهجوم بمثابة الشرارة الأولى لنشوب الثورة السورية الأولى فى عام ١٩٢٥ . . وكان قائد هذه الثورة سلطان باشا الأطرش عم الأميرة آمال ووالد زوجها الأمير حسن . .

وعندما جاءت الأميرة إلى القاهرة . . ألحقتها أسرتها مع بقية أخواتها بإحدى المدارس بمنطقة « الخرنفش » . . وظلت بالمدرسة حتى بدايات عام ١٩٢٦ أو عام ١٩٣٠ عندما قررت احتراف الفن . . وكان قد سبقها إلى ذلك العالم الجميل كل من أخيها الكبير فريد وأمها الأميرة علياء المنذر . .

وطوال هذه الفترة - التى امتدت حتى قرار نزولها إلى الملعب السياسى من منتصف الثلاثينيات . . إلى بداية نشوب الحرب العالمية الثانية - لم تنس أسمهان جذورها السياسية العريقة . . وأنها كانت ولا زالت أميرة درزية وأن دورها فى الحياة كان لابد وأن ينبع من تلك الجذور ، وذلك لتحقيق هدف واحد . . هو ضرورة العمل على استعادة أراضى بلادها المحتلة والعودة إلى إمارة جبل الدروز . . حتى ولو على أسنة الرماح . .

وفى القاهرة لم تحترف الأميرة آمال الأطرش الفن من أجل الفن . . ولا من أجل المال كما زعموا . . بل سعت أسمهان لاستخدام جمال صوتها وكذلك شهرتها الفنية الواسعة فى تحقيق أحلامها الوطنية والقومية ، حيث شعرت بحسها السياسى المتدفق أن تألقها فى عالم الفن سيكون سبيلها الوحيد للدخول إلى قلب العمل السياسى . . وأن سلاحها القوى داخل ذلك الميدان إنما سيكون صوتها الجميل الذى قربها إلى العشرات من الزعماء السياسيين . . سواء من العرب أو الأجانب . .

من ناحية أخرى يمكن أن نؤكد أن بداية الانطلاقة السياسية القوية

للمطربة أسمهان بهدف استعادة عرش الدروز . . كان قرارها الزواج من الأمير حسن الأطرش أحد أبناء القائد الأعظم سلطان الأطرش . . هذا الإبن الذى كان قد تم اختياره فى تلك الفترة فى سوريا وزيراً للحرب . . استعداداً للدخول فى مناوشات عسكرية قوية ضد القوات الفرنسية . .

ولا شك أن هذا الرأى يخالف آراء العديد من المؤرخين الذين رأوا أن زواج أسمهان من ابن عمها حسن الأطرش كان دافعه تقاليد الطائفة الدرزية . . ورغبة أخيها الأكبر فؤاد الأطرش لإنقاذ شرف عائلته . . لقد ذكر هؤلاء المؤرخون أن الأمير حسن الأطرش توجه إلى القاهرة حيث تقيم أسمهان لكى يقتلها . . إلا أنه وقع فى حبها من أول نظرة . . ثم تزوجها . . وكانت بذلك الزوجة التاسعة فى سلسلة زوجاته . . والغريب أنه بعد فترة . . نزل على إرادتها . . فطلقها .

وبصرف النظر عن مناقشة ذلك . . يبقى لنا أن نقول : إن الأمير حسن الأطرش عرف بخطة ابنة عمه الأميرة وذلك فى سعيها لاستخدام فنها وصوتها الجميل فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لأرض سوريا . . كما اقتنع فى الوقت نفسه بضرورة تطليقها لتظل فى حرية بعيداً عن التقيد به أو . . بتقاليد طائفته . .

ومما يؤكد لدينا صدق ما توصلنا إليه أن الأمير حسن الأطرش كان فى ذلك الوقت أحد رجال الدروز الأشداء الذين شاركوا بقوة مع والده فى ثورة عام ١٩٢٥ ضد القوات الفرنسية . . وقد وجد فى خطة زوجته وابنة عمه الأميرة . . الطريق الممهد لاستعادة أراضى عائلته وبالتالى استعادة عرش الدروز .

إلى جانب ذلك كان هناك دافع آخر لزواج أسمهان وقد تمثل فى رغبة طائفة الدروز أنفسهم فى العمل على استعادة بطلتهم القومية آمال . . للقبها الرسمى . . وقد فقدته عام ١٩٢٤ بعد مغادرتها سوريا وهى لا تزال طفلة صغيرة . . وكان لذلك اللقب الجميل . . الذى يتمسك به دائمًا أبناء الملوك مفعول السحر لأسمهان ولمن كانوا حولها من أبناء الدروز لمواصلة الكفاح السياسى .

* * *

والمؤرخ المدقق يستطيع أن يؤكد أن المطربة أسمهان أو الأميرة آمال الأطرش قد بدأت مزاولة نشاطها السياسى بوعى مع بداية الحرب العالمية الثانية أو ربما قبل ذلك بأشهر قليلة . . خاصة بعدما اشتهرت وذاع صيتها كمطربة متميزة وبعد أن استعادت لقب الأميرة أيضًا وقد ركزت كفاحها السياسى فى اتجاهين : الأول ارتبط بدورها فى المخابرات البريطانية العدو اللدود لفرنسا آنذاك ، والثانى : الاتصال بالشخصيات السياسية البارزة فى ذلك الوقت ، والذين كانوا على علاقة بالإمبراطورية البريطانية سواء من أمثال أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى أو هؤلاء الجنرالات المؤيدين لبريطانيا داخل الجيش الفرنسى . .

وما نود الإشارة إليه فى هذا الصدد أن الدور الذى لعبته أسمهان فى هذين الاتجاهين . . كانا يسيران معًا فى طريق واحد . . لذلك كان يصعب أن نتحدث عن الواحد دون الآخر ، مع أن الاتجاه الأول الذى تبلور فى اتصالها . . بمخابرات الإنجليز كان هو الاتجاه الرئيسى سواء بالتخطيط والتنسيق مع بعض أعضاء عائلتها أو أبناء طائفتها من الذين كانوا يعيشون فى مصر أو فى جبل الدروز . .

ولعل ذلك يبدو واضحًا من قول بعض المؤرخين : « بعد نجاح الأميرة آمال الأطرش فى مهمتها التى كلفت بها من جانب المخابرات البريطانية والتى تلخصت فى مساعدة القوات البريطانية فى عبور الحدود السورية دون مقاومة فى عام ١٩٤١ . وعلى الرغم من أن تلك المنطقة كانت تابعة لحكومة فيشى . . وكان يقيم بها الكولونيل « بوفيير » الفرنسى الأصل . . الذى كان يعتقد أن جبل الدروز قلعته الشخصية - خرجت الجماهير عبر شوارع دمشق المحررة للاحتفال بالأميرة آمال الأطرش وزوجها الأمير حسن . . وكانت قد عادت إليه فى هذه الفترة . . وذلك فى حراسة فيلق من فرسان الدروز وسط ترحيب هذه الجماهير » .

ويبدو أن عائلة الأطرش . . كانت قد وجدت فى أحداث الحرب العالمية الثانية فرصة مواتية للانتقام من عدوهم اللدود . . دولة فرنسا . . خاصة بعدما عاودت تلك الدولة فى عام ١٩٤١ احتلال سورية ولبنان . . وإعلانها منح سوريا استقلالا فى حدود معاهدة مشروطة تحفظ لها مركزًا يكفل لها نفوذًا ثقافيًا واقتصاديًا على أراضيها . .

ولقد تزامن إعلان فرنسا بسط نفوذها على جبل الدروز وأراضى سوريا ولبنان مع إعلان بريطانيا العظمى عن مشروعها الكبير بشأن الأقليات فى العالم العربى . . مما دفع الأميرة آمال الأطرش للسعى لدى بريطانيا والإفصاح عن استعدادها لتقديم خدماتها مقابل أن يكون للدروز دولة مستقلة . .

وكانت خطة انجلترا تجاه هذا المشروع الكبير تقوم على تقسيم العالم العربى إلى دويلات صغيرة . . دولة للدروز وأخرى للشيعة . . ثم دويلات

للسُنّة . وكانت بداية تحقيق حلم طائفة الدروز وفقًا لرؤية الأميرة آمال الأطرش هو تجميع كل عشائر الدروز فى جبال لبنان وسوريا وفلسطين لإنشاء دولة لهم . . وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . . على غرار ما نتج عن وعد بلفور الذى صدر عام ١٩١٧ . . والذى بموجبه أنشىء وطن قومى لليهود . .

وتقول بعض المصادر السياسية فى هذا السياق أن الأميرة آمال الأطرش قررت أن تكون عميلة مزدوجة للمخابرات البريطانية والفرنسية والألمانية فى آن واحد ، وحتى تضمن تحقيق « حلم بلادها والاستقلال تحت راية الدولة السورية أو إنشاء دولة خاصة بطائفة الدروز » . .

ويرى الكاتب الصحفى « ناصر حسين » أن تلك الرغبة قد أدخلت أسمهان لعبة الأمم من أوسع الأبواب . . عندما اتفق معها مستشار السفارة البريطانية فى بيرت على مساعدة قوات الحلفاء للقضاء على الحاكم الفرنسى الذى كان مواليًا فى ذلك الوقت لهتلر . .

ويضيف بقوله : « لقد كانت المهمة السياسية التى طلب منها أن تنفذها فى جبل الدروز لصالح قوات الحلفاء هى التى جعلتها تدخل إلى العالم السياسى المليء بالمؤامرات والأسرار » ودليله على ذلك أن الأميرة آمال الأطرش تعرضت لمحاولة اغتيال وقعت فى عام ١٩٤١ فى مدينة بيروت مما جعلها تعتقد أن قوات الحلفاء تريد التخلص منها ، لذلك حاولت الاتصال بالألمان لمساعدتها على تحقيق بقية حلمها الوطنى . . وكان دافعها إلى ذلك عودة بلادها من جديد إلى أحضان فرنسا . . وإخفاقها فى تحقيق ما كانت تحلم به لشعبها أو لنفسها . .

وحتى بعد إخفاق تعاونها مع المخابرات الألمانية فى تحقيق ذلك الحلم . . فضلت أن تعود إلى القاهرة من جديد ثم التقرب إلى بعض الشخصيات السياسية المصرية البارزة فى ذلك الوقت . . والتى كان على رأسها كما سبق وذكرنا « أحمد باشا حسنين » على أمل أن تعثر لديه على الحل أو على طريق العودة مرة أخرى إلى إمارة الدروز . .

لكن يبدو أن عودتها إلى القاهرة هذه المرة واقترانها بالمخرج أحمد سالم كان بداية فشلها فى تحقيق حلمها القومى ، وبالتالى كان له الأثر السيء على مسيرة حياتها فى مصر حيث تربص بها أعداء الأمس من رجال المخابرات الأجنبية وأعداء اليوم ، الذين تمثلوا فى قوة نفوذ الملكة نازلى زوجة أحمد حسنين باشا .. ولا شك أن هذا الجو الكريه جعل من الأميرة آمال تعاود أدراجها إلى بيروت للبحث عن لقبها الفنى .. الذى عرفت به من قبل فى الحفلات وفى المسارح .. كما بدأت نشاطها مكثفاً فى السينما .. ولم تكن آنذاك تعرف أن حياتها تقترب من النهاية .. فبعد أقل من سنة من فشلها فى تحقيق أحلام أبناء طائفة الدروز ماتت غريقة فى نهر النيل عند مدينة رأس البر وذلك فى يوليو من عام ١٩٤٤ . .

ولا زال هناك عشرات التفسيرات التى تجرى فى عروقها الدماء فيما يتعلق بحادث مقتل أسمهان أو الأميرة آمال الأطرش . . وبدون الدخول فى تفاصيل مناقشة تلك التفسيرات نحاول أن نعيش آخر لحظات حياتها . . عندما تحولت من بعدها إلى جثة هامدة . . فور وقوعها فى قاع نهر النيل . .

تقول تفاصيل ذلك الحادث : أن المطربة أسمهان كانت فى صحبة إحدى صديقاتها . . عندما كانت تستقل سيارتها الخاصة فى الطريق الزراعى المؤدى

من القاهرة إلى رأس البر . . وهى تدعى « مارى قلادة » . . وحدث فى أثناء السير - والكلام هنا من المحضر الرسمى للحادث - أن تردت السيارة التى كانت تسير بسرعة فى مكان شديد الانحدار فى « مطب » . . وسقطت على إثر ذلك فى ترعة الساحل على مقربة من بلدة « شرنقاش » . . واستطاع السائق أن يقفز منها وينجو . . ثم أخذ يستغيث فجاء بعض الأهالى والبكباشى « محمود على الشامى » مأمور المركز . . وأخرجوا الفنانة وصديقتها جثتين هامدتين . . ثم قامت النيابة بتحقيق الحادث وأمرت باعتقال السائق . .

وذكرت بعض الصحف الصادرة فى ذلك الوقت تفاصيل أخرى . . عن الحادث فقالت : وقد تم إبلاغ الواقعة إلى الأستاذ فريد الأطرش فجاء فى المساء وتسلم جثة شقيقته وجثة رفيقتها بعد أن رخص بدفنهما فى القاهرة . . وقال « سليم زكى » حكمدار بوليس القاهرة أن أسمهان كانت تعبر عن أمنيتها فى الإقامة فى مصر بعد أن أحبتها وعاشت فيها حقبة من الزمن وأضاف أن التحقيق يدور الآن لمعرفة كيف قفز السائق من السيارة ونجا من المـوت . .

وأضافت : لقد شيعت جنازة أسمهان فى منتصف الساعة الثانية عشرة ظهرا أمس السبت . . فسار فى الجنازة حسين سعيد بك مدير شركة مصر للتمثيل والسينما وعدد كبير من الممثلين والممثلات والفنانين . . ومما هو جدير بالذكر أن استديو مصر كان قد قام بالتأمين على حياة أسمهان لحسابه بمبلغ ١٥ ألف جنيه . .

* * *



الفنانة « أسمهان » تعزف على العود فى حفل خاص يضم بعض أفراد أسرتها . .
وذلك قبل نزولها إلى شارع الفن



الأميرة « آمال الأطرش » فى لقطة باسمة . .
بعد أن عادت إلى الشارع السياسى



الأميرة «آمال الأطرش - أسمهان» ..
بعد أن نزلت إلى شارع الفن



فايــــدة

عضو فى البرلمان عشرين عاماً
وزوجة لوزير داخلية المنصة

كان من الجائز أن يقتصر الحديث هنا على الفنانة القديرة فايدة كامل دون سواها . شأنها فى ذلك شأن كل ضيوفنا من الفنانات والفنانين . . من حيث كانت وما زالت تتمتع بقدر عال من الحس السياسى والحضور الجماهيرى . . من حيث هى . . فنانة تميزت بالصوت الجميل القوى الذى كثيراً ما عبرت من خلاله عن مشاعرنا الوطنية فى العديد من المناسبات القومية . . ولكن اقترانها بالضابط محمد نبوى إسماعيل - الذى تولى وزارة الداخلية عام ١٩٧٧ . . فى عهد الرئيس السادات ، ومعاصرته لأعنف معارك الرئيس السياسية ضد خصومه فى الداخل ، حيث انتهت باغتياله فى حادث المنصة فى أكتوبر عام ١٩٨١ ، جعلنا نتحدث عن رحلة تلك الفنانة فى الملعب السياسى من خلال محورين . . الأول يشمل أهم ما قدمته من إنجازات فى عالم الفن والسياسة . . والثانى . . عن أهم ما عاصرته من أحداث سياسية ساخنة خاصة وهى بجوار زوجها وقد شملت تلك الأحداث حملة الاعتقالات السياسية الشهيرة فى سبتمبر عام ١٩٨١ . . وحادث المنصة فى أكتوبر من نفس العام . .

ولأجل أن يكون سيرنا نحو الأحداث فى حياة الفنانة فايدة متكاملاً ولا لبس فيه نوضح وقبل أن نبدأ . . أن الحديث سيكون وبشكل متفرد قاصراً عليها على الأقل حتى عام ١٩٧٧ . . ذلك العام الذى اختير فيه زوجها اللواء النبوى إسماعيل وزيراً للداخلية . .

وهناك ملحوظة كان من الضرورى الإشارة إليها . . إذا لاحظنا وجود نوع من الارتباط الواضح بين مشوارها الفنى ومشارها السياسى بعد اختيارها فى عضوية الاتحاد القومى الذى كان يشبه فى أدائه السياسى الاتحاد الاشتراكى . .

ولقد استمر مشوارها السياسى على مدى هذه السنوات بنفس القوة حتى وصلت من خلاله إلى البداية الحقيقية لدورها السياسى عام ١٩٧١ عندما قررت دخول تجربة الانتخابات البرلمانية ونجحت بإرادة جماهير حى الخليفة . . بل واستمر ذلك النجاح حتى أعيد انتخابها أربع مرات كعضو فى مجلس الشعب . .

ولا شك أن هذا النبوغ السياسى المبكر تجلت أسمى صوره فى اختيارها للأغنيات الوطنية . . دون الأغنية العاطفية على عكس ما كان يقدم عليه غيرها من الفنانين والفنانات . . كما تجلى ذلك النبوغ أكثر . . فى تحملها لمسئولية خدمة زملائها من الفنانين خلال العمل النقابى . .

وقد يكون ارتباط فايدة كامل المبكر بالأحداث السياسية والوطنية فى مصر بل ومشاركتها فنياً فى الاحتفال بتلك الأحداث . . من الأسباب المباشرة لذلك النمو السياسى . .

فقد عاصرت فايدة كامل خمسة أحداث سياسية ساخنة وقعت فى مصر فى الفترة ما بين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٨١ . . هذه الأحداث بدأت بثورة

يوليو عام ١٩٥٢ ، ثم تلاها العدوان الثلاثى أو حرب السويس عام ١٩٥٦ . . وبعد ذلك أحداث حرب عام ١٩٦٧ وموت جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ . . وانتصارات أكتوبر ١٩٧٣ . . وأخيراً حادث المنصة واغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١ . .

ونحن لا ننكر فى هذا السياق . . تلك الشهرة الفنية الواسعة التى أحرزتها فايدة كامل بصوتها المتميز بقوته والذى كان يهز الوجدان والمشاعر الوطنية لارتباطه بمعظم الأحداث السياسية التى مرت بها مصر طوال الخمسين عاماً الماضية . . هذه الشهرة وهذا النجاح كان سبيلها لغزو عقول وقلوب أبناء دائرتها فى حى الخليفة . . فاختاروها ممثلة عنهم تحت قبة البرلمان . . ولم يكن ذلك النجاح مبنياً على أحلام فقط بل استند فى كثير من حالاته على الالتحام بالجماهير التى أحبتها فوثقوا فى قدراتها السياسية والاجتماعية . . وكانت النتيجة أن أعادوا اختيارها أربع مرات لتمثلهم من جديد فى مجلس الشعب . .

ومما لا شك فيه أنه لو لم تكن فايدة كامل على درجة كبيرة من الخبرة السياسية لما استطاعت تصريف حياتها داخل الملعب السياسى وفقاً لمتطلبات جماهير دائرتها . . ولما استطاعت أيضاً تأكيد نجاحها المستمر دورة برلمانية وراء الأخرى . . ولسوف تبدو لنا تلك الخبرة الطويلة من خلال تتبعنا لمشوار حياتها فى عالمى الفن والسياسة !

* * *

وكان علينا قبل أن نبدأ أولى خطواتنا عبر الرحلة الطويلة فى حياة فايدة كامل أن نتساءل . . من تكون ؟ . . وأين ولدت ؟ وما هى تفاصيل مشوارها الفنى ؟

تقول بياناتها الشخصية المدونة فى بطاقة انضمامها للاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٨ . . أن اسمها بالكامل : عواطف محمود كامل . . واسم الشهرة فايدة كامل . . من مواليد ١٦ يوليو عام ١٩٣٢ . . أما محل الميلاد فهو ٢٠ شارع المحجر بحى الخليفة بالقاهرة . . وعن مؤهلاتها ذكرت تلك البيانات المدونة بنفس البطاقة أن فايدة كامل حاصلة على ليسانس الحقوق ودبلوم المعهد العالى للموسيقى العربية . . أما عن الحالة الاجتماعية فهى متزوجة من الضابط محمد نبوى إسماعيل ولها ثلاثة أولاد « بنتان وولد » . .

وعن المدارس التى تعلمت بها . . ذكرت نفس البطاقة أنها التحقت بمدرسة النهضة البرهانية . ثم مدرسة السنية الثانوية . . وفى الجامعة التحقت بكلية الحقوق جامعة القاهرة . . وقد حصلت منها على درجة الليسانس ودرجة الدبلوم العالى الخاص القسم الجنائى فى الدراسات الاشتراكية . أما بخلاف ذلك ذكرت تلك البيانات أنها تتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية . . وهى عضوة بنقابة المهن الموسيقية وكذلك المؤتمر القومى . . ومؤتمر الموسيقى العربية . .

وتستكمل لنا جريدة « مايو » بقية هذه المعلومات الشخصية وذلك بمناسبة قبول عضويتها للحزب الوطنى وتمثيلها له تحت قبة البرلمان فقالت فى سطور نشرتها بهذه المناسبة : « الفنانة فايدة كامل حصلت على ليسانس الحقوق دفعة عام ١٩٦٥ . . كما حصلت على دبلوم الدراسات العليا فى الموسيقى المسرحية . . وهى أمينة الحزب الوطنى بقسم الخليفة . . وعضوة فى مجلس الشعب فى الدورات السابقة عام ١٩٧١ وحتى الآن . .

كما بدأت العمل السياسى منذ عام ١٩٦٥ أى بعد تخريجها مباشرة .

وذلك بعد اختيارها كمقررة للتنظيم النسائى بحى الخليفة . . ووالدها هو « محمود كامل الخطيب » الذى عمل مدرساً للغة العربية بمدرسة رأس التين بالإسكندرية وممن يجيدون تلاوة القرآن وإن لم يحترف قراءته » . .

أما عن بداية مشوارها الفنى . . فتقول سطور التاريخ المنقولة سواء عن لسانها أو عن لسان من حولها : إن الطفلة فايدة كانت فى جلسة خاصة تضم بعض الأقارب والأصدقاء . . عندما اقترح أحد الحاضرين أن ينشد كل فرد من الحضور الأغنية التى يحبها . . وراح كل منهم بالفعل يغنى بتلقائية . . وعندما جاء الدور على الطفلة فايدة . . أهملها الحاضرون ولم يطلبوا منها الغناء فانطلقت تغنى بدون إذن . . وكان والدها يصلى . . فما كاد يسمع صوت ابنته . . بعد الانتهاء من صلاته حتى أسرع إليها يقبلها . .

ولم يمض على هذه البداية سوى ثلاث سنوات ظهرت بعدها المطربة فايدة فى ميدان الفن فالتحقت بمعهد الموسيقى العالى وحصلت منه على الدبلوم فى عام ١٩٤٧ . . مع أنها غنت ولأول مرة أمام الميكروفون فى عام ١٩٤٤ نشيد « رددى يا مصر صداح الأغانى » للموسيقار عبد الحميد توفيق زكى وقد تناولت أجراً قدره ثلاثة جنيهات[(١)] .

كما ذكرت مجلة « الجيل » أن أجر فايدة كامل فى عام ١٩٥٢ من الإذاعة كان ٢٢ جنيهاً بما فى ذلك أجور الموسيقيين . . وهى متزوجة من اليوزباشى محمد نبوى إسماعيل ضابط بمحطة مصر . . وهما طالبان بكلية الحقوق » .

---

(١) مجلة الجيل الجديد فى ٧/٣/ ١٩٥٢

أما أشقاء الفنانة فايدة هم : « عبد الرحمن الخطيب » وهو مطرب وملحن ويعمل مذيعاً بمحطة « بارى الإيطالية » ويدرس الموسيقى فى إيطاليا و « سليمان جميل » وهو طالب بكلية الحقوق ويقوم بتلحين أغانيه والسيدة « أميرة كامل » مدرس الموسيقى بوزارة المعارف . . والسيدة « جواهر » [٢]

وفى تصريح لمجلة المصور أدلت به الفنانة فايدة كامل فى عام ١٩٦٢ أكدت على تلك البداية فقالت « لقد غنيت لأول مرة فى حياتى أمام الجمهور وأنا تلميذة بمدرسة البرهانية . . وكان ذلك على مسرح يوسف وهبى وكانت أغنية « رق الحبيب » . . ومنذ ذلك اليوم شجعنى الجمهور على ممارسة الفن الذى أعشقة . . وبعد ذلك انتقلت إلى المرحلة الثانوية ، ثم إلى كلية الحقوق ، والتحقت فى نفس الوقت بالمعهد العالى للموسيقى المسرحية . .

ومع أننى حصلت على الليسانس إلا أننى فضلت الاستمرار فى الغناء على أن أتحول إلى محامية . . فحصولى على الليسانس لم يكن إلا لمجرد العلم والثقافة فقط . . فالثقافة تفيد الفنان وتقوى مركزه وتساعده على النجاح . . وعلى الرغم من أن حبى للقانون يوازى حبى للفن إلا أن تأدية أغنية فى نظرى أفضل من المرافعة فى قضية . . وأنا أفضل الغناء على روب المحاماه » . [٣]

وفى جريدة« الأخبار وفى نفس الفترة . . أكدت فايدة كامل على نفس البداية فقالت فى موضوع نشر عنها تحت عنوان « لقاء مع المطربة التى غنت لانتصارات شعبنا » : منذ صغرى موهبتى فى الغناء فى حفل عائلى وشجعنى والدى على الغناء. . وكانت أول أغنية لى بعنوان « فراشة حيرانه»

---

(٢) مجلة الجيل الجديد ، مصدر سابق .

(٣)مجلة المصور فى ١٩٦٢/٩/٢١ . .

وكنت آنذاك صغيرة ، ولا تتفق مشاعرى وأحاسيسى مع الأغنيات العاطفية التى تتناول العلاقة بين الرجل والمرأة . . وبعدها أصبحت أغنى الأغنيات الوطنية التى أنفعل بها [٤]

* * *

وبشكل عام تعتبر فايدة كامل فنانة مصرية اتصفت بالحس الوطنى . . ذلك الحس الذى بلورته بوضوح فى مبادراتها الفنية للمشاركة فى معظم المناسبات الوطنية والقومية سواء فى مصر أو فى غيرها من البلاد العربية . . وقد أتاح لها الجو العام الذى عاشته . . وكذلك الأحداث الوطنية العديدة بدءا من ثورة ٢٣ يوليو وانتهاء بانتصارات أكتوبر عام ١٩٧٣ المزيد من التألـق.

فقد عبرت فايدة كامل بمشاعرها وبكلماتها عن تلك الأحداث الوطنية فذكرت فى مجلة الإذاعة الصادرة عام ١٩٥٨ تحت عنوان « غنيت للشعوب المستعبدة » : فى صباح يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ استيقظت على صياح ابنتى « نوران » . . وكان عمرها حوالى سنة . . وأدركت أنها فى حاجة إلى سماع موسيقى الصباح كعادتها . . ففتحت الراديو وإذا بى أسمع أنا ونوران وجميع البشر فى كل مكان أنغام ثورة خلاقة أنبأت منذ ميلادها بتحرير شعوب الأرض التى استغلها الاستعمار ردحاً طويلاً من الزمن . .

ومنذ أن غمرت قلبى موجة من السعادة لسماع بيان الحرية فى صباح ٢٣ يوليو . . خطر ببالى ، بل أقول ازدحم رأسى بالأحلام التى آن لها اليوم أن تتحقق . . نعم كانت أحلاما أصبحت مع الأيام الثورة العربية حقائق . .

إن مصر بلدى الحبيب ستكون بلداً صناعياً بعد أن عرفتها فى المدرسة

---

(٤) الأخبار فى ٢٥/ ٥/ ١٩٦٤ . .

بلداً زراعياً فقط . . مصر أصبحت منارة المجد العربى وشعلة تضئ مستقبل الشعوب جميعاً . . معنى جميل أيتها الإنسانية . . أن بلدى أصبح لحناً ثورياً ، ولقد ملأت ثورتنا أسماع العالم حتى أصبحت حياة النصف الثانى من القرن العشرين تتسم بروح الثورة . . وهزت الدنيا موجات البشرية فكانت انتفاضات شعوب أفريقيا وآسيا التحررية . . هذا ما تمنيت لثورة شعب مصر تمنيت لهذه الثورة أن تشتعل فى كل أرض مظلومة . . ولقد تحقق ما تمنيت ومضينا فى طريق الحرية ، وترددت صيحة التحرير فى كل مكان تنشر الحق والحرية والسلام » . .

ويبدو أن الفنانة فايدة كامل لم تتمكن من المشاركة الفعلية فى أحداث هذه الثورة بالغناء الوطنى تعبيراً عنها . . فحاولت اللحاق بحدث وطنى آخر ارتبط بتلك الثورة . . وذلك للتعبير من خلاله عن رأيها وأحاسيسها الوطنية المتدفقة والمبكرة . . وقد تجلى ذلك بوضوح أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ . . مما جعل بعض المؤرخين الذين كتبوا عن أحداث تلك الفترة يذكرون أن إسرائيل رأت أن فايدة كامل هدفاً استراتيجياً . . ذلك لأن صوتها كان أقوى من دوى القنابل . . وكان المطلوب إسكات ذلك الصوت الذى يدوى دفاعاً عن سماء مصر وشعبها .

ويقول التاريخ الفنى أن فايدة كامل قدغنت منذ هذه المناسبة وحتى عام ١٩٧٧ حوالى ١٦٠ نشيداً وطنياً ألهبت بها عواطف الجماهير . .

وفى تعليلها لارتباطها القوى فنياً بالأحداث الوطنية قالت فايدة كامل : نشأت فى منطقة القلعة أيام الاحتلال ، وكانت مليئة بثكنات الجيش الإنجليزى وكان والدى يستيقظ فى الفجر ويؤمنا للصلاة ويقرأ القرآن . .

وكنت أرى أبى ينتفض كلما سمع موسيقى « القرب » التى كان يستخدمها الإنجليز . . وعاشت صورة أبى فى وجدانى وانطلقت لأعبر عنها مع ثورة ١٩٥٢ وما تلاها من حركات التحرير فى كل أرجاء الأمة العربية وأفريقيا . . (٥)

وأضافت رداً على سؤال :

- لقد غنيت فى كل المناسبات .. أغانى ألهبت وجدان الشعب العربى ، ولكن فى كل مناسبة كانت كل أغنية تختلف عن الأخرى ، بمعنى أوضح ما وجه الخلاف بين أغانى عام ١٩٥٢ و ٥٦ و ٦٧ و ١٩٧٣ .

* أغنية عام ١٩٥٢ كانت تمثل مطالب الشعب من الثورة الأم التى صححت مسيرتها ثورة ١٥ مايو . . وكانت المطالب فى ذلك الوقت حرية الأرض وحرية الإنسان والوحدة العربية(*) . .

وفى عام ١٩٥٦ كانت القضية هى الدفاع عن الأرض ، وقد انتفض الشعب دفاعاً عن الأرض وشارك الفن فى التعبير عن هذه الانتفاضة . . أما فى عام ١٩٦٧ كان الدفاع عن المكاسب التى حققناها فى الأعوام السابقة . . وفى عام ١٩٧٣ كانت الأغنية تحتاج إلى النفس الطويل لأننا كنا فى حالة دفاع عن أرضنا . . وكانت الأغنية الوطنية الهادئة التى عبرت عن هذه المرحلة . .

وما دمنا فى رحاب الحديث عن الأغنية الوطنية ودور الفنانة فايدة كامل فى انعاشها كأحد روادها . . كان لابد من الإشارة فى نفس هذا السياق إلى

---

(٥) روز اليوسف فى ٦/ ١/ ١٩٧٧ .

(*) لاحظ محاولة الفنانة فايدة كامل الربط بين الأحداث السياسية بما يلائم الظروف السياسية الجديدة خاصة إذا عرفنا أنها كانت تتحدث عام ١٩٧٧ ! . .

الأغنية الوطنية التى تمجد الحاكم . . والتى أبدعتها الفنانة أم كلثوم عندما غنت للملك فاروق ولجمال عبد الناصر . . ثم تولت فايدة كامل استكمال ذلك المشوار فغنت للسادات . . أغنيتها الشهيرة « يا حبيبنا يا سادات » . . وتبعها على هذا الطريق عشرات المطربين والمطربات تخليداً لشخص الرئيس . . وكان من الممكن أن يظل هذا الاتجاه تقليداً فنيًا . . نسمعه بين الحين والحين على إثر تغيير النظام السياسى أو تغيير رئيس الدولة . . ولكن بعد تولى مبارك مسئولية الحكم . . لاحظنا أن مؤشر هذا التقليد قد تجمد عند الحد الذى توقف به على إثر وفاة الرئيس السادات . . فلم نعد نسمع أغنيات وطنية تمجد شخص الرئيس أو تستخدم اسمه فى كل الأغنية الوطنية اللهم إلا فى مناسبات نادرة . . تكاد لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة . .

ولقد اتضح من متابعة هذا التقليد الفنى أن اتجاه بعض المطربين والمطربات من أمثال أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وآخرين إلى الأغنية الوطنية التى ارتبطت كلماتها بشخصية الرئيس والزعيم . . كان هدفًا شخصيًا فى المقام الأول ولم يكن له أية علاقة بالعمل السياسى أو الوطنى . . أما الفنانة فايدة كامل فقد حاولت استخدام هذا النوع من الأغنيات الوطنية لغرض سياسى بحت وربما لأول مرة ، وذلك عندما أعلنت ولاءها لشخص رئيس الدولة الجديد كوسيلة فعالة لطمس موقفها السابق الذى تبلور فى حبها وولائها لجمال عبد الناصر الذى كان له الفضل فى التحاقها بالعمل السياسى . . كعضوة فى الاتحاد القومى لأول مرة فى عام ١٩٦٥ . .

وقد نجحت الفنانة فايدة كامل من خلال الأغنية الوطنية فى الحصول على ما كانت ترجوه داخل الملعب السياسى فى ظل وجود السادات

الرئيس الجديد . . فقررت ترشيح نفسها لأول مرة كعضو برلمانى فى عام ١٩٧١ . . وبعد تولى الرئيس السادات الحكم بعدة أشهر فقط . .

* * *

ولا شك أن ما ذكرناه من قبل يعتبر وفق تصورنا مدخلا طبيعيًا للحديث عن موقع الفنانة فايدة كامل داخل الملعب السياسى . . ومع ذلك رأينا أن هذا الموقع يقتضى المزيد من البحث والتفاصيل من أجل تقديم صورة حية ونابضة عن جهودها فى ميدان العمل السياسى ، أسوة بما قدمناه من قبل عن أهم إنجازاتها فى عالم الفن . .

ولقد نوهنا من قبل أن الحديث عن فايدة كامل المطربة الفنانة فى الملعب السياسى . . سوف يشمل جهودها فى هذا الميدان من خلال محورين : الأول يمثل مشوار حياتها السياسى . . بشكل منفرد . . وذلك بدءاً بانتخابها فى المؤتمر القومى عام ١٩٦٥ وفوزها بمقعد المرأة عن حى الخليفة بالقاهرة ، ومروراً بدخولها الاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٨ . . ثم الحزب الوطنى . . ثم مشوارها السياسى الذى تبلور بوضوح تحت قبة مجلس الشعب ابتداءً من عام ١٩٧١ . والذى لاتزال تتمتع به إلى الآن .

أما المحور الثانى . . فتبدأ أحداثه على المستوى السياسى مع بداية عام ١٩٧٧ عندما تم اختيار زوجها اللواء محمد نبوى اسماعيل وزيراً لداخلية مصر ونائبًا لرئيس الوزراء . . هذا الاختيار لاشك قد مكن الفنانة فايدة كامل من الاقتراب كثيراً من مجال العديد من الأحداث السياسية الساخنة . والمعروف أن أهم هذه الأحداث تمثلت بقوة فى وقوع الفتنة الطائفية التى اشتعلت شرارتها الأولى فى حى الزاوية الحمراء أحد أحياء القاهرة

الشعبية . . ثم الانتفاضة التى كادت تحرق القاهرة بنيران الغلاء . . وأخيراً أحداث اعتقالات سبتمبر الشهيرة فى عام ١٩٨١ التى انتهت بحادث المنصة واغتيال السادات فى عام ١٩٨١ . .

وهناك ملحوظة هامة كان لابد من الإشارة إليها فى هذا السياق وذلك قبل الحديث بالتفصيل عن مشاوير هذين المحورين فى حياة فايدة كامل . . فقد كنا نفصل الحديث أولاً عن المحور الثانى بأحداثه السياسية الساخنة . . نظراً لأهميته وارتباط أحداثه ليس فقط بحياة تلك الفنانة . . بل وبحياة جموع المصريين فى الداخل وفى الخارج . . أضف إلى ذلك تلك النتائج الخطيرة التى ترتبت على وقوع هذه الأحداث والتى غيرت كثيراً من مجريات ذلك التاريخ . . وحولت بعض مساراته فى اتجاهات غير محسوبة . .

ولولا اتباعنا منطق تسلسل الأحداث وتواريخها فى حياة الفنانة فايدة كامل . . لبدأنا الحديث بالمحور الثانى . . ولكن على أية حال سوف نحاول بما توافر لدينا من معلومات أن نوفى هذين المحورين حقهما سواء فى سرد المعلومات أو فى مناقشتها . . مع ربط جيد لأحداثهما وعلاقة هذه الأحداث بحياة فايدة كامل خاصة داخل عالم الفن . . وذلك لأن الفن كان الطريق الطبيعى لما وصلت إليه بالأمس واليوم وربما غدا أيضًا . .

وقد رأينا أن خير بداية لحديث السياسة فى حياة فايدة كامل وفقًا لذلك التسلسل هو تأصيل رحلتها عبر الملعب السياسى . . هذا التأصيل قد عثرنا عليه فى كلمات أدلت بها لإحدى الصحف . . حيث قالت :

« لقد نجحت فى انتخابات المؤتمر القومى الوطنى حيث كنت فى السودان فى رحلة فنية . . فلم أحضر الانتخابات ولذلك فإننى أعتز بثقة الزملاء

ولحظتها أحسست بأن واجبى يحتم أن أضاعف جهودى ، وأملى كبير فى أن أحقق الكثير من أجل بلادى ومن أجل زملائى ومن أجل تطوير مهنتى . . إننى عضوة فى مجلس إدارة النقابة منذ إنشائها فى عام ١٩٥٦ وظللت أمين الصندوق خمسة أعوام ، وكنت فى صميم مشاكل الأعضاء . . أعضاء نقابة المهن الموسيقية الذين يزيدون الآن على ٨٠٠ عضو . . » .

ويبدو أن الفنانة فايدة كامل لم تقبل أن تكون عضويتها بالمؤتمر القومى مجرد عضوية شرفية . . بل كانت تشارك بجدية فى المناقشات . . والدليل لدينا على ذلك . . قولها فى تصريح نشر لها فى عام ١٩٦٢ : « لقد طلبت الكلمة ولكن المناقشات انتهت قبل أن أقولها . . إننى أودعتها أمانة المؤتمر ولكنى كنت أحب أن أقولها فى المناقشات العلنية حتى يعرف الناس أى آلام يعانى منها الفنان فى مصر . . إننى أطالب بالتأمين الاجتماعى لكل فنان فى بلادى . . إن الفنانين هم الفئة الوحيدة المحرومة من التأمين الاجتماعى . . إنهم شموع تحترق[٦] .

وفى غمرة حديثها عن هموم الفن لم تنس أبدًا السياسة . . إذ ذكرت فى نفس الموضوع : « سأطالب بعقوبة العزل لكل من يخالف القوانين الاشتراكية . . إن الميثاق حدد المبادىء ، ولكنه لم يحدد عقوبة لمن يخالفها . . إننى سأقترح عقوبة للمخالفة »[٧] . .

وفى عام ١٩٦٨ أصبحت فايدة كامل عضوا بالمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى عن دائرة حى الخليفة أيضًا . . ثم عاودت الترشيح للاتحاد الاشتراكى فى الانتخابات التى تلت هذه الدورة ونجحت أيضًا . . ويبدو أن

---

(٦) مجلة الكواكب فى ١٢/ ٦/ ١٩٦٢ .
(٧) المصدر السابق . .

الجهود التى كشفتها فايدة كامل فى الملعب السياسى على النطاق الحزبى . . كانت بداية قوية لدخولها المرحلة الثانية فى الملعب السياسى . . ذلك حين قررت أن تخوض انتخابات مجلس الشعب لأول مرة فى عام ١٩٧١ . . وقد قالت عن تلك التجربة بالحرف الواحد :

« . . أما انتخابات مجلس الشعب فهى شىء مختلف تمامًا عن كل ما سبق . . فأساليبها فى الدعاية جديدة على تمامًا . . واكتشفت أن هذا النوع من المعارك الانتخابية له حيل وأساليب فى الدعاية الشخصية والمضادة كثيرة ومتعددة ومتنوعة . . تبدأ من أول الحرب النفسية بصنوفها إلى ترديد الإشاعات الكاذبة التى تحدث بلبلة . .

ومن أكثر المواقف التى هزتنى خلال هذه المعركة الانتخابية مشهد تجمع فريق من سيدات حى الإمام التونسى أمام ضريح الإمام الشافعى يشفعن به ويدعون الله لنصرتى . . وأن يوفقنى الله من أجلهن » .

- وماذا ينتظرن منك ؟

* أنا واحدة من الحى وأعرف كل صغيرة وكبيرة فيه ، وأعرف بصفة خاصة مشاكل المرأة فى هذا الحى ، وهى صورة مصغرة من مشاكل المرأة فى كل مكان من مجتمعنا الذى لا يزال ممسكا قبضة يده عن مساعدة المرأة وإعطائها أبسط حقوقها فى الحياة الكريمة . . لقد آن للمرأة المصرية على اختلاف مستوياتها الاجتماعية والثقافية - وقد حققت نجاحا كبيراً فى كل الميادين - أن تجد التأمين الكافى لحياتها ومستقبلها ومستقبل أطفالها . .

- هذا بالنسبة للمرأة . . فماذا وضعت فى برنامجك من أجل الحى نفسه ؟ . .

* الخدمات العامة ضرورية جدا للمنطقة . . وتصور أن ٢٥٠ ألف نسمة يعيشون فى هذا الحى ولا يوجد مستشفى عام لخدمتهم . . هذا هدف ورسالة وليس برنامجا . . كذلك لا توجد سوى مدرسة ثانوية واحدة للبنات . . رغم العدد الهائل المتزايد منهن عاما بعد آخر . . مما يضطرهن للذهاب إلى مدارس بعيدة جدًا عن المنطقة ، وبعضهن لا يتحملن مصاريف الانتقال بالمواصلات يوميًا . . علاوة على الجهد وزحمة المواصلات . . ولقد رتبت نفسى على لقاءات مستمرة بأهالى الحى وهذا فى حد ذاته سينير لى الطريق ويحدد خطواتى . .

- وماذا فى برنامجك وأنت فنانة وحقوقية لخدمة الفن والفنانين ؟

* أن يصدر وفى أسرع وقت قانون النقابات المهنية لأن فيه كل الضمانات التى تكفل حياة كريمة للفنان فى جميع الحالات . . هذا القانون موجود منذ ١٣ عاما . . وقد شاركت فى إعداد بنوده . . ولكنه معطل ولم ير النور حتى الآن[٨] . .

ويبدو من خلال تتبعنا لرحلة الفنانة فايدة كامل فى الشارع السياسى . . خاصة تحت قبة مجلس الشعب وأثناء الدورات الست التى قضتها عضوة برلمانية نشطة . . أنها قد آلت على نفسها تحقيق الأهداف الاجتماعية الخاصة بأبناء دائرتها وكذلك بأبناء مهنتها الفنية . . على الرغم من تقلبها المستمر خلال التنظيمات السياسية المتعددة والتى شهدتها مصر فى تلك الفترة . .

---

(٨) تفاصيل هذا الحوار منشور بالكامل فى مجلة الكواكب بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٩٧١ تحت عنوان « فايدة كامل أول فنانة فى مجلس الشعب » . .

ابتداء من المؤتمر القومى والاتحاد الاشتراكى وأخيراً الحزب الوطنى ، لقد شاركت فايدة كامل سياسيًا فى دورات مجلس الشعب أعوام ٧١ - ٧٦ - ٧٩ - ٨٤ وأخيراً عام ١٩٩١ . . وهى الدورة البرلمانية الأخيرة . .

كما ذكرت فايدة كامل فى العديد من تصريحاتها الصحفية . . التى كانت ترددها كثيراً فى فترة الإعداد للانتخابات البرلمانية أنها حققت العديد من الإنجازات السياسية والاجتماعية على مدى السنوات الطويلة التى قضتها سواء فى مجلس الشعب أو فى الحزب الوطنى وأمانة المرأة . .

وكان من أهم هذه الإنجازات وفق ما أعلنت فايدة كامل : القانون الخاص بالمرأة التى لها حق الحصول على معاش فى حالة الزواج بعد سن الستين . . وضمان استمرار المعاش للطالب بعد تخرجه لحين إعلانه بالوظيفة . . ثم قانون المناجم والمحاجر وقانون الأحوال الشخصية الذى أطلق عليه فيما بعد « قانون جيهان » نسبة إلى السيدة چيهان السادات . .

وبخلاف ذلك ذكرت فايدة كامل :

« ومن خلال موقعى كأمينة الحزب الوطنى بحى الخليفة تم إنشاء ٩ مدارس فى المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية و٣ مساجد ومعهد دينى وإنشاء دار للمناسبات وتغيير شبكة المواصلات على أرض الخليفة . . وكذلك إنشاء ٨ خطوط للمواصلات ونواد رياضية و٣ دور حضانة ومركز شباب القلعة وفصول لمحو الأمية وتعليم الكمبيوتر[٩] .

---

(٩) جريدة مايو فى ٩/ ٣/ ١٩٨١ . .

أما إنجازاتها السياسية فقد تركزت فى مطالبها المتكررة لزيادة دور المرأة فى الملعب السياسى فنراها تقول على سبيل المثال :

« لقد كنت أتمنى أن يكون عدد مرشحات الحزب الوطنى من السيدات أكثر من ذلك خاصة وأن هناك الكثير منهن على مستوى عال من الكفاءة . . ولعل الحزب الوطنى الذى اتخذ هذه الخطوة فى ترشيح هذا العدد القليل من عضواته هو أقدر على تحديده . . واننى أتعشم فى المستقبل أن نجرى حواراً موضوعيا مع قيادات الحزب لمناقشة هذا الأمر وتغييره للعمل على زيادة عدد العضوات . . خاصة وأن المرأة أثبتت دورها الناجح بالفعل فى كافة المجالات . .

وتضيف أنه من المستغرب التفرقة بين المرأة والرجل تحت قبة البرلمان فى دورته الحالية . . وأن عدد المرشحات لا يفى بأى حال من الأحوال ويؤدى إلى تقلص دور المرأة تحت قبة البرلمان(١٠) .

وقبل أن نقترب من ختام حديث هذا المحور فى حياة الفنانة فايدة كامل . . وقبل أن نضع القلم . . ونتجه إلى حديث المحور الثانى . . نسوق ما ذكرته عن علاقة الفن بالسياسة . . على الأخص من وجهة نظرها لنرى هل اختلفت عن وجهة نظر بقية ضيوف هذه الأوراق ؟ أم أن هناك فعلاً اتفاقًا ؟

لقد ذكرت الفنانة فايدة كامل : « لا شك أن السياسة الشريفة تسير فى نفس طريق الفن الشريف . . فالهدف واحد . . وكل منهما يخدم مصالح الجماهير . . والفن الشريف يؤدى دوره من خلال الكلمة الشريفة والنغمة

---

(١٠) مجلة آخر ساعة بتاريخ ١٢/ ١٢/ ١٩٩٠م .

الشريفة ليدافع بها عن قضايا الشعوب . . ويترجم ترجمة حقيقية واقع حياتهم الاجتماعية والاقتصادية . .

إن هناك علاقة كبيرة بين الفن والسياسة . . وجوهر هذه العلاقة هو القيم الأخلاقية الرفيعة . . ففى ضوء هذه القيم استلهمت درسًا فى الفن وتوظيفه للإعلام عن النشاط السياسى فى مساره التصحيحى السليم من أجل خدمة الشعوب المناضلة .

ومنذ بدأت بالأغنية الوطنية والتى قامت بدورها الإعلامى . . ليس فقط فى الدفاع عن مواقفنا السياسية فحسب . . بل أيضًا استسهلت الأغنية الملائمة التى تركز على قيم حضارية تعكس أصالة مصرية لمصر والتى أعطت للحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ . . ولذلك حققت عن طريق الأغنية دورا إعلاميًا حضاريًا على مستوى مصر والعالم العربى والأفريقى » . .

وفى تصريح صحفى آخر أدلت به عن اعتزالها الفن بسبب السياسة قالت :

« لا . . لا . . لم أعتزل الفن . . ولكنه اعتزال تدريجى . . وبصراحة ومنذ أن رفعت شعار خدمة أهل الفن وأهلى أولاً لم أجد الوقت الكافى كى أعطيه للفن . . والفن كما تعلم خاصة الغناء لابد له من تفرغ تام . . فبدأت خطوط الابتعاد تظهر بيننا » . .

- ومنذ متى بالضبط ظهرت هذه الخطوط ؟

ظهرت فى أعقاب انتصارات أكتوبر العظيم مباشرة . . لأننى اعتبرت هذا الانتصار العظيم والرائع تتويجًا لرسالتى التى عشت لأجلها وأوقفت

الفن كله عليها . . لأننى كنت مازلت مرتبطة بالأرض وبنضال شعب مصر ونضال الشعوب العربية والأفريقية . .

لقد قاتلت بصوتى - إن صح هذا التعبير - إلى أن تحقق النصر الكبير فأحسست بأننى - ربما - أديت رسالتى تجاه الفن ، ويكفى أن أقول لك عن علاقة الفن بالسياسة إننى الآن وكيلة لجنة الثقافة والإعلام بمجلس الشعب والحزب الوطنى(١١) .

وكان من بين التساؤلات التى مرت بالذهن . . بل وكادت تعصف به فى هذا السياق . . سؤال تقول كلماته : وهل كانت الفنانة فايدة كامل تقصد من اعتزال الفن والتفرغ للعمل السياسى الفوز بالعديد من المكاسب السياسية فى هذا الميدان ؟

وبالبحث والتنقيب عن وجهة نظرها فيما سبق وأسلفناه عن ذلك السؤال . . عثرنا على تصريح عبرت فيه عن تلك الإجابة . . فقالت رداً على سؤال خاص بطموحاتها السياسية :

« طموح إيه . . وأنا فى الطموح نفسه . . ثم أضافت - تقصد حضرتك طموح أكثر مما أنا فيه ؟ قلت لها نعم ، ردت بحسم : لا . . مفيش طموح لدى أكثر مما أنا فيه الآن . . لا تطلعات سياسية أو حزبية على الإطلاق ، أكثر مما وصلت إليه الآن . . هذه هى الحقيقة ولابد من قولها » . .

- ولكن هذا يتنافى مع كونك فنانة . . والفنان دائماً طموحاته كثيرة ولا تنتهى . .

---

(١١) مجلة الكواكب فى ١٣/ ١١/ ١٩٩٠ ١١ . .

« طموحاتى موجودة . . ولكنها طموحات إنسانية أولاً وأخيراً . . وليست طموحات سياسية أو حزبية إطلاقًا . . أذكر أننى حين رشحت نفسى لأول مرة كان هدفى الأول والأخير خدمة أبناء دائرتى وأهلى لوجه الله » . .

وببساطة شديدة قلت : ماذا تفعل فايدة كامل الفنانة حين يتم اختيارها فى أول تغيير وزارى قادم وزيرة للثقافة ؟

بحدة شديدة قالت :

وزيرة . . لا . . هذه ليست من طموحاتى على الإطلاق . . وزير الثقافة الحالى أنا أحترمه وأقدره جداً[١٢] . .

* * *

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد مرة أخرى قبل أن نصاحب الفنانة فايدة كامل فى حديث السياسة عبر المحور الثانى أن السبب الرئيسى الذى دعانا للحديث عن زوجها اللواء محمد نبوى إسماعيل وزير داخلية مصر . . هو ارتباط تلك الشخصية السياسية بالعديد من الأحداث العامة والخاصة الساخنة التى هزت مصر . . ومعايشة فايدة كامل لتلك الأحداث معايشة كاملة إلى جانب سيادة الوزير . .

أضف إلى ذلك أنها سياسية عاشت طويلاً تحت لواء الحزب الحاكم داخل مجلس الشعب . . وقد ساءها مثل غيرها وقوع مثل هذه الأحداث التى انتهت بمقتل الرئيس الذى غنت له . . بل ومن المؤكد أن تلك الفنانة السياسية كان لها رأى سياسى فيما يتعلق بتلك الأحداث وكثيراً ما عبرت عنه فى العديد من المناسبات ! .

---

(١٢) مجلة الكواكب .

وعلى أية حال فإن حديثنا القادم عن فايدة كامل ودورها السياسى فى المحور الثانى لن يكون طويلاً أو مسترسلاً . . لسببين . . أولهما . . قصر الفترة الزمنية . وثانيهما : ارتباط فايدة كامل بأحداث ذلك المحور بطريق غير مباشر . .

* * *

وبداية نقول . . لقد تزوجت الفنانة فايدة كامل من الضابط محمد نبوى إسماعيل فى عام ١٩٤٦ وكان يكبرها بسبع سنوات فهو من مواليد عام ١٩٢٥ بينما هى من مواليد عام ١٩٣٢ وكان وقتذاك ضابطًا بمحطة مصر للسكك الحديدية . .

وتخرج الضابط محمد نبوى إسماعيل فى كلية الشرطة فى عام ١٩٤٦ ودرس القانون ثم حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة وتم تعيينه فى بداية خدمته بإدارة مباحث أمن الدولة فور قيام ثورة ١٩٥٢ . . وقد تدرج فى رتبته ثم عين بعد ذلك مديراً لمكتب اللواء ممدوح سالم فور قيام ثورة التصحيح عام ١٩٧١ . . وفى إبريل عام ١٩٧٥ تم اختياره مديراً لمكتب رئيس الوزراء[١٣] . . وبعدها صدر قرار بترقيته إلى نائب وزير الداخلية وكان ذلك فى بداية عام ١٩٧٧ عقب أحداث ١٨ و ١٩ يناير . . ثم تم اختياره فيما بعد وزيراً للداخلية ونائبًا لرئيس الوزراء . . أما فى عام ١٩٨٢ فتم اختياره وزيراً للحكم المحلى والخدمات . . وأخيراً ترك المنصب الوزارى فى نهاية عام ١٩٨٣ . .

---

(١٣) جريدة الأهرام فى ٢٦/ ١٠/ ١٩٧٧ .

وطوال الفترة التى قضاها اللواء محمد نبوى إسماعيل فى منصبه السياسى كوزير للداخلية ونائبًا لرئيس الوزراء . . فقد عايش بنفسه أحداثًا سياسية ساخنة كما سبق وذكرنا . . وكان على رأسها مظاهرات ١٨ و ١٩ يناير . . التى أطلق عليها فى حينها الانتفاضة الشعبية أو انتفاضة الحرامية وعندما نجح اللواء نبوى إسماعيل فى قمع تلك المظاهرات اختاره الرئيس السادات وزيراً للداخلية . .

كما عاصر زوج الفنانة فايدة كامل فى ذلك الوقت حادث اغتيال الشيخ الذهبى والذى كان بداية لمرحلة عنف طويلة . . امتدت إلى الآن وذلك فى مواجهة مع التيارات المتطرفة . .

ويبدو أن هذا الرجل .. كان مثل زوجته على موعد مع تلك الأحداث المصيرية حتى من قبل توليه منصبه الوزارى .. فوقعت أحداث الزاوية الحمراء .. أعنف الأحداث الطائفية فى مصر فى العصر الحديث .. وقد قال اللواء نبوى إسماعيل في حواره الذى نشر بعنوان « كنت وزيراً للداخلية » وعن تفاصيل ذلك الحادث أقول : « إن أحداث الزاوية الحمراء لم تكن الوحيدة من نوعها .. فقد سبقها على مر السنين السابقة خلال الستينات والسبعينات عديد من هذه الحالات .. وبعضها كان خطراً وجسيماً .. وقد كلفت اللواء حسن أبو باشا مساعد وزير الداخلية فى ذلك الوقت ومع القوات اللازمة للسيطرة على الموقف[١٤] ..

وعلى أية حال لقد كانت أحداث الزاوية الحمراء المقدمة العنيفة لأحداث الفتنة الطائفية .

« ثم جاءت الأحداث الأكثر خطورة والتى تمثلت فى قرارات سبتمبر

---

(١٤) كنت وزيراً للداخلية - أخبار اليوم فى ٢٩/ ٢/ ١٩٩٢

الشهيرة عام ١٩٨١ . . وفى تعليل اللواء نبوى إسماعيل لإقدامه على تنفيذ أوامر هذه الاعتقالات قال فى نفس الحوار السابق : . . « فى عام ١٩٨١ كان واضحاً ومؤكداً أن هناك من يخططون إلى أن تصبح مصر مثل لبنان أو إيران مجتمعين من قتل وتخريب ودمار ودماء . . وقد كنت دائماً ممن يؤمنون بأن تقييد الحرية لأى شخص فى أبسط صورها شىء مرفوض ، وكنت أنبذ الاعتقالات منذ بداية عملى بالشرطة كضابط للمباحث حتى بالنسبة للمجرمين . . وأعتبرها سلاحاً ذا حدين[١٥] » .

وبخلاف ما ذكره زوج الفنانة فايدة كامل . . فقد تردد أن اللواء نبوى إسماعيل قد شارك بنفسه فى اختيار قائمة الأسماء المتحفظ عليهم من المعتقلين وفقاً لاختصاص الأجهزة المعنية بوزارة الداخلية والتى كان على رأسها . . وفى تعليقه الشخصى على قرارات سبتمبر « قال : إنها لم تكن . . تعبر عن غل أو حقد ولم تستهدف التنكيل أو الإساءة لأحد . . إنما كانت قرارات فى محتواها تستهدف إنقاذ البلاد » . .

ثم جاء الموعد المنتظر مع الحدث الساخن الذى عايشته فايدة كامل مثل مئات الناس سواء من خلال شاشة التليفزيون أو من روايات الصحف المصرية والأجنبية كما لمست تأثيره السياسى على زوجها الذى هددته رصاصات المغيرين على المنصة . بعد اغتيالهم السادات فى أكتوبر عام ١٩٨١ . .

ولقد حكى اللواء نبوى إسماعيل بعض لقطات من هذه المحنة لا شك عرفتها زوجته . . قبل أن يعرفها التاريخ . . فقال عل« سبيل المثال :

« كانت الصورة أمامى تدعو للقلق . . فمباحث أمن الدولة وأجهزة الشرطة تقوم بمهاجمة أوكار تنظيم الجهاد ، وتم ضبط عدد من قياداته

---

(١٥) كنت وزيراً للداخلية - أخبار اليوم فى ١٩٩٢/٢/٢٩ - مصدر سابق .

وأعضائه وجزء كبير من الأسلحة والذخائر . . ولكن مازال هناك هاربون يجرى البحث عنهم ومطاردتهم ومن أهمهم « عبود الزمر » . . .

وفى اليوم الموعود ٦ أكتوبر صباحاً اتصلت بالأجهزة المختصة بالوزارة للاطمئنان على نتيجة مسح طرق الركب والتأكد من سلامته . . وفى طريقى للمنصة كنت أتابع من جهاز « لاسلكى السيارة » ركب الرئيس الراحل . . حتى خرج من وزارة الدفاع فى طريقه للمنصة . .

ويدأ العرض وأنا ما بين متابع لفقراته والرجوع لساعة يدى متمنياً أن ينتهى العرض فى أسرع وقت . . وفجأة بدأ عرض الطائرات فى حركات بهلوانية خطيرة . . وكان يجلس بجوارى فى المنصة الدكتور عبد الرازق عبد المجيد نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية . .

وكان قلقاً من العرض الجوى وكأنه يخشى أن تصطدم الطائرات ببعضها . . ونقل لى هذا الشعور بالقلق ، ولكن من وجهة نظر أخرى إذ خشيت أن تصطدم إحدى الطائرات بالمنصة . . إلى أن مرت الطائرات بسلام ، ونزلت ببصرى لأرى خالد الإسلامبولى يلقى بأول قنبلة تجاه المنصة ، وكان ذلك أثناء متابعتنا للعرض الجوى ناظرين إليه وكأنه سيقوم بإجراء عرض أمام الرئيس أسوة بعرض المظلات . . وبمجرد إلقائه القنبلة قلت بصوت مسموع : « عملتوها . . عملتوها » . .

وفجأة شاهدت سيارة حراسة مخصصة لمتابعة تحركاتى دخلت منطقة العرض بعد سماع إطلاق النار ، فاتجهت إلى السيارة وأصدرت تعليماتى من جهاز اللاسلكى لغرفة العمليات بالوزارة بتنفيذ الخطة (١٠٠) وتحويل جميع التشكيلات بالوزارة إلى تشكيلات قتالية . .

وكان الرئيس الراحل قد نقل من مكانه بالمنصة إلى خلف المنصة . . وقد كلفت السيارة بالتحرك إلى مبنى وزارة الداخلية لمتابعة اتصالاتى بمساعدى الوزير المختصين . . ثم اتجهت لمستشفى المعادى »[١٦] .

أما عن لحظة تعرضه للاغتيال . فذكرها اللواء النبوى إسماعيل بقوله :

« بينما كنت فى المنصة صعد أحد الجناة من اتجاه السلم الذى يقع يسار المقصورة ، وعندما رآنى أخذ وضع الاستعداد لإطلاق الرصاص . . فلمحه رشوان مصور الرئاسة الذى كان أعلى السلم فى مواجهته ، فألقى بالكاميرا تجاهه فعاجله بدفعة من الطلقات . . وعندما استدار لإطلاق الرصاص نحوى ، كانت الرصاصات قد فرغت تماماً ، كما كان الحراس قد بدأوا فى مطاردته . .

* * *

والسؤال الذى يفرض نفسه فى إطار الحديث عن المحور الثانى : وهل العلاقة السياسية المتميزة التى وصلت إليها الفنانة فايدة كامل فى عهد السادات كانت السبيل الذى مهد لارتقاء زوجها اللواء محمد نبوى إسماعيل المنصب الوزارى ؟ أم أن اختياره فى منصب وزير الداخلية ثم نائباً لرئيس الوزراء كان سبيلها للاستمرار داخل الملعب السياسى ؟!

والحقيقة أن العديد من المراقبين السياسيين وبعض المؤرخين عندما حاولوا وضع إجابة لذلك السؤال اختلفوا بل انقسموا على أنفسهم . . خاصة حين تحدثوا عن تلك الأسبقية التأثيرية لكل من فايدة كامل فى الملعب السياسى

---

(١٦) كنت وزيراً للداخلية - أخبار اليوم فى ٢٩/ ٢/ ١٩٩٢

ودورها المتميز على مدى أكثر من ثلاثين عاماً . . ثم نجاحها فى الارتباط بالوضع السياسى الجديد فى فترة حكم الرئيس السادات .. هذا النجاح كان سبيل زوجها اللواء نبوى إسماعيل نحو الوصول إلى أعلى المناصب السياسية مع التأكيد على أن مثل هذه الأسبقية فى التأثير لا تقلل أبداً من الدور الأمنى أو السياسى الذى لعبه اللواء النبوى إسماعيل فى إطار الأحداث الداخلية الساخنة التى عصفت أو كادت تعصف بمجتمعنا خاصة فى الفترة التى أعقبت حادث الاغتيال الشهير .

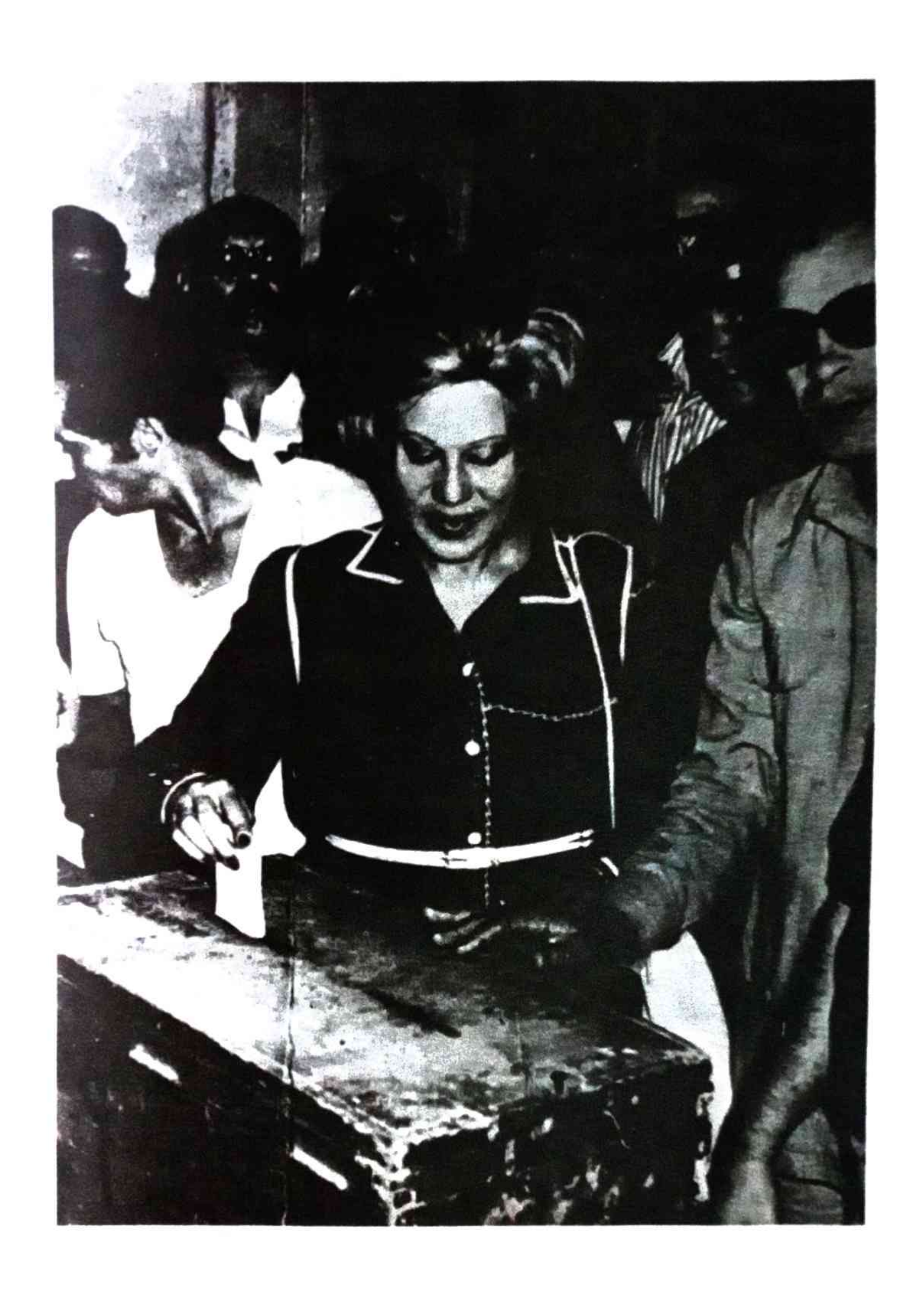
لقد كانت هذه الفترة فى تصورنا تحتاج إلى يد من حديد لحسمها أو للقضاء عليها .. أو على الأقل ضرورة توافر القوة المطلوبة لذلك بصرف النظر عن القول الذى كان يردده البعض من أن المواجهة الأمنية الشديدة التى انتهجها اللواء النبوى إسماعيل وزير الداخلية آنذاك كانت من الأسباب المباشرة لوقوع أحداث العنف بالتالى ووقع حادث المنصة !! .

ومما يؤكد لدينا قوة ذلك الرأى الذى ارتبط بالأسبقية التأثيرية لفايدة كامل ماذكره النبوى إسماعيل فى أوراقه الخاصة من أنه لم يكن يعرف من قبل اللواء ممدوح سالم والذى يرجع إليه الفضل فى اختياره وزيراً للداخلية فى عام ١٩٧٧ . وكان من قبل قد قضى معظم خدمته فى الشرطة فى إدارة مباحث النقل والمواصلات . .

ويبدو أن نجاح اللواء النبوى إسماعيل فى إدارة مكتب اللواء ممدوح سالم فى وزارة الداخلية . . شجعه كثيراً لاختياره مديراً لمكتبه أيضاً وهو رئيس للوزراء كما تمت ترقيته فيما بعد لمنصب نائب وزير الداخلية وعلى إثر نجاحه الأمنى الحاسم فى فترة أحداث الانتفاضة واغتيال الشيخ الذهبى اختاره

الرئيس السادات - وربما بتوصية من اللواء ممدوح سالم رئيس الوزراء آنذاك - فى منصب وزير الداخلية . . وربما أيضاً لتأثير زوجته . . عضو مجلس الشعب التى كانت فى هذه الفترة صاحبة تأثير ونفوذ لدى القيادة السياسية ، بدليل اختيارها عضواً رئيسياً فى الوفد المصرى الذى سافر إلى واشنطن لحضور توقيع اتفاقية كامب ديفيد فى صحبة رئيس الدولة الرئيس أنور السادات .

* * *



الفنانة « فايدة كامل » تدلى بصوتها فى انتخابات مجلس الشعب
بدائرة الدرب الأحمر



فى مجلس الشعب تنتظر دورها فى الاشتراك فى المناقشات



فى مجلس الشعب تشترك برأيها



حكمت

رائدة الرقص الشرقى.. تتعاون مع الشيطان .. من أجل مصر

لن نغالى حين نقول . . ووفقا لرؤية خاصة عن مفهوم التجسس الذى يتحول إلى عمل وطنى : إن الفنانة الراقصة حكمت فهمى . . من وجهة نظرنا . تقف فى مصاف رجال السياسة المصرية وزعمائها الذين تبلور جهادهم فى فترة الاحتلال البريطانى فى القيام بما هو متاح وغير متاح من الأعمال المشروعة وغير المشروعة . . لتحقيق استقلال مصر وتخليصها من ذلك الاحتلال البغيض فى تلك الفترة . . مع اختلاف الموقع واتحاد الأهداف . .

ولا ينبغى أن ننظر إلى ذلك الأمر . . بمنظار هذه الأيام . . لأن مصر فى الفترة التى شهدت مولد نجم حكمت فهمى . . كانت فى حاجة ماسة لكل ابن من أبنائها للمساعدة فى وضع حد لذلك الاستعمار الذى عاش فوق أرضها أكثر من سبعين عامًا . . كذلك لا تعنى نظرتنا الخاصة للفنانة حكمت فهمى على أنها تقف فى مصاف الزعماء . . التقليل من قيمة هؤلاء الزعماء . . ولا لقيمة أعمالهم الوطنية .

ولدينا فى نفس السياق كلمة نراها من الأهمية . . بحيث لا يجب أن نغفلها عن دور الفنانة حكمت فهمى على اعتبار أنها امرأة اتصفت بالوطنية وقد لعبت دوراً سياسيًا متميزاً فى تاريخ مصر وكان مثلها - فى ذلك - مثل أنور السادات وعزيز المصرى اللذين حضرا جانبًا كبيراً من قصة كفاحها . . وكانت بذلك على حافة حفرة الموت . . لولا تدخل إرادة القدر . . وقد أعطت من حياتها الشىء الكثير . . رغم قصر مدة تواجدها فى الشارع السياسى . . بالقياس لتواجدها فى ميدان فن الرقص . .

كما نستطيع أن نؤكد أيضاً أن حكمت فهمى وفيما يخص النتيجة السابقة كانت تعتبر رائدة فن الرقص الشرقى الذى تم توظيفه سياسيًا ، وقد تفوقت فى هذا الميدان على وظائف الفن الأخرى والتى عادة ما يكون ميدانها الخدمة الوطنية . . وبخلاف ذلك ارتبطت الفنانة حكمت فهمى وحتى قبيل دخولها عالم السياسة بالعديد من الشخصيات السياسية المصرية وغير المصرية . . وكانت علاقتها بهؤلاء سبيلها إلى توظيف هز الوسط السياسى . . لخدمة بلادها . .

وما نود أن ننوه عنه . . وقبل الانطلاق فى رحاب البحث عن موقعها فى الشارع السياسى أن الدور الذى لعبته هذه الفنانة الراقصة . . داخل الشارع السياسى رغم قصر مدته . . يعتبر بحق أهم من دورها الفنى الذى أهلها لتتربع عرش الرقص الشرقى محليًا وعالميًا ولسوف يتضح ذلك بعد قليل خاصة إذا ما نظرنا إلى هذا الدور من حيث النتائج الوطنية وقوته وتأثيره محليًا ودوليًا . .

والذى دعانا إلى هذا التصور . . أن الفنانة حكمت فهمى حصرها قدر الزمان المنوط به تحديد فترة حياة الشباب والقوة داخل الإنسان للعيش فى فترة شهدت إقبالا منقطع النظير من الأجانب ، حيث كانت وجهتهم آنذاك مصر المحروسة ، إما لارتباطهم بالاحتلال الإنجليزى أو بقوات الحلفاء المشاركة فى الحرب العالمية الثانية .

من هنا كانت حكمت فهمى عروس الرقص الشرقى فى عيون هؤلاء الزائرين ، كما كانت كذلك فى عيون غيرهم من الساسة والزعماء المصريين . . ولعل ذلك ما سوف نلقى عليه الضوء فيما هو قادم من حديث . .

وما نود الإشارة إليه كذلك أننا لم نقصد الدفاع عن تلك الراقصة أو عن دورها التجسسى لصالح الألمان ضد الإنجليز . . خاصة إذا ما نظرنا إلى أهمية ما قامت به من أدوار من حيث النتائج . . لذلك فلن نمل من أن نردد دائما أن تلك الفنانة تستحق أن نطلق عليها فنانة وطنية متميزة . . عايشت بأحاسيس فنان مشاكل بلادها المحتلة . . بل وحاولت توظيف ذلك الفن الراقص لخدمة قضايا ذلك الوطن المحتل . .

وبشكل عام فإن حديثنا عن حكمت فهمى سوف نقسمه إلى رافدين . . الأول نتناول من خلاله رحلتها الفنية فى عالم الرقص . . من حيث بدأت . . وكيف انتهت ثم أعمالها الفنية . . أما الرافد الثانى سوف نخصصه لحديث السياسة والتجسس فى حياتها . . وكذلك آفق علاقاتها السياسية بكل من عزيز المصرى والسادات . . ومكرم عبيد وآخرين . .

ولعلنا نبدأ حديثنا عن المشوار الفنى والسياسى لحكمت فهمى .. بوصف جميل .. كتبه « بول كارل » أحد المؤرخين الإنجليز . فى مطلع حديثه عن الدور الخطير الذى لعبته وارتباطها بقضية التجسس مع الألمان . وقد جاء ذلك الوصف فى كتابه « ثعالب الصحراء » :

« كانت الراقصة جميلة جداً .. ونموذجا للجمال العربى ، ذات جسد رائع وحركات متجانسة وأعين نجلاء .. وملامح مصرية أصيلة وراقصة ممتازة ، ولا يوجد خارج القاهرة مثل هذا القوام لا فى برلين ولا فى حدائق الشتاء أو ألاسكا أو حتى فى « الفولى برجير » فى باريس أو كازينو « دى بارى » ..

لقد كانت عندما ترقص يدوى التصفيق كالعاصفة ويقذفون إليها بباقات الزهور .. ويقوم الصبية الصغار بالسير حثيثا جيئة وذهابا حاملين بطاقات المعجبين الأثرياء إليها .. وكانت حكمت فهمى تنتقل كالملكة يصحبها بلاطها ، وكان أصدقاؤها ومعارفها أشبه بأسطورة » ..

هذا الوصف المتكامل لما كانت تتمتع به حكمت فهمى من مؤهلات .. أخذت بيدها لكى تتبوأ عرش الرقص الشرقى .. ليس فى مصر وحدها بل وفى معظم المدن الأوروبية كان يدل دلالة واضحة على تغلغل هذه الفنانة فى الأوساط الأجنبية .. وبشكل لم يسبق له مثيل .. حتى أن أحد المؤرخين المشهود لهم بالكفاءة قد خصص جزءافى أحد كتبه السياسية والتاريخية للحديث عنها وعن أوصافها ومفاتنها ..

وتقول المعلومات التى لدينا عن بداية حياة حكمت فهمى ونشأتها . . إنها ولدت فى إحدى قرى صعيد مصر بمحافظة المنيا فى عام ١٩١٠ . . وأن أهم أحداث حياتها الفنية قد تبلورت فى الفترة ما بين عام ١٩٣٧ وعام ١٩٤٢ . . حيث كانت فى ذلك الوقت أشهر راقصة مصرية ليس على المستوى المحلى فقط . . بل وأيضًا على المستوى الدولى . .

ويقول الكاتب والناقد الصحفى الراحل جليل البندارى : « كانت حكمت فهمى الراقصة المصرية الوحيدة التى رقصت فى الفترة بين عام ١٩٣٧ وعام ١٩٣٩ . . فى قصور ملوك أوربا وزعمائها ، قصراً قصراً . . لقد رقصت أمام دوق وندسور وهتلر وموسولينى وجورنج جوبلز . . وآخرين » . .

بالإضافة إلى ذلك ذكرت هذه المعلومات : إن الفنانة حكمت فهمى كانت على صلة مبكرة بالوسط الفنى ذلك لأن خالتها هى الفنانة القديرة « عزيزة أمير » وأنها عملت فى بداية حياتها ممثلة صغيرة فى الفرق المتنقلة بين محافظات الوجهين البحرى والقبلى . . وبعد فترة سافرت فى رحلة فنية إلى بعض الأقطار العربية وهناك لمع اسمها ،لذلك وصل أجرها إلى أكثر من ستين جنيها فى الشهر . . وعندما عادت إلى القاهرة مزة أخرى تولت بطولة فرقة « بديعة مصابنى » بمرتب ٣٠ جنيها فى الشهر . . ومع ذلك لم تأنس حكمت فهمى لفن التمثيل ، فجذبها فن الرقص الذى أبدعت فيه إلى حد الإعجاز . . وذلك على حد قول بعض مؤرخى أهل الفن . .

ويبدو أن حنين فن التمثيل قد عاودها مرة أخرى . . خاصة فى الفترة التى أعقبت خروجها من محنة السجن التى استمرت لأكثر من عامين . .

فى قضيـة التجسس مع الألمان . . ففى عـام ١٩٤٦ مثلت فيـلم « المتشردة » من إنتاجهـا ، ومن إخـراج الفنـان الراحـل محمـد عبـد الجـواد . . وقد شاركها فى البطـولة محسن سرحان ومارى منيب وسراج منير ومختار عثمان . ومن المفارقات الطريفة أن المخرج محمد عبد الجواد تزوج من حكمت فهمى بعد إخراج هـذا الفيلم وأنجب منهـا ابنهـا الوحيـد « مجد الدين » . .

وينقل لنا الناقد الفنى جليل البندارى بعضاً من لمحات حياتها الخاصة فى تلك الفترة فيقول : « ڤيلا متواضعة المظهر بحى الدقى . . كانت تعيش سيدة بائسة مع طفلها الوحيد الذى رزقت منه بعد خمس سنوات ، من الزوج الثالث والأخير . . الذى أخرج لها بآخر ما تبقى عندها من قروش فيلما ساقطا . . ولا يكاد جيرانها يعلمون شيئًا عنها أكثر من أنها تخرج فى الصباح وتعود فى نفس المواعيد التى يعود فيها الموظفون إلى بيوتهم . . هكذا كانت تعيش حكمت فهمى . . فى نفس الڤيلا التى اشترتها منذ سنوات من خالتها السيدة عزيزة أمير . . بثلاثة آلاف جنيه »[1] .

ويضيف جليل البندارى أن حكمت فهمى تزوجت من ثلاثة رجال . وكانت تحتفظ بصورهم معلقة فوق جدران ڤيلا الذكريات . . الزوج الأول كان مليونيراً من البرازيل ، تعرفت به على ظهر باخرة ، ورقصت معه رقصة واحدة . . ثم دعاها إلى العشاء ، وعرض عليها الزواج فى كلمة ونصف . . فوافقت فى الحال . . وعرفت أنه يدير مصانع البن التى يملكها والده ، وأن ثروته بمفرده تبلغ عدة ملايين . . ولكنه كان مسيحياً . . وافترق الاثنان ، فنزلت فى إحدى الموانىء وواصل هو رحلته إلى البرازيل .

---

(١) راقصات مصر - كتاب اليوم - جليل البندارى . .

وبعد سنة ونصف التقت به مرة أخرى فى كازينو كوبرى الجلاء . . وفى هذه المرة أصر على الزواج منها وشهر إسلامه فى المحكمة الشرعية بعد أن اختار لنفسه اسما جديداً هو « محمد أنور » ثم قرر الإقامة فى مصر وأخذ يعد نفسه لافتتاح مصنع كبير للبن البرازيلى فى القاهرة . .

وبعد ستة أشهر كان نبأ الزواج قد وصل أباه فى البرازيل . . فأرسل إلى المفوضية يطلب فسخ هذا الزواج ، وبالفعل تدخلت القنصلية ، وقبلت حكمت فهمى الطلاق بعدها ودفع لها خمسة آلاف جنيه هى قيمة مؤخر الصداق . . والزوج الثانى كان ضابطا برتبة ملازم أول بسلاح الطيران الملكى وهذا الزواج لم يدم طويلا . . والغريب أنه عقب طلاقها وكما يقول جليل البندارى هذه المرة تم اعتقالها مباشرة . . وبعد خروجها من السجن التقت بزوجها الثالث المخرج محمد عبد الجواد عندما أرادت أن تستعيد مجدها الفنى . . ولكن دون جدوى . . فلم تفز إلا بالزوج الثالث .

والملحوظة الهامة التى يجب الإشارة إليها فى هذا السياق . . أنه وبالرجوع حتى لأوراقها الخاصة لم نعثر على أية معلومات أخرى يمكن أن تقرب إلينا ملامح حياتها أكثر من ذلك ، اللهم إلا بعض اللقطات التى نتبين منها خصوصية علاقتها بأمها التى عاشت إلى جوارها لفترة طويلة . . وكان لها الدور العظيم فى التخفيف عنها وعن مشاكلها وأزماتها . . وقد سجلت حكمت فهمى صورة حية يمكن من إعادة قراءتها الوقوف على عمق ذلك الحب الكبير الذى كانت تكنه لأمها ، فنراها تقول فى مذكراتها : « فى الصباح تحقق جانب من أحلامى المزعجة . . حيث استيقظت ومعى بقية من

المعتقلين على أصوات صراخ وعويل وبكاء ونحيب على باب السجن . . اندفع الجميع إلى نوافذ حجراتهم يستطلعون الأمر ، وقد ظن بعضهم أن الإنجليز أحضروا مجموعة من السيدات إلى المعتقل ، وأنهم يعتدون عليهم بالضرب فى محاولة تعذيب . .

حدثت جلبة قوية داخل السجن وخارجه . . دار نقاش مرتفع . . تكاثرت الاستفسارات ، ولما كانت غرفتى تطل على حى القللى وليس لها نافذة تطل على الشارع الذى يقع فيه باب السجن فكنت أجرى فى غرفتى منفعلة ذهابا وإيابا كحيوان حبيس يبحث عن مخرج بلا جدوى . .

ناديت . . كررت ندائى . . ثم عدت أنادى كل من أعرفهم من المساجين . . ثم عرفت السبب . . لقد حضرت والدتى ومعها كفنى فى سبت تحمله على رأسها وسط جمع من بقية أسرتى جاءوا ليتسلموا جثتى من السجن بعد أن كتب رجل المسرح زكى طليمات فى مجلة آخر ساعة . . أن الإنجليز أصدروا حكمهم على ، ويقضى بسجنى عشرين عاما . . هكذا جاءت أمى الطيبة مع بقية المشيعين من أسرتى - بعد مكالمة تليفونية من عابث ساخر أكد لهم ما جاء بالمقالة المنشورة فى المجلة - لاستلام جثتى إلى مقرها الأخير[٢] .

وفى لقطة أخرى من تلك المذكرات أكدت لنا حكمت فهمى مدى عمق حبها لأمها فقالت : « أخيراً انتهت رحلة الهروب ، عندما تألقت الإسكندرية على البعد ، فكانت هى إشارة بقرب الوصول إلى أرض الوطن ، وإعلان النهاية لرحلة الهروب المفاجئة . . رست السفينة بالميناء . .

---

(٢) مذكرات حكمت فهمى - إعداد حسين عيد .

هنأ كل منا الآخر بسلامة الوصول ، رحت أنقب بين جموع المستقبلين والمودعين عن الوجه الذى طالما اشتقت إليه وعايشته أعوامًا طويلة . . كان فى خيالى فى البعد والقرب . . وجه أمى الحبيب . . وجدتها هى الأخرى تبحث عنى . . اندفعت إليها اندفاعة شوق لرؤيتها ، لاحتضانها بعد فراق شهور . . ارتميت بين أحضانها فجأة أحط عليها إرهاقى لطول فترة الانتظار . .

وانطلقت أصرخ « أفيقى يا أمى الحبيبة » . . فعلى صدرك الحنون شعرت بدفء الحب يغمرنى ، وحنانك الكبير أنسانا مصابنا الكبير فى فقد أبى ، كم تحملت من أجلى ومن أجل إخوتى الثلاثة . . كم قاسيت ، خاصة عندما تحديت عمى القاسى . . الذى بدد أموالنا وأخذ يسومنا سوء العذاب فقررت الصمود لتربيتنا بلا معين إلا الله »[٣] . .

* * *

وبعد عودة الفنانة حكمت فهمى من رحلتها الفنية هربا من ويلات الحرب العالمية الثانية التى نشبت أثناء تواجدها فى مدينة فيينا . . بدأت تستعد لأخذ مكانتها الفنية من جديد كراقصة أولى فى مصر . . لذلك نراها وقد استجابت بسرعة للدعوة التى وجدتها فى انتظارها على رصيف ميناء الإسكندرية . . وقد صورت لنا ذلك بقولها : « كانت هناك سيارة بانتظارى خارج الجمرك . . وجدت بجانب السائق « أصلان عفيفى » مدير أكبر مكتب فى القاهرة للتعاقد مع الراقصات من الخارج . . هنأنى بسلامة الوصول . .

---

(٣) المصدر السابق .

استقر بنا المقام بالسيارة . . بعد برهة قال لى « عفيفى » معى عقد لك فى أعظم محل . . فى « الكونتنتال » . . وسوف تكونين المصرية الأولى التى تحظى بالعمل فى هذا الفندق العظيم . . إن إدارة الفندق قد قرأت عنك ما نشر فى جميع العواصم الأجنبية التى عملت بها وما حققت من نجاح عظيم » . .

وكان قبولها لهذا العرض بمثابة البداية الساخنة لتواجدها من جديد فوق أرض مصر . . ذلك التواجد الذى امتزج فى فترة الحرب الثانية بالفن والسياسة فى آن واحد . وذلك من قبل اختيارها طريق التجسس ضد الإنجليز لصالح الألمان . . ولصالح مصر أيضًا . .

وقد عبرت حكمت فهمى فى أوراقها الخاصة عن تلك البداية الساخنة بقولها : « كانت هذه الليلة منارًا حدد مسارى فى الحياة فبدأت المسير بخطوات ثابتة على الدرب المرسوم . . فى نفس الليلة كنت أخطو فوق سطح الفندق ، الوقت يشير للعاشرة . . الملهى ممتلىء بالشخصيات البارزة من أجانب ومصريين ، بعضهم يزهون فى زيهم العسكرى والآخرون يتأنقون فى لباس مدنى . . لقد اتفق الجميع على شىء واحد هو المرح والإصرار على الشراب والرقص حتى الصباح » . .

وهناك سؤال له أهمية خاصة . . وقد فُرضت علينا كلماته فى هذا السياق رغم المحاولات العديدة التهرب منه وهو يرتبط ارتباطا مباشرا بعودة حكمت فهمى إلى مصر مع بداية الحرب العالمية الثانية . . وهل كان قرار القوات الألمانية بتجنيدها للعمل معها ضد بريطانيا قد تم

اتخـاذه أثنـاء وجـودها فى ألمـانيا بعـد أن رقصت أمـام هتلر ؟ أم أن ذلك القـرار كـان وليـد اللحظـة . . وبالتـالى تم اتخـاذه فى القـاهرة وبعـد عودتهـا ؟ . .

وبدون الدخـول فى تفـاصيل قـد تؤدى بنا إلى أى خـلاف نوضح : أن الشـواهد التى سـوف نلقى الأضـواء عليهـا سـوف تؤكـد كلهـا أن رجـال المخابرات الألمان قد فكروا بالفعل فى الاستعانة بتلك الراقصة للعمل معهم ضد الإنجليز وهى موجودة فى ألمانيا ، لذلك ليس من المستبعد أنهم كانوا وراء قرار مدير فندق الكونتننتال باختيارها دون غيرها من راقصات مصر المشـهورات فى تلك الفتـرة . . للعـمل فى هذا المكان ذى الخصـوصيـة . . باعتباره كان محط أنظار الكثير من رجال العسكرية البريطانية . .

ولدينا دليل قوى يؤكد ما توصلنا إليه . . هذا الدليل يتمثل فى محاولة رجال المخابرات الألمانية الدس بعميلهم « هانزابلر » المعروف باسم حسين جعفر فى طريق حكمت فهمى أثناء وجودها فى مدينة ڤيينا . . ثم متابعة ذلك الرجل لرحلة حكمت فهمى ووصوله إلى القاهرة لمتابعة تنفيذ اللعبة وبالتالى العمل على تجنيدها ! .

ولاشك أن الطريق كان ممهدًا أمام ذلك العميل لتنفيذ تلك الخطوة . . خاصة وأن حكمت فهمى كانت تكره الإنجليز لاحتلالهم مصر كما كانت فى الوقت نفسه تتمنى لقاء الشاب بعدما أحبته . . هناك ! .

وابتداء من عام ١٩٣٩ . . استقرت حكمت فهمى فى القاهرة وعادت من جديد إلى عالم الشهرة . . وإلى فن الرقص الذى كانت تعشقه على حد قولها : . . يا إلهى . . كنت أطرق أبواب عالمى الحبيب . . عالم الرقص والطرب كم كنت مغرمة بهذا العالم الرائع الخلاب » .

وعلى ذلك يمكن القول بأن مهمة حكمت فهمى السياسية . . والتى امتزجت بالوطنية . . بدأت تتدفق كنهر جار بقوة مع مطلع عام ١٩٤٠ . . رغم مشاغلها الفنية وتألقها الكبير فى عالم هز الوسط الفنى . .

* * *

ولاشك أن الحديث عن رحلة حكمت فهمى فى الملعب السياسى . . كرافد من روافد حياتها السابق الإفصاح عنه . كان يقتضى من الباحث تقسيمه إلى عدة محاور يمكن من خلالها بيان الخطوط العريضة للأحداث التى أخذتها من يدها ومن « وسطها » للوقوف أمام بوابة التاريخ المصرى . .

هذه المحاور . . لا تخرج أبدًا عن ثلاثة : الأول : ارتبط بأحاسيسها الوطنية المبكرة كامرأة مصرية عاشت فترة احتلال بغيض . . وكانت ترى فى استمراره مساسا بكرامة الإنسان المصرى بصرف النظر عن النوع . . والمحور الثانى : وقد شهد تورطها فى قضية تجسس خطيرة كادت تودى بحياتها . . لارتباطها بأحداث الحرب العالمية الثانية . . وقد عرفت تلك القضية فى الأوساط ودوائر التاريخ العالمية باسم عملية « كوندور » . وكان دافعها الحقيقى للتورط فى مثل هذه القضية الخطيرة . . زيادة جرعة الوطنية داخل قلبها . . ثم يأتى فى هذا السياق الحديث عن المحور الثالث : والذى تتعلق أحداثه فى المقام الأول باقترابها من بعض الزعماء السياسيين ورجال الوطنية المصرية فى ذلك الوقت . . الذين ساهموا بقوة فى دفع عجلة التاريخ إلى الأمام . . وكان على رأسهم السادات وعزيز المصرى وآخرون .

وعلى أية حال . . وكما سوف نلاحظ . . كان هناك نوع من التمازج بين تلك المحاور الثلاثة بما لا نستطيع أن نحدد بدايات أو نهايات لكل محور على حدة . . لكن المهم أن تلك المحاور الثلاثة . . صبت كلها فى رافد واحد . . كان اتجاهه ناحية تاريخ مصر الحديث الذى سجل دور حكمت فهمى فى أوراقه . . ولن نغالى حين نقول : إن ذلك الدور . . كان يجب أن يفرض علينا احتفالا سنويا بذكراها . . مثل غيرها من أبطال مصر من الوطنيين . . إنها فقط مازالت فى حاجة إلى شىء من الإنصاف . .

أما بالنسبة للحديث عن المحور الأول . . والذى ارتبط بأحاسيس حكمت فهمى الوطنية . . فقد سجلت لنا العديد من تلك الأحاسيس وحكت لنا . . وكيف نمت بداخلها حتى تحولت على مدار الزمن إلى قنبلة موقوته كادت تحرق أصابعها . .

لقد كانت وهى طفلة صغيرة . . لا تزال تعيش فى مدينة المنيا متأثرة بأوضاع مصر التى كانت تئن آنذاك تحت الاحتلال البريطانى . . « وكان فى خيالى حادث قديم عندما كنت فى هذه السن الصغيرة ، أسير فى طريقى ، وجدت نفسى فجأة وسط مظاهرة وطنية يطاردها جنود الإنجليز لم أستطع الجرى . . سقطت على الأرض وأحد الكونستبلات ينهال على ضربا بالكرباج لينتقم من المتظاهرين الفارين . . أغمى على من شدة الضرب . . انبثق الدم من فمى وسال . . أفقت من إغمائى فى المستشفى . . ومنذ ذلك اليوم أضمرت للإنجليز كراهية لا حد لها » . .

وإلى جانب ذلك الموقف العنيف الذى عايشته حكمت فهمى فى طفولتها كان هناك فى حياتها موقف مشابه آخر . . عايشته وهى فى قمة

تألقها الفنى . . الأمر الذى زود بداخلها مكنون الكراهية الدفين للإنجليز . . وكان ذاك هو حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ . . عندما صحبها أحد العسكريين الإنجليز لمشاهدة حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين فى ذلك الوقت . .

وهى تحكى لنا أيضًا جانبًا من هذا الموقف بقولها : « لقد خيم علينا الصمت . . الشوارع التى تطرقها السيارة التى كنت أركبها خالية من المارة . . وأكثر الملاهى يسودها الكساد . . توقفت بنا السيارة فى شارع حسن الأكبر ، ولم يكن ممكنا أن تستمر أكثر من ذلك . . فالدبابات تحاصر القصر مصوبة مدافعها إليه استعداداً لتدميره عند اعطاء الأمر . . إننى بعد فترة وبعد خروج السفير البريطانى من القصر لم أعد أحتمل هذه المشاهد . . فطلبت من « سمبسون » أن نعود للملهى ورجعناها ماشيين ، وفى أعماقى كان شىء عظيم يتأكد . . فعلى هذه الأرض الطيبة عشنا ومن خيرها وتحت سمائها اشتهرت ، فلها دين فى عنقى ، فكما أحب دائما أن أكون حرة فى تصرفاتى . . أتمنى أن تتحرر مصر كذلك ، وسأعمل على ذلك . وكان عهداً أخذته على نفسى[٤] . .

لقد كانت الفنانة حكمت فهمى آنذاك مهيأة بالفعل للقيام بأى عمل بطولى تساهم من خلاله فى التعبير عن مشاعرها الوطنية التى لم تستطع أن تنساها وسط تألقها الفنى وارتباطها حتى بالعمل وسط الأجانب سواء من العسكريين الإنجليز أو الألمان . . لذلك نجدها قد دخلت وبقوة فى اتجاه أحداث المحور الثانى الذى يمثل أهم روافد حياتها السياسية . . حين قبلت العمل فى شبكة التجسس الألمانية للانتقام من البريطانيين وتواجدهم فى مصر .

---

(٤) مذكرات حكمت فهمى - المصدر السابق .

ومـا نريد التنويه عنه فى بداية الحـديث عن ذلك المحـور . . أنه يوجـد خلاف كبيـر بين العديد من المؤرخين حـول نقطتين هامتين : النقطة الأولى خاصة بتوصيف الدور الذى لعبته حكمت فهمى . . وهل يدخل ضمن أعمال التجسس الخالصة والمصبوغ بصبغة الخيانة . . أم أن ما قامت به فى الأصـل هو عمـل وطنـى ، يمكن أن ندرجه ضـمن الأعمـال السيـاسيـة الراقيـة ؟!

وهذه قضية شائكة رغم أهميتها والنقاش فيها قد يطول بلا نتائج . . لكننا فى الوقت نفسه نستطيع حسمها لصالح حكمت فهمى عندما نقول : إن اتهام حكمت فهمى بالتجسس كان لا أساس له من الصحة رغم وجود ذلك الاتهـام فى الواقـع . . وأيضًا فى الأوراق . . لأننا وكمـا سبق وتحدثنا يجب أن ننظر إلى قضايا التجسس من خلال الهدف والنتائج . . هذه واحدة أما الثانية فإن الذين يتمسكون بوجهة نظر اتهامها بالتجسس . . نوجه إليهم سؤالا واحدًا ربما يحسم تلك القضية . . وهل يمكن اعتبار السادات فى هذا السياق هو الآخر جاسوسا ؟ . . وأما الثالثة والحاسمة فتقول من خلالها أن تهمة التجسس رغم اعتراف حكمت فهمى بها فى مذكراتها فإن تلك التهمة لم تثبت عليها فى حينها . . وإلا لكانت وقتها من المعلقين فى مشانق الميادين العامة أو على الأقل قد ماتت فى السجن . .

من ذلك كله نخلص إلى الرأى المعتـدل الذى يعتبـر تلك الفنانة امرأة وطنيـة من الدرجة الأولى . . وقـد دفعـهـا حبـهـا لوطنهـا إلى التعـاون مع الشيطان للتخلص من أعداء الوطن . . ولم يكن أمامها من سبيل سوى هز وسطها السياسى حتى ولو كان داخل شبكة تجسس . .

وعلى أية حال . . فبقليل من الصبر . . خاصة عند كشف النقاب عن تفاصيل قضية التجسس المعروفة باسم « عملية كوندور » والتى تورط فيها بخلاف حكمت فهمى كل من أنور السادات وحسن عزت وعبد الغنى سعيد وعزيز المصرى - يمكن أن تجيب لنا بالمزيد من التفاصيل عن أصول وأهداف ونتائج هذه العملية . . ومن حقنا بعدها نتساءل : وهل كانت حكمت فهمى بالفعل جاسوسة . . أم امرأة وطنية ؟ . .

أما نقطة الخلاف الثانية والهامة . . فتتعلق بتفاصيل قضية التجسس نفسها ودور كل من السادات وحسن عزت ورفاقه فى تلك القضية . . ومن كان سبيلهم للتعرف على الراقصة حكمت فهمى ؟! .

والملاحظة الواجب الإشارة إليها أن هوة الخلاف بين هؤلاء المؤرخين بدأت تضيق بشكل ملحوظ عندما تحدثوا عن البداية الحقيقية لمحاولات المخابرات الألمانية الدخول إلى القاهرة وزرع عيون لها بهدف التجسس على القوات البريطانية المشاركة فى الحرب العالمية الثانية وتجنيد حكمت فهمى . .

لذلك نستطيع أن نقول وفقا لما ذكره معظم هؤلاء المؤرخين أن قضية تورط حكمت فهمى فى قضية التجسس مرت بمرحلتين الأولى أطلق عليها « مرحلة السلام » . . والتى وصل خلالها الجاسوسان الألمانيان إلى مصر بطريق الصحراء بعدما تم الكشف عن اتصالات الألمان بالفريق عزيز المصرى لتحقيق نفس الغرض .

أما المرحلة الثانية . . فقد شهدت انضمام الفنانة حكمت فهمى للجاسوسين عندما وصلا إلى القاهرة فى مطلع عام ١٩٤٢ . . وهى ما أطلق عليها مرحلة أو عملية « كوندور » . .

ويشكل عام فقد تميزت المرحلة الثانية بحدوث المواجهة الساخنة بين رجل المخابرات البريطانى مستر « سامبسون » وبين رجال المخابرات الألمانية بالاشتراك مع حكمت فهمى . وقد سبقتها على الأقل تلك المحاولات التى تمت خارج مصر خاصة فى مدينة فيينا للإيقاع بها بعد دس الجاسوس « هانز أبلر » فى حياتها مستتراً تحت اسم عربى مستعار هو « حسين جعفر » . .

ولقد تبلور الموقف النهائى لحركة المخابرات الألمانية تجاه القاهرة مع مطلع عام ١٩٤١ وذلك بالعمل على تجهيز عملائهم لدخول تلك المدينة التى كان يحتلها الإنجليز والبحث عن وسيلة لإدخالهما بطريق شرعى وغير مراقب . . وقد نجحوا فى تلك المهمة نجاحا باهرا بدليل أن رحلة «هانزأبلر» وزميله إلى القاهرة عن طريق الصحراء لم تستغرق سوى ثلاثة أشهر فقط . وبعدها تم الاتصال بالفنانة حكمت فهمى الناقمة على الاحتلال الإنجليزى والتى كانت تميل بفكرها إلى أفكار هتلر بحكم ذلك العداء . . وكذلك الاتصال برجال الفريق عزيز المصرى . . رجل ألمانيا الأول فى مصر آنذاك - والذى كان على رأسهم اليوزباشى أنور السادات وزميله الطيار حسن عزت . .

كما أثبتت الأحداث أن كل خيوط اللعبة السياسية تجمعت بشكل نهائى مع مطلع عام ١٩٤٢ عند وصول جهاز اللاسلكى الذى كان من المقرر استخدامه فى توصيل المعلومات المطلوبة ، ثم إبلاغ كل من السادات وزملائه بوجود ذلك الجهاز فى عوامة حكمت فهمى كبداية ساخنة للتعاون مع المخابرات الألمانية . .

والشىء المؤكد فى هذه القصة أن عزيز المصرى ورجاله لم يكونوا بعيدين عن أماكن تجمع تلك الخيوط . . بل كانوا بالفعل على علم بكل تفاصيلها

بدليل قبول السادات التعاون مع حكمت فهمى . . وبالتالى التعاون مع الجاسوسين الألمانيين . . وكان المصير فى النهاية واحد حيث تم إلقاء القبض على هؤلاء وإيداعهم سجن الأجانب . . بعد كشف النقاب عن تفاصيل العملية كلها .

وذكرت العديد من المصادر التاريخية عن قصة حياة الجاسوس الألمانى « هانز ابلر » الذى وقع فى غرام الفنانة حكمت فهمى عندما تعرف عليها فى مدينة فيينا . . باعتباره مواطنا مصريا . . وأنه ولد فى مدينة الإسكندرية عام ١٩١٤ وسجلته أمه فى القنصلية الألمانية كطفل ألمانى . . ولكنها بعد أن تعرفت على المحامى صالح جعفر وتزوجته . . وعاشت معه فى مصر ضم إليه ذلك الابن . . لذلك اختار له اسما عربيا . . فأطلق عليه حسين جعفر . . وتعلم اللغة العربية كما تعلم اللغة الإنجليزية فى المدارس المصرية حتى أنه بعد تخرجه أصبح يتقن ثلاث لغات . . ثم أنجبت الأم أخاً أصغر لذلك الجاسوس من الأب المصرى صالح جعفر هو حسن جعفر . . وبعد فترة طويلة . . تدرج ذلك الأب « صالح جعفر » فى المناصب القضائية حتى عين قاضيا فى المحاكم المختلطة .

وقد اختلف المؤرخون أيضاً فى تحديد أصل ونسب الجاسوس الألمانى « هانز أبلر » بطل قضية التجسس . . فمنهم من رأى أنه ولد فى مقاطعة السار الألمانية وكبر فى ظل الاحتلال البريطانى لها . . وقد سافر إلى مصر مع أمه بعد أن تزوجت من صالح جعفر . . ومنهم من رأى خلاف ذلك . . أن ذلك الجاسوس ولد من أب انجليزى تزوجته أمه فى ألمانيا . . وقد عاش معها فى كنف زوجها المحامى المصرى الذى اختار له اسم « حسين جعفر » .

ولاشك أن الحديث بمزيد من التفاصيل عن بطل قضية « كوندور » . .

يعد مدخلا مثيرا لاستكمال بقية حكاية حكمت فهمى وقضية التجسس . . وبالتالى إلقاء المزيد من الأضواء المبهرة على أبطالها المصريين الذين كان دافعهم الأول والأخير حب مصر . . والعمل على تخليصها من هوان الاحتلال البريطانى . .

وعلى الرغم من اختلاف العديد من المؤرخين فى رواية تفاصيل تلك القضية إلا أننا نعتمد فى المقام الأول فيما نرويه على ما سجلته حكمت فهمى فى مذكراتها عن تلك التفاصيل والتى نبدأها بالحديث عن الظروف التى قابلت خلالها « هانز أبلر » فى مدينة فيينا . .

قالت حكمت فهمى : « بدأت هذه الأحداث الغريبة فى فيينا عاصمة النمسا حيث كنت أرقص فى ملهى « الفيمنا » أكبر ملاهى فيينا بعد رحلة فنية استمرت لمدة ثمانية أشهر بادئة من « بودابست » بالقطار ثم متنقلة بين مجموعة من الأقطار مثل رومانيا وتركيا لاستقر فى النهاية فى النمسا . .

لقد كان الوقت والتاريخ آنذاك فى مارس عام ١٩٣٨ . . وفى نفس اليوم التقيت مع شاب ظل يطاردنى بعربته يومين متتالين وهو يخاطبنى باللغة العربية مقدما نفسه لى على أنه طالب مصرى يدرس بألمانيا . . ثم دعانى لتناول الغداء بملهى « الفيمنا » . . فقبلت دعوته بعد تردد . .

لقد كان وسيما جذابا تكسو بشرته تلك الألوان الخمرية من تأثير حرارة شمس بلادنا . . كما كان لبقا شيق الحديث . . إلا أن غموضا مبهما كان يغلف شخصيته فكنت لا أستطيع الجزم بأنى عرفته خلال هذا اللقاء القصير الذى لم يبق منه فى الذاكرة عدا صوته العذب ، وهو ينساب خلال نغمات إحدى سيمفونيات شوبان الهامة الرائعة . وافترقنا وسط العبارات الرقيقة بعد أن وعدنى بالحضور إلى محل عملى فى أمسية اليوم التالى » . .

ولم يحضر ذلك الفتى . . بل اختفى فى ظروف غامضة على إثر اجتياح هتلر لأراضى النمسا . . الأمر الذى عجل بهروب حكمت فهمى من تلك المدينة مخلفة وراءها ذلك الذى وقعت فى هواه من أول نظرة . . ولم تكن تعلم أن ذلك الشاب هو الألمانى « هانز أبلر » الذى نجحت قيادته فيما بعد فى زرعه فى جسد مدينة القاهرة عن طريق الصحراء . . والذى حين وصل إلى تلك المدينة الصاخبة أوائل عام ١٩٤٢ . . بدأ يبحث هو بنفسه عن محبوبته الفاتنة . . لا لكى يكمل معها قصة الحب التى بدأها هناك على أرض النمسا . . وإنما لكى يكمل معها مشوار حياته فى سلك التجسس . .

* * *

وبترتيب مسبق من المخابرات الألمانية . . التى كان هدفها الإيقاع بتلك الفنانة . . تم اختيار حكمت فهمى لتكون أول راقصة مصرية تعمل فى فندق « الكونتنتال » أشهر فنادق القاهرة فى ذلك الوقت . . وفى الفندق ذاته تم ترتيب المقابلة الثانية بين « هانز أبلر » وبين حكمت فهمى لاستكمال ذلك المشوار خاصة بعدما طلب القائد الألمانى روميل من قيادة المخابرات الألمانية تقريراً مفصلاً عن العدو البريطانى المشارك فى الحرب العالمية الثانية ودرجة استعداده . . وبعناد روميل المعتاد أصر على تنفيذ طلباته ، وبعد تجارب المخابرات الألمانية الفاشلة فى عملية « عزيز المصرى » ومحاولة رجلهم « ريتر » لنقل جواسيسه إلى القاهرة استقر الرأى على دخول أبلر وزميله إلى القاهرة بالطريق البرى خلال الصحراء . .

وتعترف حكمت فهمى نفسها فى مذكراتها أن مقابلتها الثانية مع حسين جعفر « هانز أبلر » كانت مقابلة مدبرة بكل المقاييس . . هذه المقابلة التى كانت البداية الساخنة للتعاون المباشر مع المخابرات الألمانية ضد قوات الاحتلال البريطانى فى مصر . .

وقد أسفر ذلك التعاون عن تنفيذ العديد من المهام الخطيرة . . التى كان يسعى إلى تحقيقها الجانب الألمانى . . ولا شك أن ذلك يتضح بشكل كبير فى قول المؤرخ البريطانى « بول كارل » فى كتابه « ثعالب الصحراء » : « لقد كان العميل الأول فى نقل الأخبار هى أشهر راقصة فى مصر حكمت فهمى ، فعلاقاتها الطيبة مع الضباط الإنجليز قد مكنتها من الحصول على معلومات خطيرة للغاية ، إن الراقصة المحبوبة جدًا كانت تكره الإنجليز وعلى استعداد للقيام بأى عمل من أعمال التخريب ضد العدو ، عدو وطنها . . لقد أخبرت حكمت « هانز أبلر » عن انتقال عناصر من الجيش البريطانى من سوريا وفلسطين إلى مصر ، كما أخبرت الجاسوسين عن وصول مائة أُلف جندى إلى جبهة العلمين ، وذلك حين قررت بريطانيا إقامة خطها الدفاعى المحصن فى هذه المنطقة » . .

وتدخلت بعض الظروف المعاكسة . . فساعدت على الكشف سريعًا عن دور حكمت فهمى ورفاقها . . عند إلقاء القبض على الجاسوسين الألمانيين . . ومن ثم تم إلقاء القبض عليها وإيداعها فى سجن الأجانب مع كل من أنور السادات وحسن عزت والفريق عزيز المصرى . . وبعض المتعاونين الآخرين من المصريين مع الألمان .

ويرى الناقد الصحفى جليل البندارى أن قصة هذه الفنانة بدأت مع التجسس من نهايتها ، وذلك عندما تقدم إليها اللواء محمد إبراهيم بك رئيس القسم السياسى . . فى إحدىٰ ليالى الصيف عندما كانت ترتدى فستان السهرة . . فأمرها بأخذ معطفها ، وكانت فى انتظارها سيارة بها بعض الجنود . . وبعد ربع ساعة عرفت حكمت فهمى أنها نزلت ضيفة على سجن الأجانب بسبب علاقتها مع الجاسوسين الألمانيين . .

ويقول أنور السادات فى كتابه « أسرار الثورة المصرية » عن دوره فى قضية التجسس وكيف قبض عليه : « قبض البوليس على أبلر وساندى يوم الأحد ، ومر بى يوم الاثنين وأنا أحاول أن أعرف إن كانت صلتى بهما قد اكتشفت أم لا ؟ فعلى الإجابة على هذا السؤال يتوقف مصيرى كضابط بالجيش المصرى وكمصرى حريص على حياته طليقا كما يعيش المصريون . . ولم أكن أتوقع أن يقبض على سريعا ، فقد كنت أرجح أن المخابرات البريطانية وإن كانت قد كشفت صلتى بالجاسوسين الألمانيين ، فهى لابد أن تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت . . كان هذا اعتقادى . . ولكننى فوجئت يوم الثلاثاء التالى ، أى بعد يومين اثنين من القبض على الجاسوسين بالقبض على وعلى زميلى حسن عزت » . .

وقد تم ترحيل السادات وزميله إلى سجن الأجانب . . لكى ينضم إلى بقية زملائه . . حكمت فهمى وعزيز المصرى . . وبعد فترة من التحقيقات مع كل هؤلاء تم الإفراج عن السادات وإجباره على ترك الخدمة العسكرية . . وكذلك عزيز المصرى . . أما حكمت فهمى فقد ظلت بالسجن قرابة عامين ونصف . .

* * *

ويتبقى لنا من حديث الفن والسياسة فى حياة هذه الراقصة . . إلقاء بعض الأضواء المبهرة على أشهر علاقاتها السياسية . . حتى نكمل حلقة وجودها داخل الشارع السياسى ، ويبدو أن تلك العلاقات قد توطدت مع العديد من الزعماء السياسيين آنذاك . . سواء بحكم موقعها الشهير فى عالم الرقص . . أو لعلاقتها ببعض رجال وشباب الأحزاب داخل سجن الأجانب . .

وعلى أية حال . . كان من أشهر من أقامت معهم علاقات من هؤلاء السياسيين كل من الزعيمين مصطفى النحاس ومكرم عبيد . . وتحكى لنا حكمت فهمى فى مذكراتها واقعة حية تؤكد لنا عمق تلك العلاقة . . فقالت : « وعندما ساءت حالتى تقرر نقلى إلى مستشفى الدمرداش للعلاج ، وفى ظلام تلك الليلة ، حضرت عربة إسعاف نقلت بواسطتها إلى المستشفى لأرقد فى إحدى حجراته وأنا أعانى من آثار إضرابى الذى استمر لمدة عشرة أيام . . وعلى باب الحجرة علقت لوحة مكتوب عليها : « على ذمة الحاكم العسكرى » . .

وبقيت فى المستشفى لفترة استرحت فيها بعض الشىء . . وفى خلال تلك الفترة اتصل بى شخص ما بخصوص مكرم عبيد الذى كان يتقلد وزارة المالية فى وزارة مصطفى النحاس ، ولما أقصى مكرم من الوزارة فى يوليو عام ١٩٤٢ بدأ يعد كتابه الأسود المشهور عن عيوب النحاس ومساوئه حتى يتمكن من كشف حقيقة أمره للسراى ولجماهير الشعب . .

قال هذ الشخص بعد مقدمة طالت قليلاً « إن مكرم يعتقد أن لديك معلومات دقيقة عن علاقة النحاس بالإنجليز . . وقد صمت ليرى إذا كنت

أتابع حديثه ثم استطرد : وأنه يريد الحصول على هذه المعلومات ليسجلها فى كتابه الأسود وقد رفضت رفضًا قاطعا . . وكم حاول الرجل إثنائى عن عزمى لكن دون جدوى ، فالقرار قد اتخذته ولا داعى للرجوع فيه . . ولم يكن قرارى عن اقتناع بقدر ما كان عن خوف من النّحاس بوصفه حاكما عسكريا يمكنه استمرار إلقائى فى السجن دون محاكمة » .

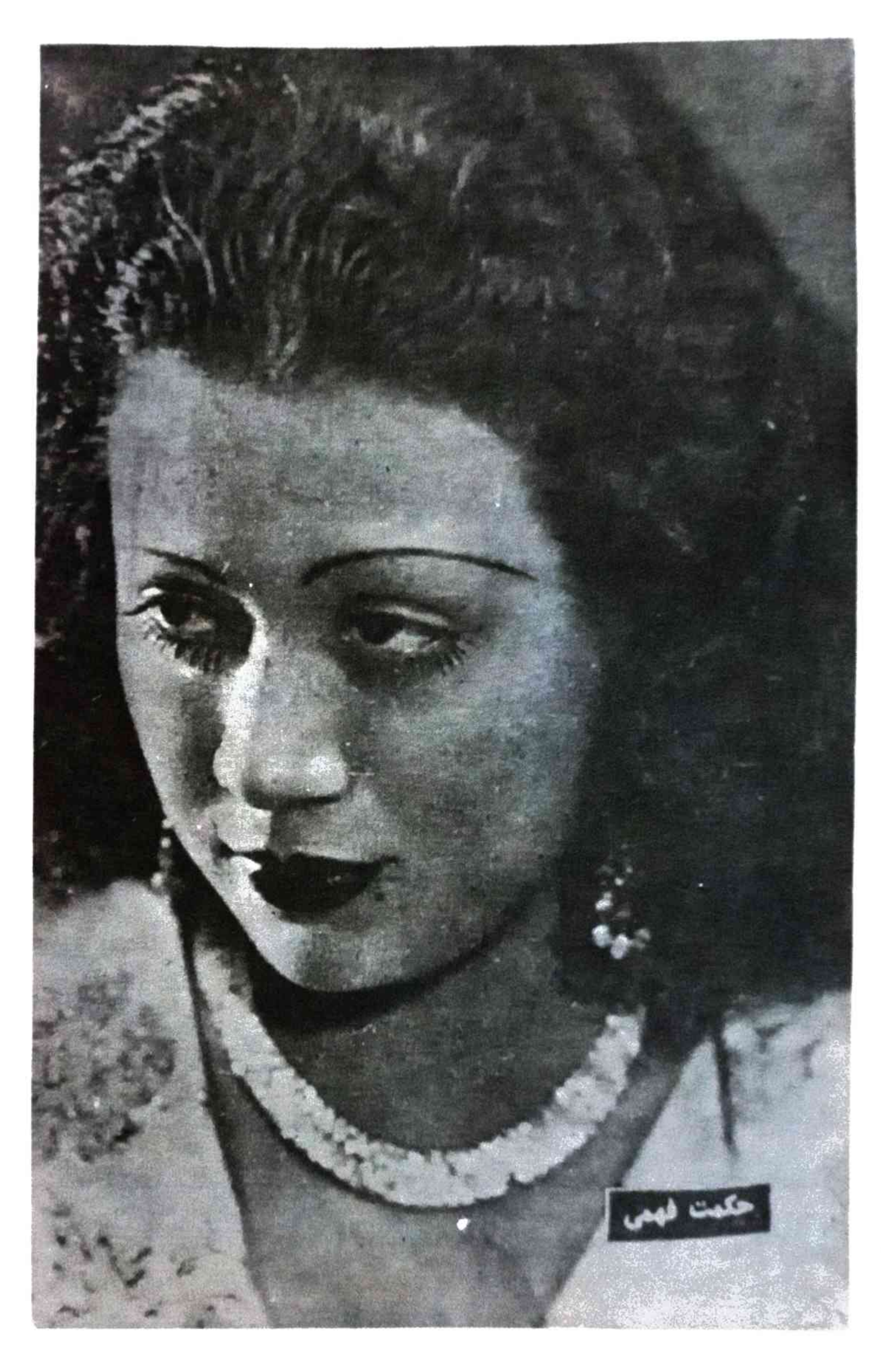
بخلاف ذلك . . أقامت حكمت فهمى العديد من العلاقات الوطيدة بين العشرات من شباب السياسيين المصريين أثناء تواجدها بسجن الأجانب . . وقد نشأت تلك العلاقات عندما تعرفت على هؤلاء وقد انضموا إليها فى إضرابها عن الطعام احتجاجا على سوء المعاملة بالسجن . . كما كان من بين هؤلاء أيضاً بعض رجال حزب مصر الفتاة . . وقد قالت عنهم : « فلم أكن وحدى أعانى هذه المحنة ، بل كان معى الكثير من المعتقلين السياسيين من حزب مصر الفتاة أمكننى التعرف عليهم والاندماج معهم . . وكثيرا ما كنا نناقش الوضع القائم والمحتمل معا » .

على أن أهم هؤلاء السياسيين ورجال العسكرية المصرية الذين التقت بهم حكمت فهمى وأقامت معهم علاقات كان الفريق عزيز المصرى . . الذى شاركها قضية التجسس والتعاون مع الألمان . . كما شاركها سجن الأجانب . . وتقول حكمت فهمى عن لقائها به « كما أمكننى التعرف بعزيز المصرى ، الرجل الوطنى ، والمكافح الثائر . . كانت صحته قد ساءت ، وبناء على التماس منه . . أمر مأمور السجن بأن يترك باب غرفته مفتوحا منذ ذلك اليوم على ألا يبارحها إلا فى أوقات بعينها » .

* * *

وبعد سنتين ونصف . . خرجت حكمت فهمى للحياة من جديد . . تبحث عن الأمل المفقود . . ولم يكن أمامها من طريق تحاول من خلاله نسيان تلك التجربة القاسية سوى محاولة العودة إلى الأضواء من جديد . . ولما فشلت فى ذلك . . لم يكن أمامها إلا أن تنزوى وابنها الصغير والوحيد فى أحد أركان الذكريات . . وذلك حتى رحلت فى منتصف عام ١٩٧٦ . . وقد ذكرها الرئيس السادات فى إحدى لقاءاته وأثنى على كفاحها الوطنى . . وكانت فرصة أن أهدته النسخة الوحيدة التى كانت بحوزتها من فيلم « المتشردة » أول وآخر أعمالها الفنية تمثيلاً ورقصاً وإنتاجاً . .

* * *



الراقصة « حكمت فهمى » فى شبابها . .

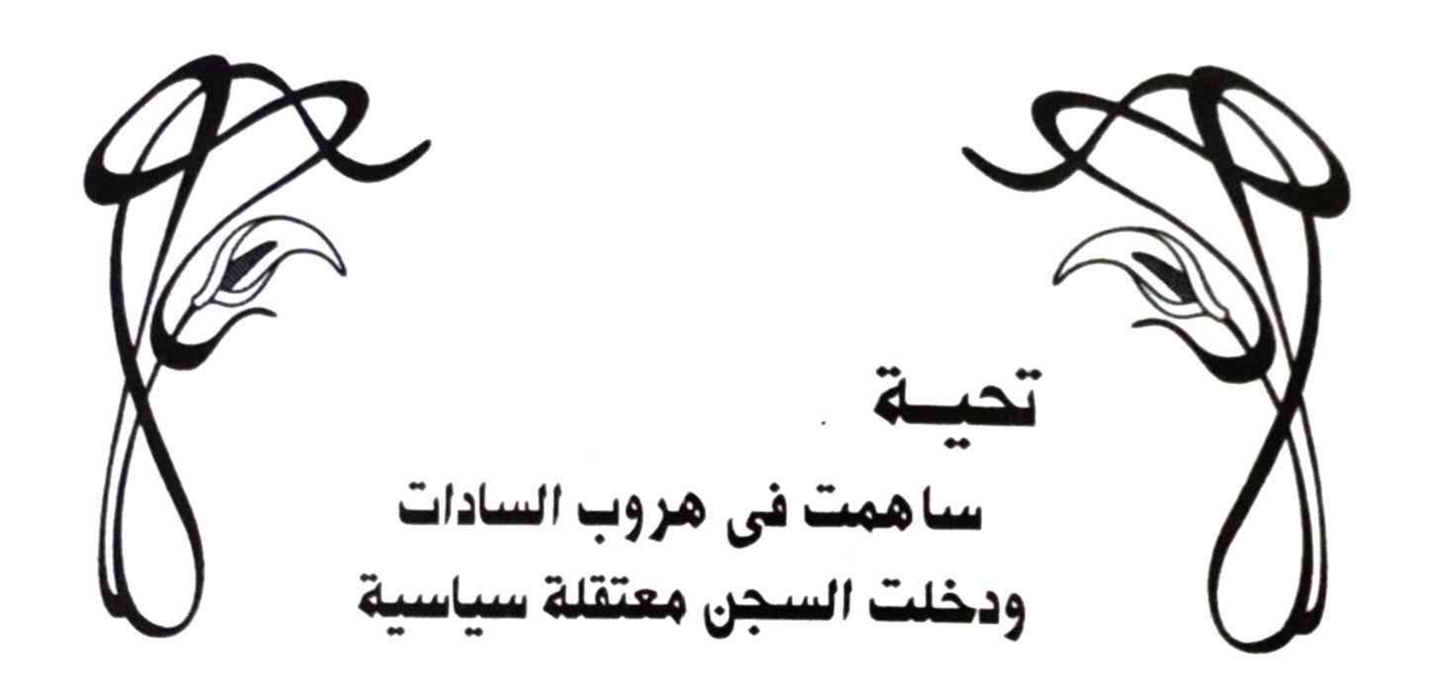


حكمت فهمى . . فى أيام المجد والسياسة



بعد أن ضاع المجد والفن والسياسة . . تضع يدها على رأسها . .

ترى فيم كانت تفكر ؟ !



تحيـة
ساهمت فى هروب السادات
ودخلت السجن معتقلة سياسية

يقول علماء النفس والاجتماع : إن الإنسان وليد بيئته يتأثر بها وتؤثر فى مكوناته . . وأيضاً فى سلوكياته حتى بعد طول العمر . . والفنانة القديرة الراقصة تحية كاريوكا - « بدوية أبو العلا » - لاشك ينطبق عليها ذلك القول . . لأنها عاشت وترعرعت فى منطقة قناة السويس . . تلك المنطقة التى شهدت أحداثاً سياسية ووطنية ساخنة . . ارتبطت إلى حد بعيد بالتواجد الأجنبى على أرض مصر .

وكان لابد لتلك الأحداث من التأثير السلبى أو الإيجابى على كيان فنانة مرهفة الحس مثل تحية كاريوكا . . ابنة مدينة الإسماعيلية التى ولدت بها وعاشت فوق أرضها حتى سن الرابعة عشرة .

ولم يكن من الضرورى أن يظهر تأثير هذه البيئة التى اتسمت بالنضال والمقاومة . . على الفتاة « بدوية » بين يوم وليلة . . ذلك لأنها عاشت فى بداية حياتها ظروفاً اجتماعية قاسية صرفتها إلى حين عن التفكير فى الانخراط فى سلك المقاومة والوطنية مثل بقية أبناء منطقة القناة . . ولكن

حين واتتها الفرصة وأصبحت فى مكانة اجتماعية تسمح لها بهذا الدور . . لم تتأخر . . بل على العكس سارعت بنفسها للانخراط فى سلك العمل الوطنى الذى كان جزءاً أساسياً من خطتها فى النزول إلى الشارع السياسى سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . . وساعدها على اتخاذ تلك الخطوة . . مكانتها الفنية كراقصة أولاً ثم ممثلة فى المسرح والسينما .

وقد تبلورت أهم أدوارها السياسية فى الارتباط بالعديد من الشخصيات المصرية التى لعبت هى الأخرى دوراً كبيراً فى تاريخ السياسة المصرية الحديثة . . من أمثال السادات والضابط مصطفى كمال صدقى وأيضاً جمال عبد الناصر . . أضف إلى ذلك إحساسها السياسى المبكر الذى دفعها إلى الأمام حتى وهى ما زالت تخطو فى الحياة الفنية خطواتها الأولى .

بل أكثر من ذلك كان ذلك الإحساس السياسى . . دافعها الحقيقى نحو تألقها فوق خشبة المسرح . . عندما اختارت المسرح السياسى طريقاً . . لكى تفرغ من وراء اهتمامها به الشحنة السياسية المتأججة بداخلها . . بعدما فشلت فى توظيفها على أرض الواقع . . بفعل النكسات والصدمات والعقبات . . وأيضاً مشاغلها الفنية المتعددة .

وبشكل عام وكما تقول سطور ذكريات تحية كاريوكا . . فقد عاشت ولا تزال تعيش أحداثاً سياسية ساخنة تبلورت أولاً فى أدوارها الوطنية . . ثم ارتباطها بالعديد من الشخصيات السياسية المرموقة . . ولا نغالى حين نقول : إن طريقها إلى تلك الأعمال . . قد اعتمد فى المقام الأول على شهرتها فى عالم هز الوسط السياسى .

كما لن نغالى حين نقول أيضاً إن تلك الفنانة قد حملت لواء الجهاد السياسى فى الشارع المصرى من بعد الفنانة « حكمت فهمى » . . مع اختلاف الأدوار وكذلك النتائج . . لذلك تعتبر فى هذا السياق الراقصة الثانية فى سلسلة راقصات هز الوسط السياسى فى تاريخ مصر الحديث .

والتاريخ الحافل بجلائل الأعمال الوطنية والسياسية لبعض راقصات مصر لخير دليل على صدق ما ذكرناه من قبل . . هذا التاريخ الذى سوف نستعرض بعض ملامحه بعد قليل سواء فى ميدان الفن أو داخل الملعب السياسى . . ولسوف تكون على قمة هذا التاريخ الفنانة الراقصة تحية كاريوكا . . التى سوف تحكى للتاريخ بنفسها عن أهم الأعمال وأهم البصمات الوطنية والسياسية التى سجلتها . . سواء بفن هز الوسط أو بفنها السينمائى أو المسرحى .

وما نود التنبيه إليه أن الفنانة تحية كاريوكا . . لم تُدْلِ لنا بأية تصريحات عن ذلك الدور ولا ربما لغيرنا . . اللهم إلا بعض اللقاءات الصحفية التى كانت تحكى فيها العديد من مشاهد حياتها فى السياسة والفن .

والغريب وكما سوف يمر علينا بعد قليل . . أن الفنانة « بدوية » قد عبرت فى كثير من هذه التصريحات الصحفية عن ندمها بسبب الانخراط فى سلك الفنون . . وكان من الممكن أن يصيبها ذلك الندم بشىء من القرف لولا اصطباغه بالعمل الوطنى أو السياسى الذى خفف عنها وطأة ذلك الندم .

وفى هذا السياق نذكر أيضاً . . أن آهات ذلك الندم قد تكررت كثيراً

حتى فى العديد من أحاديثها الصحفية . . خاصة فيما يتعلق بحياتها الشخصية والتى كان من أبرز ملامحها . . تكرار زواجها . . بحيث وصلت إلى أكثر من ثلاث عشرة حالة زواج . . على الرغم من وجود خلاف كبيرين بعض المؤرخين حول عدد هؤلاء الأزواج ودقة ذلك العدد .

وعلى أية حال سوف نتطرق أيضاً لذلك الجانب الشخصى من حياتها لا لشىء إلا لأن أحد هؤلاء الأزواج كان هو اليوزباشى الثائر « مصطفى كمال صدقى » رائد المذهب « التروتسكى الشيوعى » والمنافس القوى آنذاك للملك فاروق على قلب وصيفته « ناهد رشاد » .

والغريب أن هذا الزوج . . كان الطريق الأول لتحية كاريوكا الذى أدى بها إلى دخول السجن لأول مرة فى حياتها . . بعدما تم تصنيفها من جانب رجال الثورة على أنها سياسية من الدرجة الأولى . . تقف فى خندق معارض للثورة . . ولم يشفع لها عندهم جهودها الوطنية السابقة التى تجلت أثناء حرب الفدائيين فى عام ١٩٥١ أو فى حرب عام ١٩٤٨ .

ويقول التاريخ إن تحية كاريوكا . . قضت حوالى مائة يوم فى السجن الحربى على ذمة قضية معارضة مبادىء ثورة يوليو فى مطلع عام ١٩٥٣ . حتى أن هذه الرحلة المظلمة كانت البداية القوية لتكرار دخولها السجن أكثر من مرة ولأسباب متعددة .

* * *

وقد حان الوقت للوقوف على بعض تفاصيل حياة الفنانة الراقصة تحية كاريوكا . . تلك الفتاة التى وفدت إلى القاهرة من مدينة الإسماعيلية فى عام

١٩٣٧ . . واستطاعت أن تشق الصخر بأظافرها وبوسطها حتى تبوأت عرش الرقص الشرقى بعد الفنانة حكمت فهمى .

ولسوف نحاول خلال هذه الأوراق أن نمزج الكلام بين الفن والسياسة فى حديث مشترك . . ذلك لأننا اكتشفنا أن رحلة تحية كاريوكا الفنية لم تنفصل عن رحلتها فى عالم السياسة أو الوطنية . . فقد عاشت قبل دخولها عالم الفن وسط عائلة كان رجالها من الوطنيين الشرفاء . . وأن أحد أعمامها . . تم الحكم عليه بالشنق على أيدى الإنجليز عقاباً على مواقفه الوطنية تجاه أبناء بلده من أهالى مدينة الإسماعيلية التى كانت آنذاك المقر الرئيسى لقوات الاحتلال البريطانى كما كان والدها يشتغل بالبحر . . وكانت لديه العديد من المراكب العاملة فى قناة السويس . . وكان كذلك من المصريين الشرفاء الذين لم يبخلوا فى كفاحهم من أجل الحركة الوطنية والعمل على التخلص من الإنجليز .

والملاحظة الجديرة بالتسجيل فى هذا السياق أن الفنانة القديرة تحية كاريوكا . . رغم أنها لم تكتب مذكراتها الخاصة بعد . . إلا أنها كانت من حين لآخر تدلى للعديد من الصحف والمجلات الفنية فى مناسبات مختلفة ببعض اللقطات الحية عن بداية حياتها وحتى وقبل وفادتها إلى مدينة القاهرة . ذلك بخلاف تبرع العديد من المؤرخين والنقاد الفنيين بالكتابة عن حياتها الأولى هناك فى مدينة الإسماعيلية . . وبذلك سجلوا للتاريخ بعض اللقطات عن ظروف حياتها الاجتماعية الصعبة التى كانت فى واقع الأمر دافعها الأساسى للعمل بالفن والرقص .

ولاشك أنه كان فى مقدمة هؤلاء كل من الناقد الفنى جليل البندارى والناقد الفنى حسن إمام عمر . وقد حكت لهما الفنانة تحية كاريوكا هذه اللقطات الخاصة من واقع صداقتها وإيماناً منها بأن الخلفية التاريخية لعائلتها إنما هى شىء طيب فى حياتها . . وبالتالى لا يجب أن تتهرب من الحديث عن جذور تلك العائلة .

وكما سوف يمر علينا بعد لحظات . . كانت هذه الفنانة تحاول من آن لآخر التودد لأهلها الذين كانوا يعيشون على أرض القناة وتقف كثيراً إلى جوارهم خاصة فى وقت الأزمات أو الحروب . . والغريب أنه فى مقابل ذلك كانوا يعاملونها بقسوة ، وربما يرجع السبب إلى أنها كانت أختاً غير شقيقة ؛ لأن والدها لم ينجب سواها من زوجته الجديدة . . بينما كان قد أنجب قبلها ومن زوجاته الأربع الآخرين ستة عشر من الإخوة والأخوات وبالتالى كان موقعها على خريطة النسب الأبوى . . آخر العنقود .

* * *

ولنبدأ حكاية « تحية كاريوكا » مع الحياة ومع الفن . . وكذلك مع السياسة والأعمال الوطنية . . من حيث أرادت هى . . كما سجلت وقائعها فى العديد من لقاءاتها وأحاديثها الصحفية .

تقول الفنانة تحية كاريوكا فى لمحات من قصة حياتها :

« لن أكون مبالغة إذا قلت : إن حياتى تصلح قصة سينمائية غريبة الحوادث . . كثيرة المفاجآت . . قصة لا ينقصها شىء من مقومات القصة الكاملة . . ولدت فى مدينة الإسماعيلية فى ١٩ فبراير من عام ١٩٢٢ ، وقد

فتحت عيناى على جمال هذه المدينة . . وكان والدى رحمه الله من رجال البحر حيث كان يمتلك أسطولاً من السفن الشراعية تروح وتغدو فى قناة السويس حاملة كل ما تحتاجه البواخر الكبيرة ، وتنتقل بين موانىء البحر الأحمر بالبضائع والسلع .

وكان والدى يربح من وراء هذا الأسطول أرباحاً ضخمة جعلتنا نعيش فى رخاء ويسر ، ولكن أبى كان صاحب هواية غريبة . . لقد كان من هواة الزواج . . فكان كلما يرى المال يجرى بين يديه أقدم على الزواج من امرأة جديدة . . حتى بلغ عدد النساء فى حياته حوالى ٩٠ امرأة .

ولما توفى والدى ترك أربع زوجات هن اللائى أنجب منهن . . وكان ترتيبى فى الذرية رقم سبعة عشر ، فكنت أصغر ذرية أبى ، ولكن لم يكن لى بينهم شقيق أو شقيقة ، لأن أمى لم تنجب غيرى . . وبعد وفاة أبى اجتمع ورثته ليقرروا طريقة إدارة تركته ، وإذا بأبنائه الذكور يقررون أن يتولوا هم إدارة هذه التركة ، وأن ليس لأية امرأة أو بنت أن تعترض أو تتدخل فى هذا الشأن . . وسكتت أمى عن خوف وسكت أنا لأنى لم أكن قد تجاوزت الخامسة من عمرى .

ومضت شهور كشفت عن سوء نوايا هؤلاء الإخوة وبدأوا يسيئون إلى أمى واشتد إيذاؤهم لها عندما فكرت فى أن تطالب بجزء من حقها فى الميراث يقينا شر العوز والحاجة . . وأخيراً رأى إخوتى أن يتخلصوا منا حتى يخلو لهم الجو فهاجمونا ذات ليلة واقتادونا إلى مكان مجهول ، مكان يضمنون ألا نظل فيه أحياء ولكن شاءت الأقدار أن نستطيع الإفلات من هذا المكان . . وأن نعود ، وكانت عودتنا مفاجأة أذهلت إخوتى .

وعادت بعودتنا الحملات الإرهابية العنيفة . . ففى أحد الأيام جاء أحد إخوتى وخطفنى وسافر إلى بورسعيد وأخفانى هناك فجن جنون أمى ، وأخذت تبحث عنى حتى اهتدت إلى مكانى واستطاعت أن تستعيدنى وتعود بى إلى الإسماعيلية .

إلا أن هذا التصرف من جانب أمى زاد من نار الحقد اشتعالاً فى قلوب إخوتى فخطفونى مرة أخرى . . وفى هذه المرة سجنونى فى غرفة مظلمة لمدة عام كامل . . وحلقوا شعر رأسى حتى لا أفكر فى مغادرة هذا السجن .

وحانت لى فرصة للهرب كدت أدفع حياتى ثمناً لها . . فقد قفزت إلى الطريق من فوق سور مرتفع . . وظللت مع ذلك أجرى فى الطريق ساعة كاملة . . حتى وصلت إلى بيت أمى ، وما كادت ترانى حتى عانقتنى ودموعها تتدفق . . ومن لحظتها قررت الرحيل إلى القاهرة بأسرع ما يمكن حتى نبتعد عن هذه المتاعب .

وسارعنا إلى محطة السكة الحديد وما كدنا نضع أقدامنا على سلم القطار حتى لحق بى بعض إخوتى وهددوا أمى بالقتل إذا بقيت فى الإسماعيلية ساعة واحدة . . ثم أخذونى منها عنوة حيث أعادوننى إلى السجن المظلم ، واضطرت أمى للسفر وحدها إلى القاهرة لا خوفاً على حياتها فحسب بل للتفكير فى وسيلة تخلصنى بها من براثن الجلادين . . وقبل أن يعيدونى إخوتى إلى سجنهم الرهيب منحونى ما اتسع له كرمهم من كرابيج وصفعات وركلات . . ثم أقاموا على سجنى ثلاث حارسات هن زوجات أبى .

وقضيت فى هذا السجن عدة أيام لا يصاحبنى فيه غير الدموع ،

ولا أكف عن التفكير فى أمى ، وفى الوسيلة التى أهرب بها إليها . . وشاءت الأقدار أن تتاح لى فرصة للخلاص . . فغافلت الحارسات وهربت تحت ستار الظلام وأسرعت إلى محطة السكة الحديد وتعلقت بأول قطار رأيته هناك وأنا لا أعرف إلى أين تكون وجهته ؟ .

ولم تكن معى بطبيعة الحال تذكرة سفر ولا مليم واحد . . فتطوع بعضهم فجمع لى ثمن التذكرة . . ونزلت فى العاصمة الضخمة ، فبهرتنى أضواؤها وعظمتها ، ولحسن الحظ أننى كنت أتذكر العنوان الذى كانت أمى تقصده ، فمشيت أسأل عن هذا العنوان حتى وصلت إليه . . وكانت أمى تعيش فى حجرة صغيرة فوق سطح بيت يملكه أحد إخوتى . . وكان هذا الأخ قد حصل على نصيبه من الميراث وأقام فى القاهرة . . فلما لجأت إليه تفضل عليها بغرفة فوق سطح منزله بشرط أن تعول نفسها .

وعاشت أمى خمسة أشهر تحيك الملابس لكى تعيش ولكى تجمع مبلغاً من المال لإرضاء إخوتى وإبعادهم عنا . . كما قررت فى الوقت نفسه التنازل عن نصيبها فى الميراث حتى لا يطاردوننا . . لقد تنازلت أمى عن مبلغ عشرة آلاف جنيه . . لنستأنف حياة كلها شظف وفقر وحرمان . . وعكفت أمى على ماكينة الخياطة ليل نهار لتوفر لها ولى الضرورى من القوت .

وبعد أيام شعرت بأننى عبء ثقيل على أمى وتمنيت لو أننى رفعت عن كاهلها أعباء هذه الحياة القاسية . . وفكرت فى أن أعمل لأعيش ، ولكن كيف أصل إلى هذه الأمنية . . إن إخوتى حرمونى من التعليم فأنا لا أحمل شهادة ولا مؤهلاً يؤهلنى للعمل . . ولا أجيد خياطة الملابس لمساعدة أمى .

وفى غمار هذه الخواطر المتلاحقة . . تذكرت فنانة كنت قد رأيتها فى الإسماعيلية ، وتذكرت كلمات همست بها فى أذنى يوم رأيتها . . كانت قد قالت لى : « أنت لو اشتغلت أرتست تاكلى الشهد »[1] .

ويتوقف شريط ذكريات الفنانة تحية كاريوكا . . عند نهاية المنعطف الأول من حياتها . . ذلك المنعطف الذى شهد تلك البداية المؤلمة لحياة طفلة كانت تتمنى أن تعيش طفولتها فى سعادة مثل ملايين الأطفال الذين كانوا فى مثل سنها . . وعلى أية حال لولا تلك الظروف القاسية لما شهدت حياتنا الفنية طاقة فنية متدفقة مثل تحية كاريوكا . .

ولقد رأينا وقبل أن ندير شريط الذكريات على وجهه الثانى . . لكى نستمع إلى بقية حكاية هذه الفنانة القديرة والتى قالت لنا من خلال دورانه قصة حياتها فى عالم الفن . . نسوق بعض المعلومات التى ربما تكون أغفلتها فى هذه الاعترافات . .

ومن أهم هذه المعلومات كان اسم والدها وأصله ونسبه . . وقد ذكر عنه أحد النقاد الصحفيين : «هذا الرجل هو الحاج أبو العلا النيدانى، وهو حجازى الأصل، ولد فى نجد، وطاف بموانىء البحر الأحمر . . ثم استقر به المقام فى مدينة الإسماعيلية بجوار زوجاته اللائى كان يجمعهن فى بيت واحد . . وقد وضع لهن دستورا يقضى بأن تتولى كل زوجة شئون البيت يوما وليلة»[2] .

---

(١) اعترافات تحية كاريوكا - مجلة الكواكب بتاريخ ٣١/ ١/ ١٩٦١ .

(٢) راقصات مصر- جليل البندارى- مصدر سابق .

كذلك كان من هذه المعلومات الهامة تاريخ وصولها إلى القاهرة حيث وجدنا أن هناك شبه إجماع بين مؤرخى الفن على أن الفتاة «بدوية أبو العلا «تحية كاريوكا» فيما بعد . . وفدت إلى القاهرة فى مطلع عام ١٩٣٥ . . ولم يكن عمرها آنذاك قد تعدى أربعة عشر عاما فقط . .

وقد شهدت القاهرة فى هذا العام بعض الأحداث الساخنة على المستويين الوطنى والفنى . . ففى صيف عام ١٩٣٥ وتحت حرارة الشمس كانت شوارع القاهرة تعج بالمظاهرات الصاخبة ضد قوات الاحتلال على إثر فشل مفاوضات الجلاء . . وفى شارع عماد الدين وقعت أحداث ساخنة ولكن من نوع آخر . . فقد قررت الفنانة بديعة مصابنى الانفصال نهائيا عن زوجها الفنان الكبير نجيب الريحانى . .

أما عن سبب سوء المعاملة التى لاقتها الطفلة بدوية على يد إخوتها الكبار أثناء إقامتها فى مدينة الإسماعيلية . . فقد وجد المؤرخون مبررات لذلك السبب حين ذكروا أن والد تحية كاريوكا المعلم محمد أبو العلا النيدانى كان من أسرة تعيش فى ظل تقاليد صارمة كانت تقضى بضرورة زواجه من الأقارب . . وعلى هذا الأساس تزوج هذا الأب نصف دستة نساء من عائلة «النيدانية» مع أنه لم يكن مزواجا . إذ كانت كل زوجة جديدة تموت بعد عدة أشهر . . وتترك له بعض الأولاد والبنات . . لذلك وافق المعلم محمد فى النهاية على أن يتزوج من خارج عائلته خوفا من الموت . . ووقع اختياره على أرملة شابة فى مدينة «المنزلة» وكانت تدعى «فاطمة الزهراء» . . وكان عمرها آنذاك لا يزيد على العشرين عامًا . . وكان من ثمرة هذا الزواج الطفلة «بدوية» تحية كاريوكا فيما بعد . . ولم تعش بدوية من سنوات طفولتها سوى

أربع سنوات . . فقد استقبلت العائلة فاطمة الزهراء الزوجة الجديدة بعداء شديد باعتبارها امرأة غريبة عن العائلة . .

* * *

ومن ينظر بعين الباحث إلى تلك البداية المأساوية فى حياة الفنانة تحية كاريوكا . . يستطيع بسهولة التوصل إلى ما بداخلها من قوة إرادة ساعدتها كثيراً وهى لا تزال طفلة فى عمر الزهور على الصمود فى وجه الزمن . . حتى تمكنت من الوصول إلى مكانة الراقصة المتميزة فى وقت كان فيه فن الرقص هو الفن الغالب فى الحياة المصرية آنذاك . . سواء فى حياتنا الوطنية أو السياسة . .

وربما كانت تلك البداية أيضًا السبب الرئيسى وراء إعجابها بالمذهب الشيوعى أو المذهب «التروتسكى» الذى كان يتزعمه الضابط مصطفى كمال صدقى . . مما جعلها تسعى لأن يكون زوجا لها . . وقد أكدت فى مناسبات عديدة عدم انتمائها أو حتى معرفتها بالمذهب الشيوعى ! . .

وعلى أية حال . . لسوف نلاحظ من خلال سرد بقية حكايتها . . ليس فى عالم الطفولة . . بل وفى عالم الفن . . وشارع الرقص بالذات . . أنها قد تمكنت من أن تكتم شعورها الوطنى فترة ليست طويلة من الزمن حتى استطاعت أن تغزو سوق الفن وأن تثبت فيه أقدامها . . وقد عاصرت فى تلك الفترة العديد من الأحداث العالمية والمحلية سياسيا وعسكريا . . مثال ذلك الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين عام ١٩٤٨ . . ثم حرب الفدائيين فى منطقة القناة ضد الإنجليز . . وأخيراً ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

ولعلنا نعود ونكرر أن توقيت ميلادها على أرض مدينة الإسماعيلية كان له الأثر القوى فى تنمية أحاسيسها الوطنية . . وكذلك ارتباطها بالحياة السياسية المصرية وذلك من واقع قربها من العديد من رجال السياسة المصرية الذين كانوا يقاومون الاحتلال البريطانى آنذاك . . ولا شك أنه كان فى طليعة هؤلاء الضابط أنور السادات ومصطفى كمال صدقى وجمال عبد الناصر وأيضا بعض رجال الأحزاب القديمة . .

على أننا وبخلاف ذلك نستطيع أن نؤكد أن أهم الأدوار السياسية التى ارتبطت بالفنانة تحية كاريوكا كان قد تبلور فى موقفها المعارض لثورة يوليو . . هذه المعارضة المبكرة . . قد أودت بحياتها إلى سجن طويل . . دام أكثر من مائة يوم . وذلك بعدما تم القبض على زوجها مصطفى كمال صدقى . . وعلى بعض السياسيين الآخرين الذين وقفوا بجوارها فى خندق المعارضين للثورة ولبعض مبادئها .

وقبل الإفصاح عن ذلك الدور الهام . . تعالوا بنا نواصل حكاية الفن فى حياة الطفلة بدوية . . والتى دخلته لتأكل الشهد . . هربا من الفقر والحرمان . . ولسوف نتركها هذه المرة لتحكى لنا أيضا على لسانها . . ثم نحاول بعد ذلك استكمال ما تكون قد نسيته . . لا لشىء إلا من أجل أن نقدم لها صورة حية وصادقة تصلح لأن نعلقها فوق جدران الزمن كرمز لجهودها الوطنية والسياسية المرموقة . .

تقول الفنانة تحية كاريوكا عن بداية مشوار حياتها الفنى فى عالم الرقص :

«بعد أن قالت لى هذه الفنانة» أنت لو اشتغلت أرتست تأكلى الشهد . .

وقد تاقت نفسى لهذا الشهد الذى حرمت منه بعد وفاة والدى فأسرعت أبحث فى ذاكرتى عن اسم هذه الفنانة . . إلى أن تذكرت اسمها فمضيت أبحث عن «سعاد محاسن» . . وكانت سعاد صاحبة صالة فى شارع عمادالدين، فلما وصلت إلى صالتها قيل لى: إنها تعمل الآن فى الإسكندرية ، فوقفت أندب حظى ولم يسعنى إلا أن أبكى لهذه الصدمات التى تتوالى على . .

ورآنى أحدهم وأنا أبكى فسألنى عن السبب ، فلما شرحت له السبب أشفق على وقطع لى تذكرة إلى الاسكندرية . . وهناك التقيت بالفنانة «سعاد محاسن» . . وكانت كريمة فرحبت بى، وألحقتنى بالعمل فى مسرحها كممثلة لا كراقصة . . وذلك لأن سنى لم تكن تسمح لى بالعمل كراقصة إذ كان هناك قانون قد صدر فى نفس العام يمنع القاصرات من مزاولة مهنة الرقص . .

وقضيت فى العمل أربع سنوات استطعت خلالها أن أنتقل من ممثلة صغيرة فى فرقة سعاد محاسن إلى راقصة لامعة بفرقة المرحومة «ببا عز الدين» ثم بفرقة «بديعة مصابنى» . .

ومضت بى الحياة فى أيام متوالية وأنا أسطر كل يوم منها سطرًا جديدًا فى سبيل شهرتى ومجدى كراقصة حتى أراد الله أن أتبوأ هذه المنزلة بين نجوم الفن وأصبح «تحية كاريوكا» [٣].

---

(٣) مجلة الكواكب ـ المصدر السابق . .

ولعلنا قد شعرنا جميعا بمدى الاقتضاب الذى صاحب حكاية تحية كاريوكا فى عالم الفن . . ولما كان لتفاصيل تلك الحكاية من صلة قوية بأعمالها الوطنية وكذلك أعمالها السياسية . . فقد بحثنا طويلا عن تفاصيل أخرى . خاصة وأنها تمكنت فى فترة وجيزة من أن تفرض نفسها فى وسط الرقص السياسى . . عندما ثبتت أقدامها فى عالم الفن فبدأت تظهر بقوة على حد قول الناقد الصحفى الراحل «جليل البندارى» فى المجتمع المصرى . . واختلطت بالأوساط الراقية، وجاءها عقد من تركيا بمائة جنيه، فسافرت فى الحال ورقصت أمام «كمال أتاتورك» الذى أخذها فى نهاية الحفل وأهداها سوارين من الذهب المرصع بالماس . . كما زارت فى هذه الرحلة كل من بلغاريا والنمسا وإيطاليا . . وفى كازابلانكا دعاها أحد المخرجين الأمريكيين لتقوم بدور البطولة فى فيلم قصير لحساب إحدى شركات الإنتاج . . وعرض هذا الفيلم بدار سينما متروبول فى بداية عام ١٩٣٨ . .

وفى عام ١٩٤٣ اشتركت تحية كاريوكا مع «آن شريدان» و «فيفيان لى» و «بوب هوب» و «جاك بنى» وغيرهم من كبار الممثلين والممثلات الذين جاءوا إلى الشرق الأوسط ليشتركوا فى حفلات الترفيه عن قوات الحلفاء . .

وعلى أية حال حين نعاود اللحاق ببقية قصة حياة الفنانة تحية كاريوكا . . نكتشف أننا قد توقفنا بها . . وتوقفت بنا عند نجاحها فى الوصول إلى الفنانة «سعاد محاسن» . . التى أتاحت لها الفرصة كممثلة ناشئة أولا ثم كراقصة ولكن ماذا بعد ذلك ؟ هذا ما سوف نلقى عليه الضوء من خلال ما صرحت

به تحية كاريوكا نفسها لبعض الصحف والمجلات أو لبعض النقاد من العاملين فى حقل الصحافة وفى حقل الفن .

فيحكى لنا الناقد الفنى «حسن إمام عمر» عن تلك الفترة بقوله : وفى القاهرة . . وعلى باب الكازينو التى كانت تعمل به الفنانة سعاد محاسن . . عرفت أنها سافرت إلى الاسكندرية لتعمل هناك فى كازينو «كامب شيزار» . . وكان قد التقى بها على باب الكازينو بالقاهرة عازف البيانو «محمد الدبس» الذى عرف قصتها فأخذها معه إلى الاسكندرية ليسلمها للمطربة سعاد محاسن . . واستقبلتها سعاد بكل حب وترحاب وقررت احتضانها بعدما عرفت سر هروبها . .

وظلت بدوية مع سعاد محاسن إلى أن بلغت السادسة عشرة من عمرها وهى تلازمها فى البيت وفى الكازينو . . وكانت «بدوية» تجلس فى الكواليس تشاهد الراقصات وتحاول تقليدهن، وأبدت رغبتها كثيراً لاحتراف الرقص ولكن سعاد لم تشجعها على ذلك . .

وذات ليلة جاءتها الفرصة عندما غابت الراقصة «ليلى سالم» وحان موعد تقديم فقرتها . . ولم تكن قد وصلت بعد . . وكانت بدوية تجلس فى غرفتها عندما جاء مدير المسرح يسأل عنها فى عصبية . . فما كان من بدوية إلا أن ارتدت بدلة الرقص المعلقة فى الغرفة واندفعت إلى المسرح مع نغمات الموسيقى وبدأت ترقص . . وبذلك دخلت عالم الفن عندما قبلت صاحبة المسرح تعيينها راقصة فى الفرقة مقابل ٣ جنيهات فى الشهر . .

وبعد فترة سرى نبأ الراقصة الجديدة إلى سائر الملاهى، وتحدث الجميع

عن الراقصة الجديدة التى فرضت نفسها بعرض جيد لم يسبق له مثيل . .
وعلمت «بديعة مصابنى» ملكة المسارح بذلك فأرسلت فى طلبها وتعاقدت
معها مقابل ٤ جنيهات . . وباركت سعاد محاسن هذا الاتفاق بعد أن
اختارت لها اسم تحية بدلا من بدوية . .

بخلاف ذلك كان هناك شبه اتفاق بين مؤرخى الفن على أن السبب فى
تسميتها كاريوكا هو « إيزاك داكسون » أحد أشهر مصممى الرقصات فى
أوربا . والذى كان يدرب الراقصات المصريات آنذاك على بعض الرقصات
الجديدة فى القاهرة . . لقد كان متأثراً برقصات فيلم «الطريق إلى ديو» فقرر
تدريب تحية على رقصة كاريوكا . . ولما أجادتها فوق المسرح . . أطلق عليها
الجمهور و«إيزاك داكسون» اسم «تحية كاريوكا» . .

* * *

وحين ننتقل إلى حديث السياسة فى حياة الفنانة بدوية ابنة مدينة
الإسماعيلية إحدى مدن الصمود بمنطقة القناة . . والتى اشتهرت فيما بعد
فى عالم الفن باسم «تحية كاريوكا» كان لا بد وأن نتحدث أولا عن قصة
الأزواج فى حياتها . . ذلك لأن أحدهم كان الضابط مصطفى كمال
صدقى . . قائد الجناح العسكرى بالحرس الحديدى الملكى . . والمنافس
القوى والخطير على قلب وصيفة الملك فاروق «ناهد رشاد» . . وأحد رجال
تنظيم الضباط الأحرار . . على الرغم من أن ترتيبه فى سلسلة أزواج تحية
كاريوكا . . كان الزوج الخامس . . لأنها تزوجت من قبله من أنطوان عيسى
ومحمد سلطان باشا والمخرج فطين عبد الوهاب ثم الفنان رشدى أباظة . .

وبعد طلاقها من اليوزباشى مصطفى كمال صدقى فى عام ١٩٥٣ . . تزوجت بعده ستة رجال آخرين . . كان منهم عبد المنعم الخادم وأحمد سالم وحسن حسنى والمطرب الناشىء آنذاك محرم فؤاد والطيار حسين عاكف وأحمد ذو الفقار صبرى ثم زوجها الأخير الفنان فايز حلاوة، الذى عاشت معه ١٦ عاماً قبل أن يطلقها . .

ومثل أى شىء فى حياة الفنان . . يتفق عليها أو يختلف النقاد أو المؤرخون فقد اكتشفنا أن هناك خلافا حول عدد أزواج تحية كاريوكا . . بعضهم يرى أن عددهم ستة فقط . . والبعض الآخر يرى أنهم سبعة . . أما الفريق الثالث فيرى أنهم ثلاثة عشر زوجًا . .

وكما سبق ونوهنا فإن هؤلاء الأزواج أو عددهم لا يهمنا فى شىء إلا بقدر ارتباط اثنين منهم بدورها السياسى وهما الضابط مصطفى كمال صدقى والفنان فايز حلاوة الذى عاش معها فترة من الثراء الفنى خلف كواليس المسرح السياسى . . عندما قدم بالاشتراك معها عشرات المسرحيات السياسية التى أكملت من خلالها دورها فى حياتنا السياسية والفنية . .

وحكاية اليوزباشى مصطفى كمال صدقى حكاية ثرية . . رواها عنه غيرنا وكانت من أهم ملامحها . . أنه زعيم سياسى . . كان يميل إلى المذهب التروتسكى وهو مذهب شيوعى معروف . . وكان اعتناقه لهذا الاتجاه السياسى سببا فى نقمة الملك فاروق عليه خاصة بعدما أبلغه الدكتور يوسف رشاد زعيم الحرس الحديدى آنذاك اختياره رئيسا للمجموعة المسلحة داخل ذلك التنظيم . .

ولقد ظل مصطفى كمال صدقى لفترة طويلة مسئولاً عن الجناح العسكرى بالحرس الحديدى . . حتى فى ظل زعامة الوصيفة «ناهد رشاد» . . الذى وقع فى غرامها . . وبات المنافس القوى على قلبها مع ملك البلاد . . هذه المنافسة الحامية انتهت بمحاولة اغتيال الملك فاروق . . كما انتهت بقبول مصطفى صدقى ضمن أعضاء تنظيم الضباط الأحرار الذى نفذ ثورة ٢٣ يوليو . . ويبدو أن الفنانة تحية كاريوكا قد أعجبت بهذا البطل القومى فى نظرها فارتبطت به . . حتى قادها وهى بجواره إلى السجن حين اختلف مع رجال الثورة فى عام ١٩٥٣ . .

ويؤكد الناقد الفنى حسن إمام عمر . . أن مصطفى كمال صدقى كان بالفعل من بين أزواج الفنانة تحية كاريوكا . . والتى اقترنت به فى بداية ثورة ٢٣ يوليو . . كما حكم عليها بالسجن لاشتراكها معه فى قضية سياسية . . ثم أفرج عنها بعد أن ثبتت براءتها . .

إلا أن هناك رواية أخرى . . ترددت بخصوص هذا الزوج يرى أصحابها أن خلاف تحية كاريوكا مع الثورة يرجع فى الأصل إلى حادث خاص . . ذلك حين تصادف مشاركتها فى قطار الرحمة مع بداية ثورة يوليو لجمع التأييد الشعبى لها . . وكان يشرف على الرحلة الضابط مصطفى كمال صدقى . . وكان أحد الضباط الأحرار من الصف الثانى . . وبعد عودة رحلة القطار . . طلب الزواج منها فوافقت . . وبعد عدة أشهر غاب زوجها، وعندما ذهبت لتسأل عنه ألقى القبض عليها . . وتبين أن هناك خلافا بينه وبين الضباط الأحرار حول إقالة اللواء محمد نجيب . . وبعد خروج مصطفى من السجن عاد ليقرر الانفصال عن تحية كاريوكا . .

ومن وجهة نظرنا الشخصية نرى أن الرواية الأخيرة غير دقيقة بالمرة . . ذلك لأنها تسحب من تحت أقدام الفنانة بدوية الإحساس بالوطنية والانتماء السياسى وقد نفتها فى أكثر من لقاء صحفى حين تحدثت عن بعض ملامح حياتها السياسية . .

وفى حوار صحفى جاء فى بعض فقراته . . ردا على أسئلة سياسية قالت تحية كاريوكا :

* الإضراب والاعتصام وسائل سياسية . . فما رأيك فى الحديث عن السياسة ؟ . .

- اتفضل . .

* هل سبق لك الإضراب عن الطعام ؟ (٤)

- أيوه . . أضربت عن الطعام فى سجن مصر عام ١٩٥٣ حين اعتقلت بسبب منشور سياسى . .

* يعنى كنت ضد الثورة ؟

- ازاى بقى . . لا يوجد فنان ضد الثورة . . فقد وقف الفنانون المصريون مع الثورة وأيدوها وساندوها ، وتمثل ذلك فى أسبوع التسليح و «قطار الرحمة» . . لكننا اختلفنا فى موضوع الديمقراطية . . علشان كده اعتقلونى .

---

(٤) نشر هذا الحوار بجريدة الأهالى فى ٢/ ٩/ ١٩٨٧ بمناسبة اشتراك تحية كاريوكا فى الإضراب العام الذى قام به الفنانون فى تلك الفترة وقد أجراه معها الصحفى أحمد إسماعيل . .

* كم الفترة التى قضيتيها فى المعتقل ؟

- ١٠١ يوم بالتمام والكمال فى زنزانة ذات بابين من حديد . . كانت زنزانة رهيبة . .

* وهل تذكرين زملاءك فى المعتقل ؟

- طبعا . . كان معى ماجدة زوجة الشاعر كمال عبد الحليم وسميرة زوجة النائب البرلمانى أحمد طه شقيق الشهيد عبد القادر طه الذى قتله الملك فاروق . . ومارى زوجة الكاتب اليسارى سعد كامل . . كما أذكر أن عددا من الوزراء كانوا معنا فى تلك الفترة . . منهم فؤاد سراج الدين ومحمد صلاح الدين ورئيس الوزراء السابق إبراهيم عبد الهادى . .

* ولماذا كان الإضراب فى السجن ؟

- لمنع التعذيب . . وبالفعل نجحنا أنا وزملائى فى منع التعذيب .

* يقولون إنك كنت عضواً بأحد التنظيمات اليسارية فى تلك الفترة ؟

- ناس كتير افتكرت أننى كنت عضواً فى منظمة «حدتو» الشيوعية ولكننى لم أنل هذا الشرف ذات يوم . . كنت صديقة مخلصة لكل المخلصين فى هذا البلد . . بس للأمانة وللتاريخ لم أكن عضواً فى «حدتو» أو أى منظمة أخرى . .

** وانتهى الحوار . .

من هنا كان الدافع الحقيقى لارتباط الفنانة تحية كاريوكا بالضابط مصطفى كمال صدقى . . رغم ما تردد حول ذلك الدور الوطنى الذى تبلور بوضوح

فى وقوفه ضد الملك فاروق . . واشتراكه مع تنظيم الضباط الأحرار فى مقاومة الاحتلال الإنجليزى . . بصرف النظر عن انتماءاته السياسية . .

ولا شك أن هذا الدافع الذى تأجج فى صدر الفنانة تحية كاريوكا وجعلها تدخل الملعب السياسى بقوة وتميز . . لم يكن وليد تلك اللحظة . . بل كان بطبيعة الحال دفينا بداخلها . . وقد عبر عن ذلك العديد من الصحفيين فى الكثير من المناسبات . . فعلى سبيل المثال ذكر الناقد الفنى جليل البندارى: «أن بدوية محمد أبو العلا التى عاشت فى الإسماعيلية بين إخوتها وأخواتها من أبيها كالقطة البائسة . . هى نفسها تحية كاريوكا التى تطوعت فى جمعية الهلال الأحمر عندما بدأت الحرب العالمية الثانية، وفى إحدى الغارات الشديدة على مدينة الإسماعيلية كانت بين المتطوعات وشهدت بعينيها القنبلة التى سقطت على بيت أبيها فأحالته أنقاضًا . . وقد انكفأت تحية كاريوكا على إحدى الجثث . . وأخذت تبكى بحرقة . . لقد كانت جثة أخيها الأكبر الذى كان يلقى إليها ببقايا الطعام[٥]».

ويخلاف ما تقدم . . نجد أن الفنانة تحية كاريوكا . . كثيراً ما عبرت هى الأخرى عن شعورها الوطنى . . وتوقيت دخولها الملعب السياسى . . فقالت : «أنا ثورية من يومى مثل كل أبناء القناة . . عمى شنقه الانجليز ، ويوم دفنه زغردت نساء العائلة فرحاً باستشهاده . . علاقتى بالوطنية وبالعمل الوطنى بدأت من خلال حرب ١٩٤٨ . . كنت أساعد الفدائيين بالمال والعمل . . حملت طوربيدات لايستطيع حملها الرجال فى باطن

(٥) راقصات مصر ـ مصدر سابق . .

السيارة . . وكنت أدخل بها إلى أرض أخى الواقعة فى منتصف معسكرات الإنجليز التى أطلقوا عليها فيما بعد « تبة مريم » نسبة إلى أختى التى خبأت فى يوم من الإيام الرئيس أنور السادات بعد اتهامه فى حادث مقتل أمين عثمان .

وعندما قامت الثورة كنت من مؤيديها . . ولما انحرفت عن طريق العدالة والحرية رفضت ذلك واشتركت فى عمل منشورات قلت فيها : « ذهب فاروق وجاء بدله أربعة » . . وقبض على وسجنت فى زنزانة انفرادية . . لكننى كنت قد وزعت ١٥٠ ألف منشور . . كانوا فى بيتى قبل القبض على . . وفى السجن أطلقوا علىّ اسم « تحية » ولم يستطع المسئولون تصنيفى كشيوعية أوإخوانية . . ولم يجدوا دليلاً ضدى . . فأفرجوا عنى .

لم أكن فى يوم من الأيام ضد عبد الناصر شخصياً . . وعندما رأيت العلم الإسرائيلى فى عام ١٩٦٧ فوق القنطرة غرزت أظافرى فى كفى فتمزق اللحم . . ولا يزال أثر الجرح فى يدى حتى الآن . . وعندما رأيت الأسرى شعرت أن القيامة قامت . . أما فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ فقد أفطرت فى العاشرة مساء من شدة توترى فلم أكن مصدقة أننا عبرنا القناة بالفعل . . ولم أصدق إلا بعد أن ذهبت إلى القنطرة ورأيت العلم المصرى مرفوعاً من جديد »[٦] .

وفى كل حديث أو حوار صحفى كانت الفنانة تحية كاريوكا تتعمد توضيح موقفها من ثورة يوليو . . وأسباب معارضتها لها خاصة فى

(٦) لم يتبق إلا ذكريات عملى السياسى - روزاليوسف فى ١٩٨٩/٧/٢٤ .

بدايتها . . رغم أنها لم تكن تشير من قريب أو بعيد إلى صلتها بالضابط مصطفى كمال صدقى الذى يرجع إليه الفضل فى انغماسها فى عالم السياسة قبيل قيام ثورة يوليو . . وقد جاء هذا التأكيد مرة ثانية فى حوار صحفى لها نشر بمجلة صباح الخير . . ذكرت فى بعض فقراته :

« إحنا قبل الثورة كنا واقفين وبندافع عنها . . ولكن ما حدث بعد الثورة خيب ظننا فيما كنا نحلم به . . لذلك طبعنا منشورات رفعنا فيها شعار « ذهب فاروق وأتى فواريق » . . نعم . . أنا لا أنكر أن الملك فاروق كان يهدر أموال الدولة ، ولكنه كان يقوم بذلك بمفرده . . ولكن بعد الثورة جاء المئات من أمثال الملك فاروق .

صحيح تغير نظام الحكم . . ولكن الأسلوب كان واحداً وكنا بنطالب بتوسيع هامش الديمقراطية . . ولذلك قلنا رأينا فاعتقلت لمدة ١٠١ يوم ، ولم أكن خائفة فلست أفضل من الشهداء والفدائيين الذين ضحوا بأرواحهم »[٧] .

* * *

وبقى لنا من حديث السياسة . . علاقة الفنانة تحية كاريوكا . . بالراحل أنور السادات . . الذى اتضح أنه كان على علاقة بكل فئات الشعب المصرى فى الفترة التى عاش خلالها خاصة فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . . وقد دفعته وطنيته إلى التعاون حتى مع الشيطان من أجل مصر .

والغريب أن القدر قد دفع به هذه المرة فى طريق الفنانة تحية كاريوكا بعد ما دفع به من قبل فى طريق الفنانة « حكمت فهمى » . . فالتقت به عند أختها

---

(٧) صباح الخير فى ٢٤/٦/١٩٩٣ .

مريم . . التى كانت تسكن فى قلب أحد المعسكرات الانجليزية بالإسماعيلية . . عندما قامت بإخفائه فى بيتها . . وذلك هرباً من الاعتقال . . على إثر اشتراكه فى حادث اغتيال رجل الإنجليز الأول فى مصر « أمين عثمان » وزير المالية فى حكومة مصطفى النحاس .

وتكريماً « لمريم » . . وما قامت به من أعمال وطنية بالاشتراك مع تحية كاريوكا . . أطلقوا على المنطقة التى عاشت بها اسم « تبة مريم » . . وتروى لنا تحية كاريوكا قصة لقائها بالرئيس السادات فى هذه الفترة فتقول :

« . . أذكر أيام مقتل أمين عثمان عميل الإنجليز . . كان الإنجليز دايخين على قتلة أمين عثمان . . وكان منهم الرئيس أنور السادات . . ولم يكن أحد من الإنجليز يفطن إلى أن السادات مختبىء فى معسكرهم . . إذ كان هذا المعسكر موجوداً أمام منزل أختى . . ولكى أذهب لأختى هذه كان لابد أن أمر من خلال معسكرهم . . ودخلت بسيارتى وكان السادات معى ، ولم يشعر بوجوده أى إنجليزى لمدة عام » .

ولاشك أن هذا الزخم الهائل من العطاء الوطنى . . ظل بداخل الفنانة تحية كاريوكا . . تحاول من حين لآخر التعبير عنه فى الواقع وفوق المسرح أيضاً . . فبعد أن خرجت من السجن الحربى . . عام ١٩٥٤ وبعد ثبوت براءتها من تهمة معارضة الثورة . . تردد بعض الفنانين على حد قولها فى العمل معها مرة أخرى فى ميدان الفن . . ومع ذلك . . ارتبطت بالعديد من الفنانين الذين وقفوا بجوارها فى هذه المحنة مثل الفنان الراحل عبد الوارث عسر وزوجها الفنان فايز حلاوة الذى اقترنت به وكونت معه فرقة المسرح السياسى .

وإذا ما تركنا المسرح جانباً . . ولو للحظات ثم نعاود الوصول إليه مرة أخرى سوف نكتشف أن من أهم الميادين السياسية التى برعت فيها تحية كاريوكا كان الجانب النقابى . . ذلك الجانب الثانى المضىء فى مشوار حياتها سياسياً ووطنياً وقد تم انتخابها لأول مرة عضواً فى مجلس إدارة نقابة الممثلين عام ١٩٥٥ . . وكان هذا الفوز بمثابة رد اعتبار لها بعد فترة الانكسار التى عاشتها وسط الفنانين بسبب موقفها السياسى السابق الحديث عنه والخاص بثورة يوليو .

والغريب أن عطاءها النقابى لم يتوقف عند هذه المرة فقط . . بل واصلت العمل النقابى لصالح زملائها من أبناء المهنة بدليل أنه فى عام ١٩٨١ تم اختيارها وكيلة للنقابة . . ثم نقيباً للمهن التمثيلية لمدة ١٥ يوماً . . لحين اختيار النقيب الجديد . . وكان زوجها الفنان فايز حلاوة قد رشح نفسه لمنصب النقيب فى هذه الانتخابات . . وفى عام ١٩٨٧ رشحت نفسها نقيبة لاتحاد النقابات الفنية أمام سعد الدين وهبة .

وخروجاً من العمل النقابى إلى العمل الفنى حيث المسرح السياسى . . فإن تحية كاريوكا تعتبر رائدة هذا النوع من الفن . . ذلك لنجاحها الباهر فى تقديم المسرحيات السياسية الساخنة . . خاصة وأن زواجها من الفنان فايز حلاوة قد أعطاها دفعة قوية فى هذا الاتجاه . . ويقول التاريخ الفنى أن الفنانة تحية كاريوكا . . بدأت نشاطها المسرحى فى عالم السياسة مع منتصف الستينات وحتى منتصف عام ١٩٨٥ . . بعد انفصالها عن زوجها الفنان فايز حلاوة .

وحديثنا عن مشوار حياتها المسرحية كان لابد وأن يجرنا بالطبع لإلقاء بعض الأضواء المبهرة على بعض ملامح مشوارها الفنى وإنتاجها السينمائى خلال ذلك المشوار . ويرى بعض مؤرخى الفن أن أول فرصة للعمل فى السينما أتيحت لتحية كاريوكا كانت على يد المخرج إبراهيم عمارة وأيضاً المخرج « توجومزراحى » . . أما تحية كاريوكا فتؤكد هذه البداية بقولها : « إبراهيم عمارة جعل منى راقصة وممثلة فى فيلم « الستات فى خطر » مع أنور وجدى وليلى فوزى . . ثم فيلم « طاقية الإخفاء » . . ثم بدأت بعد ذلك عملية الانتشار فى السينما . . وكان أشهر هذه الأفلام فى تلك الفترة فيلم « حنان » مع فتحية أحمد وبشارة واكيم ثم مجموعة أخرى من الأفلام لا أتذكرها . . ولكنى أتذكر فيلم « لعبة الست » مع نجيب الريحانى ومارى منيب وعزيز عثمان .

ورغم أننى كنت قد اجتزت لحظات الخوف أمام الكاميرا فى السينما كممثلة . . إلا أننى لا أنسى الوقوف أمام العملاق نجيب الريحانى . . لقد كان له الفضل أيضاً فى إعطائى أول فرصة على المسرح ، ولكنها لم تكتمل . . والسبب اخوان شكيب ميمى وزوزو . . فقد ظللت أعمل بروفات لمسرحية « أحب حماتى » مع مارى منيب والريحانى . . ولكن هذه التجربة تركت فى نفسى رغبة شديدة فى تأكيد ذاتى على المسرح .

واتفقنا مجموعة من الأصدقاء على عمل فرقة مسرحية باسم « فرقة الـ ١٥ » لقد كنا ١٥ شخصاً أذكر منهم شكرى سرحان ونيللى مظلوم ومحمود المليجى واشتغلنا على مسرح فى عماد الدين اسمه « برنتانيا » ولكنه للأسف لم يستمر العمل لنقص التمويل .

وبعد هذه التجارب مع المسرح فى البداية ظل القلق والحيرة والتردد يسيطرون على حياتى . . فلم أتوقف تماماً عن الرقص . . كما لم أتوقف عن المشاركة بهذا الرقص من خلال الأفلام السينمائية . . لقد كان الرقص محفوراً فى أعماقى . . هذا الرقص الشرقى لم أفكر فى يوم من الأيام أنى سوف أفرط فيه لأذهب إلى عالم التمثيل ولكن الفن والترابط الفنى يصنعان المعجزات . . » .

ونود أن نختتم تلك الجولة الدسمة فى حياة تحية كاريوكا . . سواء الفنية أو السياسية أو الإنسانية . . بهذا التصريح الذى أدلت به أثناء حوارها مع أحد الصحفيين . . عن موقفها تجاه جمال عبد الناصر . . كشخصية سياسية . . جديدة تأثرت بها فى حياتها بعد مصطفى كمال صدقى والسادات . . وقد قالت فيه : « أنا لم أكره جمال عبد الناصر ولم أشتمه أبداً . . وحتى عندما سافرت إلى الكويت بعد النكسة . . وطلبوا منى هناك عرض بعض المسرحيات السياسية رفضت ذلك . . لأن هذه المسرحيات تنتقد الأوضاع فى مصر ، وبالتالى تم عرضها فى مصر وليس أى بلد آخر . . وبالفعل عرضنا مسرحية « روبابيكيا » ولم نعرض أى مسرحية سياسية .

أما بالنسبة لحديثى فى مسرحية ياسين ولدى . . فهناك فرق كبير بين السياسات وبين الأشخاص فأنا لم أكره فى حياتى أى إنسان مصرى فكيف أكره عبد الناصر . . أما السياسات فمن حقنا الاختلاف حولها » .



الفنانة « تحية كاريوكا » أو « بدوية أبو العلا » فى أولى خطواتها نحو عالم الفن ..
والصورة لها فى القاهرة بعد هروبها من مدينة الإسماعيلية

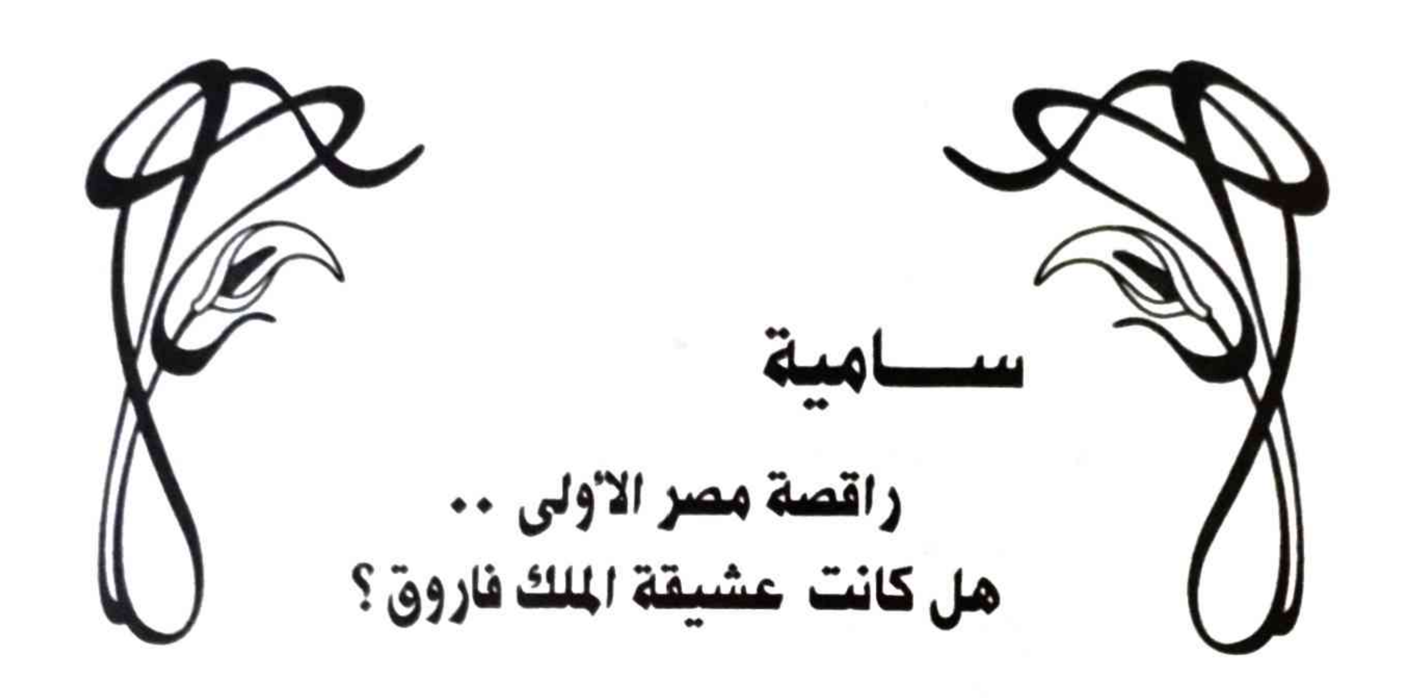


تحية كاريوكا فى الشارع السياسى ..
مع الزعيمة النسائية هدى شعراوى



فى بداية ثورة يوليو ١٩٥٢ اشتركت « تحية كاريوكا » فى « قطار الرحمة »
حيث تقابلت فيه مع زوجها الضابط مصطفى كمال صدقى

تحية كاريوكا تبدى رأيها فى انتخاب جمال عبد الناصر . .
رئيساً للجمهورية



ســــامية

راقصة مصر الأولى ..
هل كانت عشيقة الملك فاروق ؟

شاءت الأقدار أن نكتب هذا الفصل بعد رحيل صاحبة هذه الحكاية بأقل من عدة ساعات . . على الرغم من أننا كنا نعد لهذه الأوراق التى تشمل هذا الكتاب منذ فترة بعيدة . .

ويبدو أن ذلك القدر قد رسم لنا صورة دقيقة وبلا رتوش لهذا اللقاء . . حيث وقع الاختيار على الفنانة الراقصة سامية جمال لكى تكون آخر ضيوفنا من الفنانين والفنانات من أهل الفن الذين عملوا بالسياسة . .

وهذا الموقع الأخير لم يتم تحديده عفوياً وبلا دراسة . . بل بالعكس لقد خضع هذا الاختيار إلى عدة معايير . . كان أولها . . موقع فن الرقص ضمن بقية الفنون التى شملت أهل الفن من العاملين بالسياسة . . وهل كان من الممكن أن يأتى هذا الموقع فى المقدمة قبل فن التمثيل أو الغناء أو الموسيقى . . ثم كان ثانى هذه المعايير . . والمتعلقة بضيوف أهل الفن من الراقصات اللائى عملن بالسياسة . . وذلك بصرف النظر عن تاريخ ظهور أى منهن . . إذ كانت العبرة أولاً بقيمة الدور السياسى الذى اقترن بفن هز الوسط . .

ولقد توصلنا فى نهاية الأمر . . وعن قناعة بحثية إلى ذلك التقسيم الذى ارتضيناه منذ البداية . . والذى بدأنا به رحلتنا عبر هذه الأوراق . . من فوق المسرح السياسى المقترن بفن التمثيل . . وانتهاء بفن الرقص السياسى . . وهز وسط الحياة السياسية . . مروراً بفن الغناء والموسيقى . .

وعلى ذلك فقد احتلت الفنانة الراحلة سامية جمال ذيل قائمة أهل الفن من العاملين بالحقل السياسى بعد كل من حكمت فهمى وتحية كاريوكا . . وحتى لا نترك الباب مفتوحاً للظنون . . نؤكد أن هذا الموقع الأخير قد اقترن فى تصورنا بأهمية الدور الذى لعبته سامية جمال فى عالم السياسة . . ذلك الدور الذى يعد فى المرتبة الثالثة . . بعد دور كل من حكمت فهمى الراقصة الثائرة على الاحتلال الإنجليزى . . وتحية كاريوكا . . التى أخفت السادات عند أختها أثناء نظر قضية مقتل الوزير أمين عثمان . . ثم ارتباطها إلى جانب ذلك بموقف العداء المبكر من ثورة يوليو . .

وهناك ملحوظة هامة فى هذا الصدد نَوَدُّ الإشارة إليها فيما يتعلق بالدور السياسى الذى لعبته سامية جمال . . والذى دعاها لأن تكون معنا ومع أهل الفن من زميلاتها من العاملات بالحقل السياسى ضمن هذا الكتاب . . فقد وقع اختيارنا منذ بداية الإعداد لهذا الكتاب على سامية جمال لتكون ضمن فريق هز الوسط السياسى . . والذى دعانا إلى هذا الاختيار أننا عرفنا من بعض النقاد الصحفيين . . أن هذه الفنانة الراقصة . . قد اختارها الملك فاروق قبل ثورة يوليو لكى تتبوأ مرتبة الراقصة الأولى والرسمية لمصر آنذاك . . وكان ذلك يعنى أن سامية جمال ستكون فى مقدمة من سيتم استدعاؤهم لإحياء كل الحفلات الرسمية التى تدعولها الدولة بإذن من الملك أو رجال حاشيته.

ولا شك أن هذا الاختيار أيضاً لم يأت من فراغ . . بل كانت له دوافعه ومبرراته . . إذ لم يتم إلقاء الأضواء المبهرة عليها فى حينها أو بعد ذلك الحين إلا قليلاً . .

ولا أخفى سراً حين أقول : إن ذلك الفرمان الملكى باختيار سامية جمال راقصة رسمية لمصر تحضر حيث يحضر الملوك والضيوف ، كان من بين الأسباب التى شفعت لها لدينا لاختيارها ضمن ضيوف أهل الفن والشارع السياسى . .

ورغم ذلك فقد كاد هذا الاختيار من جانبنا أن يتراجع حين بدأنا فى الإعداد الأخير لهذه الأوراق خاصة أثناء رحلة البحث الطويلة عن معلومات تعيننا على تأكيد قوة هذا الاختيار . . والسبب فى ذلك أننا وطوال تلك الرحلة المضنية فى قلب الأرشيف وأوراق الصحف والمجلات أو فى الكتب الجديدة والقديمة . . لم نعثر على إشارة واحدة لأى دور وطنى أو سياسى قامت به سامية جمال . . طوال رحلة حياتها الفنية فى مجال هز الوسط . . بعكس ما كان بالنسبة لنا مع كل من حكمت فهمى وتحية كاريوكا . .

ولم ينقذنا من هذا التراجع سوى إحساس داخلى دفعنا إلى المزيد من البحث والتدقيق . خاصة فى مجال تحليل المعلومات التى لدينا . . وقراءة ما بين سطورها . . وبالفعل فقد هدانا ذلك الإحساس إلى الاقتناع بدور سامية جمال السياسى : الذى تبلور فى علاقتها بأحد رجال الحكم فى مصر قبل الثورة . . وهو الملك فاروق . .

ولم يتوقف الأمر عند الإحساس فقط بل تعدى ذلك خاصة بعد أن عثرنا

على وثيقة تاريخية هامة كتبها أحد كبار الصحفيين المصريين . . وهى تثبت بالدليل القاطع . . وجود علاقة غرامية عنيفة بين سامية جمال الراقصة الرسمية الأولى . . وبين الملك فاروق صاحب ذلك الفرمان الذى أهلها لكى تتبوأ تلك المنزلة السامية . .

من هنا بدأت قناعاتنا باختيارها ضمن ضيوف هذه الأوراق . . ذلك لأن وجودها داخل قصر عابدين فترة لا بأس بها . . بجوار الملك فاروق كعاشقة رسمية له . . جعلها على الأقل شاهد ملك على العديد من الأحداث السياسية الساخنة التى سجلها غيرها من الذين كانوا على مقربة من دائرة أحداث ذلك الزمان . .

ويبدو أن عدم إلمام سامية جمال بالقراءة أو الكتابة . . وخوفها من الوضع السياسى الجديد . . وما رأته بعينيها مما لحق زميلتها وصديقتها الراقصة تحية كاريوكا على أيدى الثوار . . جعلها تنفى بشدة وفى كل مناسبة ما كان يتردد عن علاقتها السياسية بالملك فاروق . . بل ودعاها ذلك الخوف إلى عدم الخوض فى ذلك الموضوع . . وإبداله بموضوع زواجها من الرجل الأمريكى الذى أعلن إسلامه لأجل هذا الزواج . .

وعلى الرغم من الحيثيات السابقة . . التى أكدت حسن اختيارنا لسامية جمال ضمن ضيوف أهل الفن الذين لعبوا بالسياسة . . فمن غير المستبعد أن تكون حيثيات ضعيفة إذا ما قيست بغيرها مما ارتبط بحياة الراقصات من أمثال حكمت فهمى وتحية كاريوكا . . وهذا الأمر تعمدنا الإشارة إليه رغم أنه يضعف موضوعنا . وحتى لا يأتى أحد من بعدنا ويتصور أن هذا الاختيار

لم يتم على أسس موضوعية . . بل فرضت علينا سامية جمال بقوامها الرشيق وحركاتها اللينة هذا الاختيار وبالتالى عاشت فوق هذه الأوراق بالفرض والإكراه . .

وبناء على تلك الحيثيات نقول : إن سامية جمال هى عضو أساسى ضمن فريق « هز الوسط السياسى » . . وكانت آخر أعضاء ذلك الفريق الذى دخل إلى الشارع السياسى ببدلة الرقص الشرقى . . وإن كانت فى الوقت نفسه قد تبوأت وفقاً للفرمان الملكى السابق الحديث عنه . . رئاسة هذا الفريق . . رغماً عنا وعن أنف التاريخ . .

ولسوف نلاحظ . . كما سيمر علينا . . أن علاقة سامية جمال المتميزة بالملك فاروق قد قربها كثيراً من بعض الزعماء السياسيين البارزين آنذاك مثل الزعيم مصطفى النحاس . . كما سوف نلاحظ أيضاً أن هذا العمل السياسى الوحيد الذى ارتبط بوجود الفنانة سامية جمال فى موقع متقدم داخل غرفة نوم الملك فاروق . . سيفرض نفسه على هذه الأوراق . . وبالتالى سيكون الحديث عنها وعن حياتها ممزوجاً بتلك العلاقة السياسية المتفردة . .

* * *

ولا يكون أمام الباحث عن الحقيقة من أمثالنا . . سوى السير وفقاً لطبيعة الأمور . . كما حدثت فى الواقع . . من حيث البداية . . التى منها نتمكن من معرفة تفاصيل تلك الفنانة التى وفدت إلى القاهرة من إحدى قرى الصعيد هاربة من امرأة أبيها . . ثم تفاصيل نجاحها فى الوقوف بين يدى

ملك البلاد ووقوعه فى غرامها . . حتى أصدر فرمانه الشهير باختيارها راقصة مصر الأولى . . ومروراً بمعظم مواقفها الخاصة التى بلورت علاقتها من ناحية أخرى ببعض الزعماء السياسيين . .

ويبدأ مشوار حياة الطفلة سامية جمال - السيدة زينب - فى إحدى قرى الصعيد . . عندما تزوج أبوها الشيخ خليل إبراهيم من زوجة أخرى . . وعلى حد قول الناقد الفنى جليل البندارى : « كان والدها الشيخ المعمم متزوجاً من اثنتين أمها وسيدة أخرى . . وقد توفيت أمها وعمرها ثمانى سنوات . . وعاشت الطفلة السيدة زينب يتيمة لمدة خمس سنوات أخرى مع زوجة أبيها ، وقد ذاقت خلالها ألواناً مختلفة من الذل والهوان . . فكانت ترغمها على غسل الأوانى ومسح البلاط فلا تكاد تنتهى من هذا كله حتى تنهال عليها الشتائم ، لأنها تأخرت فى شراء الخضر واللحم . . وبعد أن تشترى حاجات البيت ، تبعث بها زوجة أبيها إلى إحدى جاراتها لتتولى مساعدتها أيضاً فى غسيل الأوانى ومسح البلاط [1] » . .

ولم تستطع الطفلة الصغيرة على حد قول « جليل البندارى » أيضاً بعد أن أصبح عمرها ١٤ سنة أن تصبر على هذا الذل . . ففى ساعة مبكرة من صباح أحد أيام عام ١٩٣٨ هربت السيدة زينب من مدينة الواسطى إلى القاهرة ، ونزلت ضيفة على شقيقتها الكبرى « فاطمة النبوية » . . وكانت فى ذلك الوقت متزوجة من موظف بإحدى المصالح الحكومية . . كما كانت هى نفسها تعمل حائكة ملابس للسيدات فأكرمتها شقيقتها فى بداية الأمر ، ومرت أيام ، ثم طردت الخادمة من البيت . . وقالت لأختها السيدة زينب

---

(١) راقصات مصر - مصدر سابق .

إن مدة الضيافة قد مرت وعليها من الآن أن تتولى شئون البيت . . وكان لها طفل عمره ستة أشهر ، وليس أشق على الفتاة الهاربة من شئ أن تجد فى انتظارها أمر البيت وفوقه غسل ملابس الطفل الرضيع . .

ويبدو أن الطفلة « السيدة زينب » سامية جمال فيما بعد كان لديها مكنون فى صدرها يميل بقوة ناحية الفن . . على الرغم من أنها كانت تعيش حتى سن الثامنة من عمرها فى إحدى قرى الصعيد وفى كنف أب تحيطه هالات دينية كثيرة من واقع عمله كشيخ معمم . . هذا المكنون المتراكم على مرأى ومسمع سنين عمرها ظل كامناً بداخلها حتى رأى النور فى ليلة واعدة قادتها إلى كازينو « بديعة » لتعمل به راقصة .

لقد كانت الفتاة « السيدة زينب » ذات الأربعة عشر ربيعاً . . تقضى وقت فراغها دائماً خلف شباك شقة أختها فى الحارة الضيقة التى كانت تسكن بها فى ذلك الوقت . . وكانت تسليتها الوحيدة آنذاك الاستماع إلى راديو المقهى البلدى الموجود بالقرب من المنزل . . حتى يرجع ابن الجيران من عمله ليجلس هو الآخر فى النافذة التى كانت بالشقة السفلى . . وكان ذلك الشاب إيرانى الجنسية وكان يعمل موظفاً فى إحدى الشركات . . وفى أثناء جلوسه هكذا يبدأ فى العزف على عوده ويغنى أغنية لفريد الأطرش « الحب من غير أمل » . .

هذا الشاب نفسه - كما يروى جليل البندارى - كان السبب فى حلاقة شعرها الطويل . . ثم نفورها من عيشتها مع أختها . . والهروب إلى الواقع والحلم . . إلى صالة الرقص . . لقد هربت السيدة زينب من بيت أختها بعد

ملك البلاد ووقوعه فى غرامها . . حتى أصدر فرمانه الشهير باختيارها راقصة مصر الأولى . . ومروراً بمعظم مواقفها الخاصة التى بلورت علاقتها من ناحية أخرى ببعض الزعماء السياسيين . .

ويبدأ مشوار حياة الطفلة سامية جمال - السيدة زينب - فى إحدى قرى الصعيد . . عندما تزوج أبوها الشيخ خليل إبراهيم من زوجة أخرى . . وعلى حد قول الناقد الفنى جليل البندارى : « كان والدها الشيخ المعمم متزوجاً من اثنتين أمها وسيدة أخرى . . وقد توفيت أمها وعمرها ثمانى سنوات . . وعاشت الطفلة السيدة زينب يتيمة لمدة خمس سنوات أخرى مع زوجة أبيها ، وقد ذاقت خلالها ألواناً مختلفة من الذل والهوان . . فكانت ترغمها على غسل الأوانى ومسح البلاط فلا تكاد تنتهى من هذا كله حتى تنهال عليها الشتائم ، لأنها تأخرت فى شراء الخضر واللحم . . وبعد أن تشترى حاجات البيت ، تبعث بها زوجة أبيها إلى إحدى جاراتها لتتولى مساعدتها أيضاً فى غسيل الأوانى ومسح البلاط [1] » . .

ولم تستطع الطفلة الصغيرة على حد قول « جليل البندارى » أيضاً بعد أن أصبح عمرها ١٤ سنة أن تصبر على هذا الذل . . ففى ساعة مبكرة من صباح أحد أيام عام ١٩٣٨ هربت السيدة زينب من مدينة الواسطى إلى القاهرة ، ونزلت ضيفة على شقيقتها الكبرى « فاطمة النبوية » . . وكانت فى ذلك الوقت متزوجة من موظف بإحدى المصالح الحكومية . . كما كانت هى نفسها تعمل حائكة ملابس للسيدات فأكرمتها شقيقتها فى بداية الأمر ، ومرت أيام ، ثم طردت الخادمة من البيت . . وقالت لأختها السيدة زينب

---

(١) راقصات مصر - مصدر سابق .

إن مدة الضيافة قد مرت وعليها من الآن أن تتولى شئون البيت . . وكان لها طفل عمره ستة أشهر ، وليس أشق على الفتاة الهاربة من شئ أن تجدفى انتظارها أمر البيت وفوقه غسل ملابس الطفل الرضيع . .

ويبدو أن الطفلة « السيدة زينب » سامية جمال فيما بعد كان لديها مكنون فى صدرها يميل بقوة ناحية الفن . . على الرغم من أنها كانت تعيش حتى سن الثامنة من عمرها فى إحدى قرى الصعيد وفى كنف أب تحيطه هالات دينية كثيرة من واقع عمله كشيخ معمم . . هذا المكنون المتراكم على مرأى ومسمع سنين عمرها ظل كامناً بداخلها حتى رأى النور فى ليلة واعدة قادتها إلى كازينو « بديعة » لتعمل به راقصة .

لقد كانت الفتاة « السيدة زينب » ذات الأربعة عشر ربيعاً . . تقضى وقت فراغها دائماً خلف شباك شقة أختها فى الحارة الضيقة التى كانت تسكن بها فى ذلك الوقت . . وكانت تسليتها الوحيدة آنذاك الاستماع إلى راديو المقهى البلدى الموجود بالقرب من المنزل . . حتى يرجع ابن الجيران من عمله ليجلس هو الآخر فى النافذة التى كانت بالشقة السفلى . . وكان ذلك الشاب إيرانى الجنسية وكان يعمل موظفاً فى إحدى الشركات . . وفى أثناء جلوسه هكذا يبدأ فى العزف على عوده ويغنى أغنية لفريد الأطرش « الحب من غير أمل » . .

هذا الشاب نفسه - كما يروى جليل البندارى - كان السبب فى حلاقة شعرها الطويل . . ثم نفورها من عيشتها مع أختها . . والهروب إلى الواقع والحلم . . إلى صالة الرقص . . لقد هربت السيدة زينب من بيت أختها بعد

ما ضربتها فى إحدى المرات عندما رجعت من السينما . . ولم تكن تعلم أين تذهب . . فذهبت إلى إحدى صديقاتها فى نفس الحارة ، واختفت عندها عدة أيام . .

ولما هدأت عاصفة البحث عنها . . انتقلت إلى بيت صديقة أخرى فى حى آخر ، يبعد عن هذا الحى بأربع محطات ترام [٢] . . وفى أحد الأيام تعرفت بموظف فى إحدى الوزارات وسألها عن أمنيتها فقالت : أريد أن أرقص . . فذهب بها إلى بديعة مصابنى ، قبل أن تفتتح موسمها الشتوى الجديدة بكازينو أوبرا عام ١٩٤٠ . .

ويقول جليل البندارى فى بقية حكايته : إن بديعة مصابنى هى التى اختارت لها اسم « سامية جمال » . . كما أنها دخلت الفن من باب الكومبارس فى كازينو أوبرا . . ثم انضمت إلى راقصات الصف الثانى بمرتب ثلاثة جنيهات فى الشهر . . وبعد شهرين منحتها بديعة علاوة ثلاثة جنيهات أخرى .

* * *

وإذا ما أعدنا قراءة ما كتبه الناقد الفنى الشهير الراحل جليل البندارى بدقة عن مشوار حياة سامية جمال . . لاشك أننا سوف نكتشف العديد من المبالغات وكذلك المعلومات الناقصة التى كانت فى حاجة إلى استكمال . . وبالبحث والتنقيب فى أوراق سامية جمال تمكنا من استكمال ذلك النقص وعلاج تلك المبالغات . . ومن يتعابعنا بعد الآن سوف يلمس ذلك بوضوح . . من واقع ما ذكرته سامية جمال فى العديد من الأحاديث والتصريحات الصحفية .

---

(٢) المصدر السابق .

ففى مجلة « دنيا الفن » الصادرة عام ١٩٤٧ . . وتحت عنوان « تحقيق الشخصية » - من أرشيف دنيا الفن . . نشرت المجلة تقول عن سامية جمال :

- الاسم : زينب خليل إبراهيم محفوظ
- تاريخ الميلاد : ٢٧ يونية عام ١٩٢٤
- محل الميلاد : دنا القس - بنى سويف .
- الديانة : مسلمة . .
- الجنسية : مصرية
- الاخوة : أخوان . . وأخت واحدة
- الطول : ١٦١ سم والوزن ٦٢ ك ومحيط الخصر ٧٠ سم
- طول القدم : ١٧,٥ سم
- لون الشعر : أسود والعينان عسليتان والبشرة سوداء . .

أما مجلة « الصباح » الصادرة فى عام ١٩٥١ . . فقد جاء بها عن سامية جمال تحت عنوان : « سامية جمال » تقول :

« جلست سمية جمال تروى لبعض أصدقائها بعض ذكرياتها القديمة أيام أن كانت تبحث عن الشهرة ولا تحصد إلا الشقاء ، وأمسكت سامية جمال بمفكرة صغيرة وراحت تقرأ منها المعلومات التالية :

قالت سامية : ولدت فى يوم ٢٦ يونيو عام ١٩٢٥ بمدينة بنى سويف . . وفى عام ١٩٤٠ التحقت بصالة « بديعة » بوظيفة « كورس » للألحان بمرتب ثلاثة جنيهات . . وفى أول فبراير عام ١٩٤٢ التحقت بفرقة « الرولز »

بمرتب ١٥ جنيهاً فى الشهر . . وقد اشتريت بخمسة جنيهات فول وعيش . . وزعتها على فقراء السيدة زينب . .

وفى ٢٠ يوليو من نفس العام سافرت إلى الإسكندرية لأول مرة لأعمل هناك فى أحد الملاهى بمرتب ٣٠ جنيهاً فى الشهر . . وفى أول أكتوبر عدت إلى القاهرة لأعمل فى ملهى « الرولز » مرة أخرى بعد زيادة مرتبى من ١٥ إلى ٢٥ جنيهاً . .

وفى أول أبريل عام ١٩٤٣ . . اتفق معى أحد المنتجين لأقوم بدور البطولة فى فيلم « من فات قديمه » بأجر قدره ٧٠ جنيهاً دفعتها كلها ثمناً للملابس التى سأظهر بها فى الفيلم . . وفى أوائل أكتوبر عرض هذا الفيلم، وأصبت بالإنفلونزا بعد أن سقط سقوطاً باهراً . . ، واستقبلته الجماهير استقبالا غير كريم . .

وفى ديسمبر من نفس العام ، وقعت عقداً مع المطرب محمد عبد الوهاب لأقوم بدور البطولة فى فيلم «تاكسى حنطور» . . وكان هذا الفيلم هو الذى دخلت منه إلى طريق الشهرة والمجد . . فقد اعتزلت بعده العمل بالصالات ، وتفرغت للعمل بالسينما ، واشتركت فى أكثر من ٦٠ فيلما . . وكانت أمنيتى أن يكون اسمى ملء الأفواه والأسماع فى جميع أنحاء العالم . . فحقق لى هذه الأمنية بعدما خطبنى زوجى «شبرد كينج» [٣] . .

* * *

ومن خلال متابعة متأنية لقصة حياتها اكتشفنا وجود العديد من أوجه

---

(٣) مجلة الصباح الصادرة بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٥١ .

الشبه فيما يخص تفاصيل حياة كل من ضيوف هذه الأوراق من فريق الرقص الشرقى الذين انضموا للحقل السياسى وهم بطبيعة الحال كل من حكمت فهمى وتحية كاريوكا وسامية جمال . . والغريب أن ذلك التشابه ليس على إطلاقه . . وإنما كانت - فقط - هناك نقاط تشابه واختلاف بين كل والأخرى دون الثالثة . .

فمثلا وجدنا أن كلاً من حكمت فهمى وسامية جمال ينتميان إلى منطقة ميلاد واحدة . . الأولى ولدت فى محافظة المنيا . . ونزحت بعدها إلى القاهرة . . والثانية كانت كذلك . . وقد ولدت فى مدينة بنى سويف . . وفى الوقت الذى خرجت فيه حكمت فهمى من عالم الرقص إلى عالم السياسة . . كانت زميلتها سامية جَمال على أبواب ذلك العالم . . الذى كان يبدأ دائما من صالة «بديعة مصابنى» .

وبالمثل كانت هناك كذلك نقاط تشابه عديدة بين كل من سامية جمال وتحية كاريوكا . . وربما عناصر هذا التشابه كانت أكبر مما سبق الحديث عنه فيما كان بينها وبين حكمت فهمى . . فتحية كاريوكا . . صاحبة الرصيد الفنى الكبير فى هز الوسط السياسى . . كانت قد سبقت زميلتها سامية جمال فى هذا الميدان ربما بسنتين أو أكثر على الأقل . . وكانت سامية جمال فى الوقت نفسه إحدى تلميذاتها النابغات فى صالة بديعة إلى أن أخذت بيدها عام ١٩٤٢ نحو عالم الشهرة . . وكما ذكرت سامية جمال ذلك بنفسها . .

بجانب ذلك كان هناك أيضًا عنصر آخر مشترك فى ذلك التشابه . . وقد تبلور ذلك العنصر بوضوح فى الظروف الاجتماعية المتشابهة والتى جمعت بين الراقصتين ولسوف ينضم تشابه تلك الظروف أكثر حين تتطوع سامية

جمال لكى تحكى لنا وللتاريخ تفاصيل ظروفها الاجتماعية . . فإذا كانت تحية كاريوكا قد وفدت إلى القاهرة هاربة من عذاب أهلها عندما كانت تقيم معهم فى منزل والدها بمدينة الإسماعيلية فإن سامية جمال تتشابه معها فى هذه الناحية مع اختلاف مدينة الإقامة والأهل مصدر التعذيب .

أما بالنسبة لحكمت فهمى فربما لو كانت حكت لنا عن ظروف حياتها الاجتماعية والأسباب التى دعتها فى هذه السن المبكرة للعمل فى صالات الرقص . . بعدما هربت من أهلها فى المنيا لكانت تلك المقارنة أكثر حيوية . . ذلك وبما يخدم مهنة هز الوسط السياسى . .

وبشكل عام نستطيع القول أن ما بين هؤلاء الثلاث من أعضاء الفريق الفنى فى عالم الرقص السياسى . . هو اختلاف دور كل منهما داخل الملعب السياسى فحكمت فهمى وكما مر علينا . . أوقفت كل حياتها الفنية من أجل عيون القضية المصرية التى ارتبطت آنذاك بوجود الاحتلال البريطانى . . كما تبلورت كل جهودها السياسية فى فترة نشوب الحرب العالمية الثانية . . وبالعكس كانت تحية كاريوكا . . فقد ارتبطت سياسيا بموقف العداء المبكر لثورة يوليو . . ذلك تضامنا مع أحد أزواجها الثلاثة عشر رغم أنها قد تأثرت فى فترة مبكرة من حياتها بالقضية المصرية الخاصة بالاحتلال البريطانى لمصر أيضاً .

ثم يأتى دور سامية جمال سياسيا . . وهو دور كما سوف نعرف بعد قليل قد اختلف اختلافا واضحا فى التفاصيل بين دور كل من حكمت فهمى وتحية كاريوكا . . هذا الدور الذى ارتبط بها من خلال علاقتها المتميزة جداً بالملك فاروق ، وذلك بدءا من عام ١٩٤٩ مما جعلها من محظيات ملك

البلاد . . ومن ضيوف قصر عابدين المستديمين . . بل ومن ضيوف غيره من القصور الملكية . . ذلك بحكم وظيفتها «الراقصة الرسمية لمصر» . .

وعلى كل حال . . سوف تتضح معالم تلك المقارنة الحية . . بعدما نستمع لحديث سامية جمال عن ظروفها الاجتماعية الصعبة التى أتت بها إلى عالم الرقص السياسى على الرغم من أننا قد استمعنا لبعض هذه التفاصيل من قبل ، ولكن حين نوردها على لسان صاحبتها سيكون للحكاية لا شك طعم آخر . .

تقول سامية جمال : «تتزاحم الحوادث والقصص والمآسى التى عرفتها فى طفولتى وأنا أستخلص من بينها قصة حياتى مع الرقص . . ولا بد من مقدمة سريعة أروى فيها بعض هذه الحوادث التى مهدت لى فكرة الاتجاه إلى الرقص . . وسأوجز ما وسعنى الجهد حتى لا أطيل عليكم أو أملأ نفسى حزنا وأسى على ما عانيته أيام كنت طفلة صغيرة أعيش مع زوجة أبى . . بعد أن ماتت أمى . . وكانت هذه الزوجة تبتكر وتتفنن فى اختراع أحدث أساليب التعذيب حتى أصبح تعذيبها لى هو تسليتها الوحيدة متى ثارت أعصابها لأى سبب من الأسباب . . لقد كانت وسيلتها لتهدئة أعصابها هو أن تنهال على ضربًا . .

وذات يوم طلقها أبى بغير مقدمات ، وخرجت من البيت لتحل محلها زوجة أخرى . . وأحسنت الظن بها فى اليوم الأول بعد أن رأيت على وجهها ابتسامة هادئة لا تنم عن شر ، ولكن لم يمض شهر واحد حتى تكشفت حقيقة الزوجة الجديدة . . كانت من ذلك النوع من البشر الذى ترتاح نفسه وهو يرى غيره يتألم ويتوجع . . وكانت ترهقنى بالعمل فى

البيت بينما هى جالسة تدردش مع الجيران، وتشكو لهن سوء حظها الذى أوقعها فى زوج يرهقها بخدمة أولاده . .

وحتى إذا انتهيت من أعمال البيت تركت الجيران لتبدأ فى ضربى وشتمى بلا سبب . . فإذا اقترب المساء وهو موعد عودة أبى انفرجت أساريرها عن ابتسامة مشفوعة بكلمات تهديد إذا أنا فتحت فمى بالشكوى لوالدى . .

وذات يوم قررت أن أتخلص من هذا العذاب وكانت لى صديقة من الجيران تعطف على عطفا شديدا وهيأت لى فرصة الالتحاق بعمل عند حائكة ملابس . . وبقدر فرحتى من التخلص من عذاب زوجة أبى بقدر حزنى على أن هذه الخياطة كانت أكثر قسوة وأغلظ يدا ولسانا ، وقد احتملت هذه القسوة والغلظة لأن فيها إنقاذا لى من عذاب زوجة أبى . . ولكن لسوء الحظ الذى لازمنى فى تلك الفترة والذى شاء أن يرحمنى من هذه الغمة . . فقد حدث أن هذه الخياطة التى كنت أسميها «المعلمة» ثارت لسبب تافه وطردتنى من المشغل بعد أن ضربتنى بقسوة . .

وعدت إلى زوجة أبى وعذابها من جديد . . وذات يوم صحبتنى صديقتى المدرسة إلى إحدى دور السينما حيث شاهدت فيلم «ملكة المسرح» بطولة السيدة «بديعة مصابنى» . . ومنذ تلك الفترة أو تلك اللحظة ولدت فى نفسى فكرة الاشتغال بالرقص ! ! ! (*) .

وبعد أيام مات أبى وقررت الزوجة أن تتخلص منى بأية حيلة بأن تزوجنى لعمدة أحد البلاد الريفية ، ولكننى هربت من البيت . . فقد كان أول رجل تقدم للزواج منى وقد بلغ سنه السبعين . .

(*) علامات التعجب من وضع كاتب هذه السطور .

هربت من البيت إلى مدرسة للرقص . . كنت أعرف من بين فتياتها فتاة من أهل الحى الذى كنت أعيش فيه ، واستقبلتنى استقبالا طيبًا وقدمتنى إلى مدير المدرسة الذى راح يتأملنى من الرأس إلى القدمين ، ثم قرر أن يلحقنى من بين فتيات تلك المدرسة ، فى وظيفة مدرسة . . نعم مدرسة للرقص . . وأى نوع من الرقص الرقص الأفرنجى «التانجو» «الفوكس» و «الفالس» . . أخاصر الرجال الذين يحضرون إلى هذه المدرسة . . وأعلمهم كيف يرقصون . .

وبدأت حياتى الجديدة بعد أن صممت على أن أجعل من حلمي حقيقة وهى أن أعمل بالرقص البلدى . . وذات يوم جاء تلميذ إلى مدرسة الرقص وكان من عادتى أن أحدث كل تلميذ عن هوايتى للرقص الشرقى . . ولكن أحدا لم يكن يهتم بما أقوله . . إلا هذا التلميذ الأخير الذى وعدنى بأن يقدمنى للسيدة بديعة مصابنى ملكة المسارح الاستعراضية وقتئذ . . وبالفعل أنجز وعده وقدمنى لها فى صالتها التى كانت تقع فى نهاية شارع عماد الدين . .

وبعد امتحان فيه سؤال وجواب . . أصدرت أمرها بإلحاقى راقصة بفرقتها . . وأمرت مدير الصالة بأن يجعل الفرقة الموسيقية تجرى «بروفات» معى على الرقصة التى سوف أقدمها . . واهتزت أعصابى وأنا قريبة من تحقيق الحلم الذى تمنيت أن يتحقق بعد أن شاهدت فيلم «ملكة المسارح» وازدادت هزات أعصابى عندما اقترب موعد ظهورى على المسرح فى اليوم التالى . . وكانت الصالة تعج بالجمهور . . وارتديت بدلة الرقص والحذاء الفضى الذى كان من عادة راقصات ذلك الوقت أن يلبسنه فى أقدامهن مع بدلة الرقص . .

وأعلن مدير الصالة عن ظهورى . . وقدمنى على أننى «مفاجأة جديدة فى الرقص الشرقى» ، وساد صمت رهيب بين جمهور الصالة، ورفع الستار وعزفت الموسيقى كمقدمة لظهور الراقصة . . ولم أدخل . . وعزفت مرة ثانية وثالثة وأنا واقفة وراء الكواليس . . وكأن قيداً قد ربطنى فى المكان الذى أقف فيه إلى أن فوجئت بزميلة تدفعنى دفعًا إلى المسرح . . ووجدت نفسى فجأة أمام الجمهور الذى كان فى انتظار ما سوف أقدمه من فن الرقص . .

وحاولت أن أصنع شيئًا . . أن أتحرك . . أن أمشى . . ولكن القيد الذى كان يشل حركتى كان يزداد لحظة وراء لحظة . . وكانت الفرقة الموسيقية تعزف وأنا ذاهلة . . فيضج الناس بالضحك وتعالت كلمات السخرية والصفير وسمعت أصواتاً تصرخ : نزلوها . . إيه ده ؟ .

ووجدت نفسى أبكى وكأنى أستعطف الناس بدموعى أن يرحمونى من قسوتهم . . وأسدل الستار . . وإذا أمامى «بديعة مصابنى» تصرخ فى وجهى بكلمات كلها شتائم . . ثم قررت ألا تظهرنى على المسرح مرة أخرى . . وتدخل وسطاء الخير وأقنعوا بديعة بأن تمنحنى فرصة أخرى . .

وفى اليوم التالى صعدت إلى المسرح وارتفع الستار وخرجت إلى الجمهور وأحسست أن حذائى الفضى الذى دفعت فيه مبلغًا كبيراً هو القيد الذى يمنعنى من الحركة . . فقررت أن أتخلص من هذا القيد، وخلعت الحذاء واندفعت إلى الرقص حافية القدمين . . ونسيت كل شىء وظللت أرقص ساعة كاملة، وأسدل الستار وسط تصفيق وهتاف الجماهير وإصرارهم على أن أعود لأرقص مرة ثانية . . وعدت ورقصت نصف ساعة أخرى . . وأسدل الستار بين الهتافات والتصفيق . . وتلقفتنى بديعة مصابنى بين ذراعيها تهنئنى على هذا النجاح . .

ومنذ ذلك اليوم وأنا أرقص حافية القدمين . . بل إن الرقص الحافى أصبح موضة تقلده كل الراقصات . . ثم أصبحت بعد ذلك من بين الراقصات المعروفات وبدأت أخطو خطوات فنية أخرى[٤] . .

وإذا ما عدنا إلى ما كنا قد نوهنا عنه من قبل بخصوص أوجه الشبه فى المقارنة بين ضيوف هذه الأوراق من فريق الرقص وهز الوسط السياسى . . نلاحظ فى هذا السياق أن الراقصة « بديعة مصابنى » كانت هى الأرض الخصبة التى نبتت فوقها كل فنون الرقص المصرى فى فترة الأربعينات من هذا القرن ، وبالتالى كان لها الفضل الكبير فى ظهور الرقص المصرى فى فترة الأربعينات من هذا القرن ، وبالتالى كان لها الفضل الكبير فى ظهور العديد من أشهر الراقصات المصريات آنذاك . ولذلك نستطيع القول بأن بديعة مصابنى قد شاركت ولو بشكل غير مباشر فى تنمية الحركة السياسية المصرية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . . وذلك لما قدمته من عناصر تلك الحركة من الراقصات اللاتى أقدمن على الحياة السياسية بقلب قوى كقلب الأسد .

وعلى الرغم من ذلك كانت امرأة غير مصرية . . ووافدة من بلاد جبال لبنان ولم يكن يعنيها من وراء هذا الفن سوى الكسب المادى دون غيره . . والدليل على ذلك أنها بعد قيام ثورة يوليو قامت بتهريب أموالها إلى الخارج ثم لحقت بهذه الأموال التى أعانتها على إعادة نشاطها الفنى فى جبال لبنان موطنها الأصلى .

---

(٤) حياتى مع الرقص ـ الكواكب فى ١٩٦٦/٩/٦ .

والباحث المنصف الذى يتصف بالحيادية . . يمكن له أن يقدم العديد من الدلائل الخاصة والتى تظهر دور بديعة مصابنى فى الحركة السياسية المصرية وذلك من واقع ما قدمته من راقصات ساهمن فى تلك الحركة . . وكما مر علينا من قبل .

وقد يكون فى ذلك القول غرابة لأصحاب العقول التى حصرت نفسها فى دائرة ضيقة . . لا تخرجها عن النظرة الفنية المصحوبة بهز الوسط وجميع الأموال . .

وعلى أية حال . . فقد رأينا أن الحديث عن الدور السياسى غير المباشر الذى لعبته الفنانة « بديعة مصابنى » فى تاريخ مصر ربما يكون مدخلاً مثيراً للحديث عن الدور السياسى الذى لعبتة الراقصة سامية جمال من داخل غرفة نوم الملك فاروق . . على اعتبار أن صالة بديعة كانت المكان الذى شهد تألق الراقصة سامية . . . وبالتالى أهّلها ذلك التألق لتتبوأ مكانة الراقصة الرسمية لمصر آنذاك . . وبقرار رسمى من ملك البلاد . .

والغريب أننا حين حاولنا البحث عن المزيد من المعلومات عن تلك العلاقة التى ترددت بقوة قبل ثورة يوليو بين الملك والراقصة لم نوفق فى ذلك من هنا انحصر مصدر هذه المعلومات فيما كتبه الأستاذ مصطفى أمين فى مطلع عام ١٩٥٢ ونشره فى أخبار اليوم . . ضمن سلسلة مقالاته الطويلة عن الملك فاروق . . والجزء الخاص بسامية جمال نشره تحت عنوان « بدأت قصة سامية جمال » . .

ومن خلال بحثنا عن تكذيب أو ردود أفعال خاصة تجاه ما نشره الأستاذ مصطفى أمين من تفاصيل عن العلاقة الغرامية بين سامية جمال والملك

فاروق . . وجدنا بعض السطور القليلة التى أدلت بها الراقصة سامية جمال فى إحدى مقابلاتها الصحفية . . والتى نشرت بعد عام تقريباً من نشر سلسلة غراميات سامية جمال . .

ففى مجلة المصور عام ١٩٥٣ . . نشر موضوع تحت عنوان « المصور تستجوب سامية جمال» جاء فى بعض سطوره رداً على ما وجه إليها من أسئلة صحفية :

* ما سبب حضورك إلى مصر فجأة ؟

ما كادت سامية جمال تستمع إلى السؤال حتى فتحت حقيبتها السوداء الصغيرة وأخرجت منها تذكرة عودة إلى أمريكا ، وأجابت وهى تشير إلى التذكرة فى يدها :

- أولاً يجب أن تعرف أننى لن أسعد بوجودى فى بلدى سوى أربعة أسابيع فهذه تذكرة العودة إلى أمريكا بالطائرة يوم ٢٦ مايو . . . ولا بد من الرحيل فى هذا الموعد المحدد . .

أما سبب حضورى الآن فإننى كنت أريد من قبل أن أقوم بزيارة وطنى ورؤية أهلى وأصدقائى . . فقد شعرت دائماً بحنين إلى مصر . . وكنت أقف من الصحف على تطورات الحالة فيها ، فأفرح معكم للمواقف السارة وأفخر مثلكم بما وصلنا إليه من حرية على يد الجيش (*)

(*) نلاحظ أن هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى تتحدث فيها الراقصة سامية جمال عن حياة مصر الوطنية . . ويبدو أن حديثها آنذاك كان مجاملة لرجال الثورة رداً على ما أشيع عنها بخصوص علاقتها مع الملك السابق فاروق . .

* وما قولك فيما أذيع عنك خاصة مع الملك فاروق ؟ .

- سامحهم الله . . أولئك الذين يغرمون باختراع الروايات . . إن كل ما فى الأمر أننى رقصت مرة بقصر عابدين كأى فنانة تدعى إلى حفلات القصر . . ويكفى أن تعلم لكى تدرك مدى سعة خيال الناس أننى لم أسترع فى رقصى انتباه الملك . . حتى أننى لم ألاحظ أنه صفق لى ، ولو من باب التحية والتشجيع . . ولقد علمتنى الحياة الواقعية فى أمريكا ألا أعبأ إلا بالحقائق ، ولم يكن أمامى فراغ من الوقت لأقضيه فى الرد والتكذيب . . فاكتفيت بأن أقول « سامح الله الجميع »(٥) .

* * *

وأمام ندرة المعلومات عن النشاط السياس لسامية جمال لم يكن أمامنا سوى اللجوء لكل ما كتبه الأستاذ مصطفى أمين نقرأه ونفند ما به من معلومات ثم نختار منه ما يناسب مقام هذه الأوراق . . وكذلك مقام صاحبة هذه الحكاية .

والملحوظة الواجب الإشارة إليها فى هذا السياق . . قبل مناقشة ما أثاره مصطفى أمين . هى أن قصة سامية جمال والملك فاروق لم تكتب بشكل منفرد عمن غيرها من قصص فساد ذلك الملك وعلاقاته المشبوهة . . بل جاءت ضمن قصته مع الرجل الذى اتهم بأنه على علاقة مع زوجته الملكة فريدة . . وهو الوجيه « وحيد سرى » .

---

(٥) مجلة المصور فى ٨/ ٥/ ١٩٥٣

وكان قرار المحكمة بتبرئته والإفراج عنه بمثابة النار التى اشتعلت بداخل صدر الملك فاروق . . وكان وقتذاك فى حاجة إلى بلسم هادىء يطفىء له هذه النيران . . فكانت سامية جمال ذلك البلسم الشافى .

ففى تلك الليلة على حد قول الراوى . . حار حاشية الملك ماذا يفعلون لتهدئته . . حيث رآه بعض خدمه يكاد يبكى من شدة الغيظ لأن القضاء برأ « وحيد سرى » . . وقد اعتبر فاروق ذلك العمل من جانب القضاء مؤامرة للانتقام منه .

لقد كان فاروق يومها أشبه بالمحموم ، وكانت كل المحاولات التى بذلت لتهدئته تزيد من ثورته ، وتضاعف سخطه على كل من كانوا حوله . . وفى تلك الليلة أيضاً أراد « بوللى » أن يهدىء الثور الهائج فـفكر فى أن يجىء بالراقصة سامية جمال .

وبدأت سامية جمال - على حد قول الأستاذ مصطفى أمين - ترقص . . وكانت ترتدى ثوباً للرقص يكشف عن كل ما أمر بستره قانون العقوبات ومع ذلك فقد كان فاروق لحظتها مملوءاً بالغيظ والكراهية لوحيد سرى . . فلم يكن قلبه مستعداً وقتذاك لقبول سامية جمال . . بل لعل المحيطين بالملك شعروا أنه لم يحس بها فى تلك الليلة .

ولقد أراد حلاق الملك الخاص « مستر بترو » أن يلفت نظر مليكه إلى الراقصة الحسناء . . دون جدوى . . حتى عندما عادت سامية جمال للرقص من جديد فلم يطلب منها فاروق ذلك . . بل كان رجال حاشيته هم الذين طلبوا منها ذلك حتى تستطيع أن تعدل من مزاج الملك . . وراحت ترقص هذه المرة فى ثوب أشد فتنة وإثارة من الثوب الأول تحت أضواء اللون الأحمر الخافت .

وترك الملك فاروق هذه السهرة فى منتصفها . . إن سامية جمال لم تعجبه . . وإن كل رقصاتها المثيرة لم تستطع أن تثيره هو . . وكان هذا الأمر الغريب يثير دهشة من حوله من رجال حاشيته الذين صاحبوه فى نزواته مثل هذه الليلة .

وعرف هؤلاء أيضاً أن سامية جمال لم تثر عواطف فاروق . . وكان فاروق يسميها « سمجة جمال » لا « سامية جمال » . . وكان يحملها مسئولية الليلة المؤرقة التى أمضاها . . وكأنها هى السبب . . وكأنها هى التى حكمت ببراءة « وحيد سرى » .

ومرت الأيام . . وكان معروفاً أن سامية جمال تحب الموسيقار فريد الأطرش . . وكانا قد اتفقا على الزواج . . كما كان فريد يعلن أن سامية زوجته المقبلة .

وذات يوم دخل فريد الأطرش إلى مكتبى شاحباً أصفر الوجه ، كرجل لم ينم منذ عدة أعوام . . وكان يرتجف كالخائف وقد ظننت أنه مصاب بالملاريا . . فقد كان أشبه بمريض بحمى مجهولة . . لقد قال لى فريد الأطرش ساعتها : إن الملك خطف سامية جمال !!

* * *

وفى الحلقة التالية يكمل مصطفى أمين حكاية سامية جمال مع الملك فاروق فيقول : وقد أردت أن أعرف من فريد الأطرش التفاصيل ، ولكنه كان فى رعب وأفهمته أن اعترافه المقدس لن يخرج من فم الصحفى . . فأخذ يحكى لى التفاصيل . . وكانت قصة مروعة . . وكان ذلك فى عام ١٩٤٩ . . عندما قال الملك فاروق لبوللى : أريد الليلة سامية جمال .

ودهش الذين حوله لهذه المفاجأة . . فقد كان فاروق يراها ثقيلة الدم كما كان يبدى دائماً عدم الرضا عن فنها الراقص . . ولكن فاروق على حد قول



مصطفى أمين رآها ذات ليلة فى مكان عام مع فريد الأطرش . . وقد رأى فريد يجلس بجوارها كعاشق ولهان . . ومن يومها عرف فاروق أن فريد يحب سامية . . وهنا فقط شعر فاروق أنه يريد سامية جمال وأنه يجب أن ينتزعها من فريد .

وعلى الفور وتنفيذاً للإرادة الملكية السامية . . اتصل بوللى« بمسيو رفائيل » متعهد حفلات القصر وطلب منه سامية جمال وفرقتها . . وذهب رسول إلى سامية جمال يبلغها بإعجاب الملك . . وأنه يريدها أن ترقص أمامه فى القصر الملكى .

فرحت سامية بالخبر ، وذهبت لفريد الأطرش لا لتبلغه بإعجاب الملك فاروق بفنها وإنما ذهبت لتحدثه فى أمر زواجه منها . . بل وساومته على نفسها من أجل الزواج . . وقد خيرته فى لحظتها ما بين أن يتزوجها أو تتركه فوراً .

ودارت مناقشة طويلة بينهما حول هذا الموضوع . . حيث أصرت سامية جمال على أن يعلن فريد زواجه منها الآن . . وكانت وقتها تتزين فى غرفة فريد استعداداً للذهاب إلى الحفلة الساهرة التى يقيمها فاروق فى القصر فأخبرته بأنها ذاهبة الآن لترقص فى عابدين .

وخرجت سامية جمال . . وبقى فريد الأطرش ينتظر عودة سامية جمال من القصر . . ولكنها لم تعد . . لقد فهم أنها سوف ترقص نمرة واحدة فى القصر ثم تعود . . فسأل عنها فى كل مكان . . كما سأل عن اليخت الملكى فعلم أنه انصرف من قصر عابدين بعد منتصف الليل بقليل .

لقد ذهبت سامية جمال إلى القصر لأول مرة . . ورأت أقدامها الصغيرة تغوص فى سجاجيد القصر الفاخرة . . مع أنها قد دخلته من الباب

الخلفى . . وكل الذين رأوها فى هذه الليلة أحسوا أنها كالعروس جاءت لتزف إلى أمير أحلامها . . كما كانت تشعر وكأنه حلم من أحلامها كان يتحقق فعلاً . . وقد همس خادم القصر فى أذنها أن فاروق متيم بهواها . . وبالتالى أخذ ذلك الخادم ينصحها كيف تتصرف مع جلالة الملك . . ولم تكن سامية (مصطفى أمين) فى حاجة إلى أن تدرس كيف تعامل العشاق ، وإنما كانت تريد أن تتعلم كيف تعامل الملوك العشاق .

وبعد أن عادت فى اليوم التالى . . دارت بينها وبين فريد الأطرش الذى ظل ينتظرها طوال الليل مناقشة ساخنة عرف على إثرها أنها قد لفظته وارتمت فى أحضان غيره . . وكان هذا الغير هو الملك فاروق . . وقد روت لفريد تفاصيل ما دار بينها وبين الملك خاصة فى سيارته التى كانت تنهب الأرض ليلاً من قصر عابدين إلى ركن فاروق فى حلوان .

والغريب أن كل هذه التفاصيل قد انصبت على علاقتها بفريد الأطرش . . وفى نهاية السهرة الملكية - حدّثت بذلك فريد الأطرش - أخبرها فاروق بأنه سوف يجعلها راقصة مصر الرسمية .

ويورد لنا الأستاذ مصطفى أمين تفاصيل الحوار الذى دار بين سامية جمال والملك فاروق فيقول :

* سامية . . لم أتصور أنك تعس . . إنك دائماً كنت تبدو فى الحفلات التى أحضرها ضاحكاً باسماً .

- فاروق : هذا قناع أخفى به حقيقتى .

* سامية : إذن اتفقنا أنا أيضاً تعسة جداً .

- فاروق : سأصحبك إلى كل السهرات . . سأجلسك بجوارى فى السهرات الخاصة . . سأجعلك راقصة مصر الرسمية . . سأجبر كل باشوات البلد أن يحنوا رؤوسهم لك . . سأجعلك تشعرين أنك أحسن من أى سيدة فى مصر . . ولكن بشرط . .

* سامية : ماذا تطلب ؟

- فاروق : أن تقولى لى كل شىء بصراحة . . لا تكذبى على . . أن تقولى لى إنك تحبيننى عندما تحبيننى ، وأنك تكرهيننى عندما تكرهيننى (*) .

* * *

ويؤكد الكاتب الصحفى مصطفى أمين بعد ذلك أن الراقصة سامية جمال . . قد طلبت من الملك أن يحبها فقط . . ولم تطلب أى شىء آخر . . مما جعلها تنجح فى الاختبار الملكى الذى عادة ما كان الملك فاروق يعقده لكل امرأة يلتقى بها .

وكان الملك سعيداً أيضاً . . فقد انتصر على الموسيقار فريد الأطرش من الجولة الأولى . . إنه كان يحب الانتصارات ، ويفضل الانتصارات الرخيصة وكانت النتيجة المنتظرة . . « مبروك . . لقد قررت الآن أن تكونى صديقتى » .

وبناء على هذه النتيجة أمضت سامية جمال تلك الليلة فى غرفة الملكة فى ركن فاروق . . ولكنها عندما استيقظت لم تجد الملك بجوارها . . إنما

(*) سوف يلاحظ القارىء أن ما نقله لنا الأستاذ مصطفى أمين . . يغلب عليه الطابع الروائى . . ونحن نحاول قدر الإمكان استخلاص عناصر القصة وأسسها . . بدون تفاصيل مملة وذلك حتى نصل إلى تأصيل علاقة سامية جمال بالملك فاروق .

وجدت بوللى يدعوها من أجل أن يوصلها بسيارته إلى دارها ، حيث كان فى انتظارها فريد الأطرش . . وعندما سألت كيف تتصل بالملك مرة أخرى . . قالوا لها : عندما يريدك سوف يتصل بك .

وبعد هذه المقابلة بدأت سامية جمال تردد أن مقابلتها للملك فاروق إنما هو شرف عظيم لم تنله راقصة فى مصر من قبل . . لقد قال لها الملك إنها أول راقصة يحبها الملك . . وأنه عرف مئات الراقصات ، وعرف نساء كثيرات ولكنه لم يحب سوى مرتين . . وهى كانت الثانية .

وكانت سامية جمال على حد رواية مصطفى أمين تتعمد تكرار هذه العبارات خاصة أمام فريد الأطرش الذى رفض الزواج منها . . وذلك بهدف الانتقام منه . . على الرغم من أن فريد الأطرش كان يرجع إليه الفضل فى تأصيل نجومية سامية جمال عندما اختارها للعمل معه فى أدوار البطولة . . فى العديد من أفلامه السينمائية .

* * *

وعشقت سامية جمال الملك فاروق . . وبقيت فى دارها تنتظره . . وكلما دق جرس الباب تسرع إليه لتفتحه عسى أن يكون القادم هو الملك . . وكل تليفون يدق . . كانت تعدو إلى السماعة لتسمع صوته يدعوها إلى لقاء جديد . . ودق جرس الباب آلاف المرات ، ودق جرس التليفون مئات المرات ولم تسمع صوت فاروق يدعوها إلى اللقاء مرة أخرى .

وذات ليلة التقت به . . وكان ذلك فى أحد الأندية ولكنه تجاهلها تماماً ولم يلتفت إليها حتى خدم فاروق وحاشيته . . لم يتقدم منهم أحد لتحيتها . . لقد كانت سامية جمال فى ذهول . . وبالتالى عادت ليلتها إلى دارها حزينة . . يائسة فقد تصورت أنها أصبحت ملكة صغيرة لفاروق .

لقد عاشت سامية جمال مع الملك ملكة ليلة واحدة . . ثم عادت مخلوقة محطمة . . ومن يومها قررت أن تعود نادمة إلى فريد الأطرش . . لولا المكالمة التليفونية المفاجئة من الملك فاروق والتى جاءتها بعد قطيعة استمرت أكثر من أسبوع .

وفى هذه المكالمة . . كما يصور لنا مصطفى أمين . . اعتذر الملك لسامية جمال . . وأكد أنه حاول الاتصال بها عدة مرات فلم يجدها . . وأنه طلب منها كذلك أن تطرد خادمتها لأنها ردت عليه بقلة أدب .

وقال فاروق : « اطرديها . . إنها لا تعرف كيف تجيب على التليفون . . لقد طلبت رقمك منذ ثلاثة أيام . . وردت على الخادمة فطلبت منها أن تناديك لأتحدث إليك ، وسألتنى : من أنا ، فقلت لها : قولى لها واحد عاوزها . . فرفضت أن تقول لك قبل أن تعرف اسمى . . فقلت لها : السراى . . فصاحت فى وجهى السرايا الصفرا » .

وضحكت سامية جمال لأنها تعرف سلاطة لسان خادمتها . . وقد ظنت الخادمة أن الملك فاروق أحد الفضوليين الذين اعتادوا أن يعاكسوها بالتليفون فراحت تسبه وتلعنه .

لقد وصفته الخادمة بأنه من « الأوباش » . . وكان فاروق وقتها يتحدث بعصبية . . وكان مغيظاً لأن الخادمة شتمته بهذه القسوة . . وكان حانقاً أن توجه له الخادمة الألفاظ والسباب فلا يستطيع أن يرد عليها .

وفى هذه المكالمة أيضاً طلب الملك فاروق أن يقابلها فأصابتها الحيرة ؛ إنه لم يمض أكثر من ساعات بعد أن تم الصلح بينها وبين فريد الأطرش بعدما تعهدت بأنها سوف تقيم معه علاقة حب بدون زواج .

ولكن الملك يطلبها . . ويلح فى طلبه . . ويؤكد لها أنه لا يزال يعتبرها

المرأة التى يحبها . . إنه يقسم لها على ذلك . . وكانت سامية جمال على حد قول مصطفى أمين تميل فى قرارة نفسها إلى أن تذهب مرة أخرى لفاروق . . فقد عاد الأمل إليها من جديد بأن تصبح صديقة الملك الوحيدة . . ولكنها فى الوقت نفسه خشيت من أن يزهدها بعدما فهمته وفهمت مقاصده .

وبدون مقدمات أفهمته سامية جمال . . أنها عادت من جديد إلى فريد الأطرش . . فثار فى وجهها . . ثم ألح فى طلبها مرة أخرى . . وانتهت المكالمة التليفونية . . وبعد لحظات خلت إلى نفسها لتفكر فيما هو آت . . وكان قرارها الجديد أن تحتفظ بعلاقتها مع كل من الملك والموسيقار . . وقد وجدت فى هذا الطريق حلاً لجميع مشاكلها سواء مع نفسها أو مع أصدقائها .

وبالفعل راحت ترتب كل حاجياتها تمهيداً للاتصال . . والعيش مع فريد الأطرش . . كما كانت معه من قبل . . فى الوقت الذى كانت قد عقدت العزم فيه على تنفيذ طلبات الملك فاروق بعدما قررت أن تحضر إليه فى قصر عابدين فى الليلة التالية .

ولقد نجحت سامية جمال إلى حد كبير فى خداع كل من الموسيقار والملك . وفقاً لخطتها الجديدة . . ففى الوقت الذى كانت على علاقة بالملك فاروق تحضر إلى قصر عابدين لترقص له وحده . . كانت فى الوقت نفسه تمنى نفسها باستمرار علاقتها مع الموسيقار فريد الأطرش .

وطوال عدة أشهر . . تمكنت سامية جمال من تأكيد علاقتها بالملك فاروق كما كانت تتمنى . . فكان يأخذها معه فى رحلاته مع ضيوفه . . وكثيراً ما كانت تحضر معه كذلك بعض لقاءاته ببعض الزعماء السياسيين .

* * *

وانتهت رواية مصطفى أمين . . حيث أوقعها حظها العاثر - كما كانت ترجو - فى فترة كان يعيش فيها الملك فاروق أوج حياته فى عالم الفساد والفسوق ، إذ كان فى ذلك الوقت بدون زوجة بعدما طلق زوجته الأولى الملكة فريدة . . وكانت بذلك المرأة الثانية التى كان يراها ويراهن عليها فى علاقاته الخاصة مثلما كان مع وصيفة القصر ناهد رشاد .

ولاشك أن حياة الملك فاروق بدون زوجة فى هذه الفترة . . قد قوى الحلم داخل صدر سامية جمال . . حيث تصورت نفسها تجلس مكان ملكة مصر . . على كرسى العرش . . بعدما نامت ليلة واحدة فى مخدع الملكة .

ولولا قبول الملك فاروق مبدأ الزواج من امرأة أخرى غيرها . . وهى ناريمان . . لظل حلم سامية جمال يكبر حتى يصطدم بعرش الملك . . وعلى ذلك نستطيع أن نقول : إن حلم الفوز بعرش فاروق بعد رحيل زوجته الأولى عن ذلك الكرسى . . قد انحصر فى ثلاثة نسوة . . الأولى كانت ناهد رشاد . . وصيفته المحظية . . والثانية كانت الممثلة والراقصة كاميليا « ليليان كوهين » . . أما الثالثة فكانت سامية جمال .

والغريب أن الملك فاروق بعدما قرر الاقتران من ناريمان فكر بجدية فى التخلص من هؤلاء الثلاثة مرة واحدة ، فدبر لكاميليا الموت داخل طائرة محترقة لأسباب سياسية خاصة تتعلق بعلاقتها مع الموساد . . وكما مر علينا من قبل . . ثم ناهد رشاد . . حين سمح لها أن تقع فى غرام الضابط مصطفى كمال صدقى الذى وعدها بالزواج منه . . وهو نفس الضابط الذى وقعت فى غرامه فيما بعد الراقصة تحية كاريوكا فتزوجها . . وأخيراً سامية جمال التى عرفت مصر كلها بعلاقتها مع الملك فاروق . . لذلك حاول

إبعادها عن مصر فى تلك الفترة . . فدبر لها حادث زواجها من المليونير الأمريكى « شيبرد كينج » . . وقد تمكن بالفعل من أن يهيىء لها إقامة دائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية . وحتى قيام ثورة يوليو كانت هناك تنعم بأيام زواج مع ذلك المليونير الأمريكى الذى أسلم . . واتخذ لنفسه اسماً عربياً هو « عبد الله كينج » .

ولاشك أن الموسيقار الراحل فريد الأطرش لم يكن بعيداً عن كل هذه الأحداث . . بل عاش بنفسه خداع الراقصة التى أحبها بصدق . . مع أنها حاولت استغلال علاقتها بالملك فاروق لإجباره على الزواج منها . ولولا قوة شخصية وصمود فريد الاطرش لاستسلم بالفعل للإرادة الملكية . . ولأصبح فى ذمة التاريخ الزوج الأول للراقصة سامية جمال .

وعلى أية حال . . فقد أمضت سامية جمال فى الولايات المتحدة الأمريكية حوالى سنة ونصف . . عاشت خلالها ترقص فى الملاهى والكازينوهات وهى بجوار زوجها المليونير . . ولم تعد إلى مصر مرة أخرى إلا فى أوائل عام ١٩٥٤ . . بعد طلاقها من الأمريكى .

وفى عام ١٩٥٨ تزوجت من الفنان الراحل رشدى أباظة . . وعاشت معه قرابة سبعة عشر عاماً . . ومن بعدها قررت الابتعاد عن عالم الرقص والسياسة . حيث ظلت تعيش فى عزلة حتى عام ١٩٨٤ . . حتى أقنعها الفنان سمير صبرى بالعودة لفن الرقص فعادت إليه مرة أخرى . . وظلت ترقص لمدة عامين . . وفى عام ١٩٨٦ . . اعتزلت الفن ولزمت منزلها . . حتى توفيت فى أول ديسمبر عام ١٩٩٤ .

ولعل خير ختام لتلك الجولة السياسية والفنية فى حياة سامية جمال . . ذلك القول الذى سجله لنا الناقد الراحل جليل البندارى . . والذى يعرفنا بجانب آخر من جوانب علاقتها ببعض السياسيين من الزعماء .

يقول جليل البندارى : « فى سنة ١٩٥٠ . . رقصت سامية جمال فى دوفيل بفرنسا على أوركسترا يتكون من ١٦ عازفاً . . وكان فى حضور الملك فاروق . . ونشرت صورها فى مكان بارز من جميع الصحف الصادرة آنذاك . . وقبل أن تعود إلى مصر دعيت لترقص فى احدى الحفلات الخيرية فى « اكس ليبان » . . وحضر رفعة النحاس باشا هذه الحفلة . . وعلم أنها رقصت بدون أجر . . حيث رفضت أن تتقاضى أجراً . . فلما ذهبت لتصافحه قال لها :

« طولتى رقبتنا مرتين » !!

* * *

إبعادها عن مصر فى تلك الفترة . . فدبر لها حادث زواجها من المليونير الأمريكى « شبيرد كينج » . . وقد تمكن بالفعل من أن يهيىء لها إقامة دائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية . وحتى قيام ثورة يوليو كانت هناك تنعم بأيام زواج مع ذلك المليونير الأمريكى الذى أسلم . . واتخذ لنفسه اسماً عربياً هو « عبد الله كينج » .

ولاشك أن الموسيقار الراحل فريد الأطرش لم يكن بعيداً عن كل هذه الأحداث . . بل عاش بنفسه خداع الراقصة التى أحبها بصدق . . مع أنها حاولت استغلال علاقتها بالملك فاروق لإجباره على الزواج منها . ولولا قوة شخصية وصمود فريد الاطرش لاستسلم بالفعل للإرادة الملكية . . ولأصبح فى ذمة التاريخ الزوج الأول للراقصة سامية جمال .

وعلى أية حال . . فقد أمضت سامية جمال فى الولايات المتحدة الأمريكية حوالى سنة ونصف . . عاشت خلالها ترقص فى الملاهى والكازينوهات وهى بجوار زوجها المليونير . . ولم تعد إلى مصر مرة أخرى إلا فى أوائل عام ١٩٥٤ . . بعد طلاقها من الأمريكى .

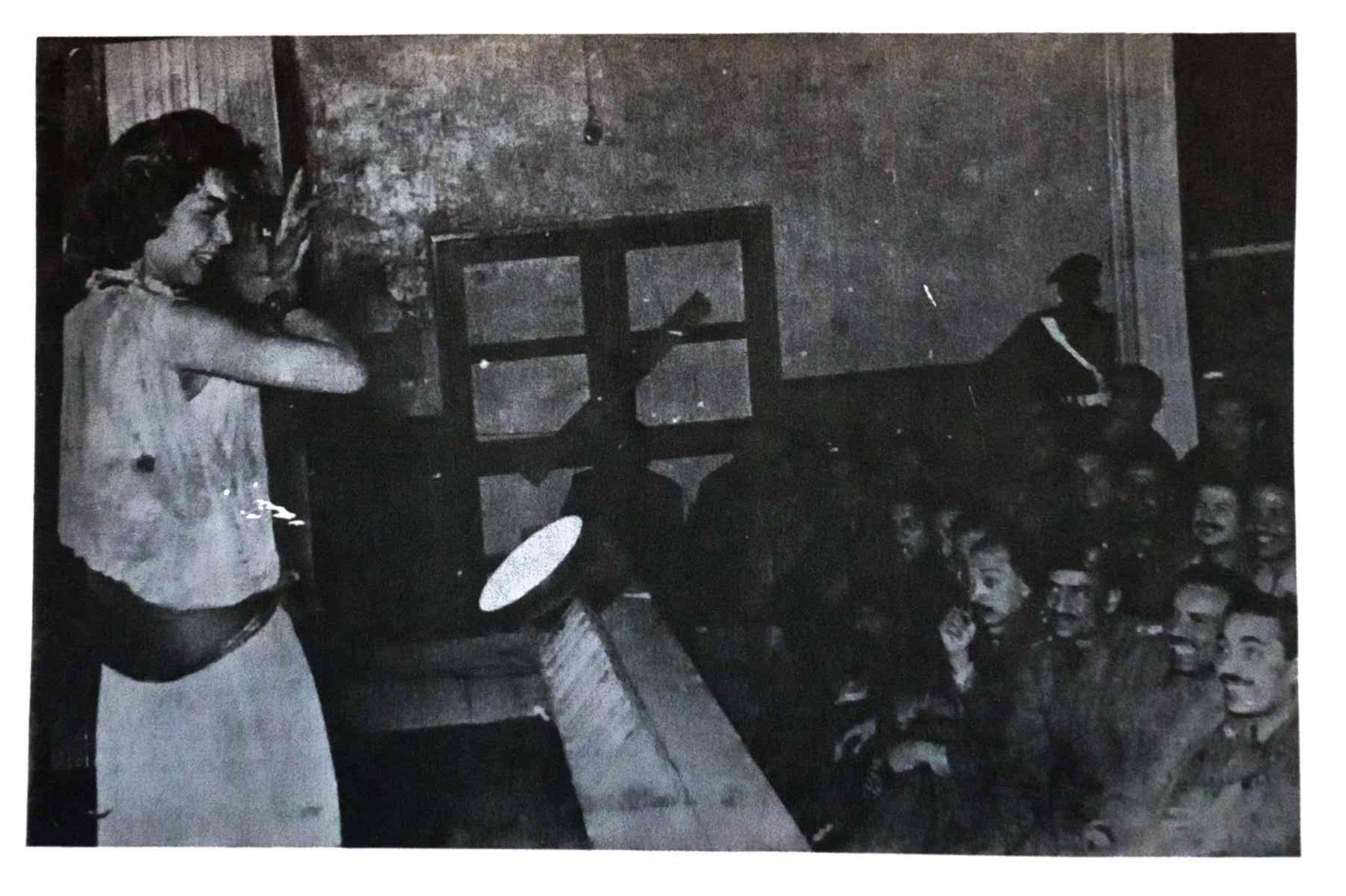
وفى عام ١٩٥٨ تزوجت من الفنان الراحل رشدى أباظة . . وعاشت معه قرابة سبعة عشر عاماً . . ومن بعدها قررت الابتعاد عن عالم الرقص والسياسة . حيث ظلت تعيش فى عزلة حتى عام ١٩٨٤ . . حتى أقنعها الفنان سمير صبرى بالعودة لفن الرقص فعادت إليه مرة أخرى . . وظلت ترقص لمدة عامين . . وفى عام ١٩٨٦ . . اعتزلت الفن ولزمت منزلها . . حتى توفيت فى أول ديسمبر عام ١٩٩٤ .

ولعل خير ختام لتلك الجولة السياسية والفنية فى حياة سامية جمال . . ذلك القول الذى سجله لنا الناقد الراحل جليل البندارى . . والذى يعرفنا بجانب آخر من جوانب علاقتها ببعض السياسيين من الزعماء .

يقول جليل البندارى : « فى سنة ١٩٥٠ . . رقصت سامية جمال فى دوفيل بفرنسا على أوركسترا يتكون من ١٦ عازفاً . . وكان فى حضور الملك فاروق . . ونشرت صورها فى مكان بارز من جميع الصحف الصادرة آنذاك . . وقبل أن تعود إلى مصر دعيت لترقص فى احدى الحفلات الخيرية فى « اكس ليبان » . . وحضر رفعة النحاس باشا هذه الحفلة . . وعلم أنها رقصت بدون أجر . . حيث رفضت أن تتقاضى أجراً . . فلما ذهبت لتصافحه قال لها :

« طولتى رقبتنا مرتين » !!

* * *



الراقصة « سامية جمال » تحيى بعض حفلات الجيش المصرى . .
بعد عودتها من أمريكا



عقد قران « سامية جمال » . . على الأمريكى عبد الله كنج



سامية جمال . . مع زوجها الأمريكى عبد الله كنج
ووالدته . .

فهرس المحتويات

